ترطيب الأفواه

بذكر

من يظلهم الله

المجلد الثاني

تأليف

دكتور سيد بن حسين العفاني

قدم له

الشيخ أبو بكر الجزائري | الشيخ محمد صفوت نور الدين

الشيخ أبو إسحاق الحويني | الشيخ أحمد فريد

الشيخ محمد حسان | الشيخ محمد القاضي

مكتبة معاذ بن جبل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى

* شيخي الذي ربّانا على حب السلف وآثارهم ووعظهم... بقية السلف شيخ المربّين والوعّاظ .. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، وهبنا أغلى الملك فلا ننساه أبدًا لكرامة الدّالّ الشيخ الدكتور **أحمد فريد**.

* الشيخ التقيّ النقيّ الربانيّ ـ نحسبه كذلك ـ شقيق الروح .. بقية السلف الذي جعل الله له في قلوب المؤمنين وُدًّا الشيخ **أبي أحمد محمد حسان**.

* شقيق الروح ... طيِّب القلب ... سمح الوجه ... الفياض الكريم كتيّار النيل

كريم الخُلُق ... الذي إذا رُئيَ ذُكر اللَّه برؤيته

بقية السلف ... الشيخ **محمد عطية** ـ حفظه اللَّه ـ

المؤلف

ورجل تصدق بصدقة فأخفاها

حتى لا تعلم شماله

ما أنفقت يمينه

ورجل تصــدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقــت يمينه

« **رجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتي لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » .

أي : يخفيها حتى على بعض جوارحه ، فعلى إخوانه وأولاده من باب أولى ، ثم على بقيّة الناس أولى وأحرى »[1] .

● قال الحافظ : « المقصود منه المبالغة في إخفاء الصدقة ، بحيث أن شماله مع قربها من يمينه وتلازمهما لو تصور أنها تعلم لما علمت ما فعلت اليمنى لشدة إخفائها»[2] .

● قال الإمام النووي : « وفي هذا الحديث فضل صدقة السر ، قال العلماء : وهذا في صدقة التطوع ، فالسر فيها أفضل لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء ، وأما الزكاة الواجبة فإعلانها أفضل » .

● « والصدقة لغة تلتقي مع مادة الصدق في أصل المادة ، وفقه اللغة يؤكد ارتباط المادة بجميع ما تفرّع عنها » .

وفي الحديث « **والصدقة برهان** » :

والبرهان هو الدليل على صدق المدّعي ، فالصدقة برهان على صدق إيمان المتصدق باللّه ، وتصديقه بوعد اللّه على ما وعد من جزاء وعوض ، فما يدفع النفس الشحيحة بطبعها ، المحبة للمال بفطرتها ، ما يدفعها إلى الإنفاق في كل حال ، إلا دافع أقوى من شهوة المال ، وربقة الحرص ، وثقلة الشح ، . . والصدق والتصديق ذلك الشعور اللطيف العميق ، الذي

---

(١) « في ظلال عرش الرحمن » (ص١٧٦) .

(٢) «فتح الباري» (جـ٢ / ١٧٢)

تشفّ به الروح وتخلص ، وتنطلق من القيود والأغلال [١] .

قال محمد بن عباد بن حبيب : منع الموجود سوء ظن بالمعبود .

فالمتصدق يتعامل مع اللَّه الذي يعلم السر وأخفى ، والذي يخلف عليه ما أنفق أضعافاً مضاعفة ؛ ولهذا كان إطلاق الصدقة صالحاً لكل من الفريضة والنافلة .

● ومن إطلاق الصدقة على الزكاة المفروضة قوله تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم** ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا** ... ﴾[٣] .

وفي حديث النبي ﷺ لمعاذ : « **وأعلمهم أن اللَّه افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم** » .

فضل الصدقة :ـ

قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[٤] .

وقال تعالى ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ**

---

(١) « شرح صحيح مسلم » .
(٢) سورة التوبة الآية (١٠٣) .
(٣) سورة التوبة الآية (٦٠) .
(٤) سورة آل عمران الآية (١٣٣ ، ١٣٤) .

عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) .

وقال اللَّه تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ (٢) .

إن هذا شأن المؤمن لا سواه ، إنه لا ينفق إلا ابتغاء وجه اللَّه ، لا ينفق عن هوى ولا عن غرض ، لا ينفق إلا خالصًا متجردًا للَّه ، ومن ثم يطمئن لقبول اللَّه لصدقته ، ويطمئن لبركة اللَّه في ماله ؛ ويطمئن لثواب اللَّه وعطائه ؛ ويرتفع ويتطهر ويزكو بما أعطى وهو بعد في هذه الأرض ، وعطاء الآخرة بعد ذلك كله فضل !

وقال اللَّه تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

وقال جل علا : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٤) .

وقال عزَّ من قائل : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥) .

هتاف موحٍ مؤثر آسر ، وهو يقول للعباد الفقراء المحاويج : ﴿ من ذا

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٢) .
(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٢) .
(٣) سورة التوبة الآية (١٠٣) .
(٤) سورة سبأ الآية (٣٩) .
(٥) سورة الحديد الآية (١١ ، ١٢)

الذي يقرض اللَّه قرضًا حسنًا ﴾ ؟

ومجرد تصور المسلم أنه هو الفقير الضئيل يقرض ربه ، كفيل بأن يطير به إلىٰ البذل طيرانًا ! إن الناس ليتسابقون عادة إلىٰ إقراض الثري المليء منهم ـ وهم كلهم فقراء ـ لأن السداد مضمون ، ولهم الاعتزاز بأن أقرضوا ذلك الثري المليء ! فكيف إذا كانوا يقرضون الغني الحميد ؟!

ولا يكلهم ـ سبحانه ـ إلىٰ هذا الشعور وحده ، ولكن يعدهم علىٰ القرض الحسن ، الخالص له ، المجرد من كل تلفت إلىٰ سواه ، يعدهم عليه الضعف في المقدار ، والأجر الكريم بعد ذلك من عند اللَّه .

ثم يعرض لهم صفحة وضيئة من ذلك الأجر الكريم ، في مشهد طريف لطيف من مشاهد اليوم الذي يكون فيه ذلك الأجر الكريم .

هؤلاء المؤمنون والمؤمنات نرىٰ نورهم ـ يوم القيامة ـ يشع منهم ويفيض بين أيديهم ، فهذه الشخوص الإنسانية قد أشرقت وأضاءت وأشعّت نوراً يمتد منها فيرىٰ أمامها ويرىٰ عن يمينها ، نوراً أشرق في أرواحها فغلب علىٰ طينتها ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ** ﴾ (١) .

أي حافز للصدقة أوقع وأعمق من شعور المعطي بأنه يقرض الغني الحميد ، وأنه يتعامل مع مالك الوجود ؟ وأن ما ينفقه مخلف عليه مضاعــفًا ، وأنّ له بعد ذلك كله أجرًا كريمًا ؟

● كان يحيي بن معاذ الرازي يقول : عجبت ممّن يبقىٰ معه مال وهو يسمع قوله تعالىٰ : ﴿ **إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الحديد الآية (١٨) .

(٢) سورة التغابن الآية (١٧) .

● وقال تعالىٰ : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (1) .

● وقال تعالىٰ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (2) .

ومن يسره اللَّه لليسرىٰ فقد وصل . . وصل في رفق وفي هوادة . . وصل وهو بعد في هذه الأرض . . وعاش في يسر . . يفيض اليسر من نفسه علىٰ كل ما حوله وعلىٰ كل من حوله . . اليسر في خطوه واليسر في طريقه . . واليسر في تناوله للأمور كلها ، والتوفيق الهاديء المطمئن في كلياتها وجزئياتها ، وهي درجة تتضمن كل شيء في طياتها ، حيث تسلك صاحبها مع رسول اللَّه ﷺ في وعد ربه له : ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ .

● وقال تعالىٰ : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (3) .

ماذا ينتظر هذا الأتقىٰ ، الذي يؤتي ماله تطهراً ، وابتغاء وجه ربه الأعلىٰ ؟

إن الجزاء الذي يطالع القرآن به الأرواح المؤمنة هنا عجيب ومفاجيء ، وعلىٰ غير المألوف ﴿ ولسوف يرضى ﴾ .

إنه الرضىٰ ينسكب في قلب هذا الأتقىٰ ، إنه الرضىٰ يغمر روحه ، إنه الرضىٰ يفيض علىٰ جوارحه ، إنه الرضىٰ يشيع في كيانه ، إنه الرضىٰ يندي حياته .

---

(1) سورة البقرة الآية (٢٤٥) .
(2) سورة الليل الآيات (٥ ـ ٧) .
(3) سورة الليل الآيات (١٧ ـ ٢١) .

ويـاله من جزاء ! ويـالها من نعمه كبرىٰ !

﴿ **ولسوف يرضي** ﴾ . . يرضىٰ بدينه . . ويرضىٰ بربه ، ويرضىٰ بقدره، يرضىٰ فلا يقلق ولا يضيق ولا يستعجل ولا يستثقل العبء ولا يستبعد الغاية . . إن هذا الرضىٰ جزاء ـ جزاء أكبر من كل جزاء ـ جزاء يستحقه من يبذل له نفسه وماله ـ من يعطي ليتزكىٰ ، ومن يبذل ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ .

• إنه جزاء لا يمنحه إلا اللَّه ، وهو يسكبه في القلوب التي تخلص له ، فلا ترىٰ سواه أحدًا .

• إنها مفاجأة في موضعها هذا ، ولكنها المفاجأة المرتقبة لمن يبلغ ما بلغه الأتقىٰ الذي يؤتي ماله يتزكىٰ ، وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ ولسوف يرضىٰ .

• وقال تعالىٰ : ﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [١] .

قال ابن كثير : « يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب » .

في رياض السنة :

روىٰ أحمد والبخاري ومسلم عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **قال اللَّه عز وجل : أنفقْ أُنفق عليك** » .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أنفق يا بلالُ ، ولا تَخْشَ من ذي العــرش إقلالاً** » [٢] .

---

(١) سورة سبأ الآية (٣٩) .

(٢) صحيح : رواه البزار عن بلال وعن أبي هريرة ، والطبراني في « الكبير » عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٥٠٨) ، و« تخريج المشكاة » رقم (١٨٨٥) ، وحسّن إسناده ابن حجر في « زوائد البزار » كما قال المناوي ، وحسنه الهيثمي .

وفي رواية « **أنفقْ بلالاً** » .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من يوم يصبح العباد فيه ، إلا ملكان يـــــنـــزلان ، فيقول أحداهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً** »(١) .

• وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب ، ولا يقبل اللّه إلا الطيب ، فإن اللّه يتقبلها بيمينه ، ثم يُربيها لصاحبه ، كما يُرَبِّيَ أحدكم فَلُوَّه** (٢) **، حتى تكون مـــثـل الجـــبـــل** »(٣) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة** »(٤) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أيُّما مسلم كسا مسلماً ثوباً على عُرْي ، كساه اللّه تعالى من خُضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع ، أطعمه اللّه تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ ، سقاه اللّه تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم** »(٥) .

• وعن أبي هريـرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من أعتـــق رقبـــة مســلـمـــة ، أعتـــق اللّه له بكــل عضـــو منهـا عضـــواً**

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وأحمد وابن حبان في « صحيحه » والحاكم في « المستدرك » عن أبي الدرداء .
(٢) الفَلُوّ : المُهر ؛ لأنه يُفْلَى ؛ أي يُفطم ، والجمع أفلاء .
(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، وأحمد .
(٤) صحيح : رواه الحاكم عن أنس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٨٩) و«الصحيحة» رقم (١٩٠٨) .
(٥) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري ، وقال المنذري : رواه أبو داود والترمذي من رواية أبي خالد بن يزيد الدالاني ، وحديثه حسن . اهـ . ضعفه الألباني بضعيف أبي داود رقم ١٦٨٢

من النار ، حتى فرجُه بفرجه »[١] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **بينا رجل بفلاة من الأرض ، فسمع صوتاً في سحابة يقول : اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرَّةٍ ، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبّع الماء ، فإذا رجل قائم في حديقته يحوّل الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ، ما اسمك؟ قال: فلان ، للاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له: يا عبد الله ، لم تسألني عن اسمي ؟ قال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان ، لاسمك فما تصنع فيها ؟ قال : أمّا إذْ قلت هذا ، فإني أنظر إلي ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيـالي ثلثًا ، وأردّ فيها ثلثًا »[٢] .**

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه دينًا ، أو تطرد عنه جوعًا ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبّ إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا ، ومنْ كفّ غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظًا ولو شاء أن يُمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رضًا يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له ، أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يُفسد الخلّ العسل»[٣] .**

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أفضل الأعمال أن تُدخِل على أخيك المؤمن سرورًا ، أو تقضي عنه ديْنًا ، أو تطعمه خبزًا »[٤] .**

---

(١) رواه الشيخان والترمذي .

(٢) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة ، ورواه الطيالسي وابن منده .

(٣) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والطبراني في « الكبير » عن ابن عمر ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٦) .

(٤) حسن : رواه ابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي هريرة، وابن عديّ في « الكامل » عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٠٩٦) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **خير الناس أنفعهم للناس** » [١] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل اللَّه ، أو القائم الليل الصائم النهار** »[٢] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا خير فيمن لا يُضيِّفُ** »[٣] .

• وفي الصحيح عند ابن حبان ، عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن ملكًا بباب من أبواب الجنة يقول : مَنْ يُقرض اليوم يُجزَ غداً ، وملَك آخر يقول : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا** » .

• وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه اللَّه مالاً ، فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه اللَّه حكمة، فهو يقضي بها ويُعلِّمها** » .

وفي رواية : « **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه اللَّه القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه اللَّه مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار** »[٤] .

• وعن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **أيُّكم مال وارثه أحب إليه منْ ماله ؟** قالوا : يا رسول اللَّه ، ما منّا أحد إلاّ ماله أحبّ اليه من مال وارثه ، قال : « **فإن ماله ما قدّم ، ومال وارثه ما أخّر** »[٥] .

• وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ : أن رجل سأل رسول اللَّه ﷺ قال : أيّ الإسلام خير ؟ **قال** : « **تُطعم الطعام ، وتقرأ**

---

(١) حسن : رواه القضاعي عن جابر، والطبراني في « الكبير » ، والدارقطني ، والبيهقي في «شعب الإيمان» وابن عساكر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٨٩) .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي ، والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٣) صحيح : رواه أحمد والبيهقي في « شعب الإيمان » والروياني عن عقبة بن عامر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٤٩٢) .

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه البخاري والنسائي .

السلام على من عرفتَ ومَنْ لم تعرف »[١] .

وعنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **اعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، تدخلوا الجنة بسلام** »[٢] .

● وعن أبي مالك الأشعري ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدّها اللّه لمن أطعم الطعام ، وأفشى السلام ، وصلى بالليل والناس نيام** »[٣] .

● وعن حمزة بن صهيب ، عن أبيه ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال عمر لصُهيب : فيك سَرَف في الطعام ! فقال : إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **خياركم من أطعم الطعام** »[٤] .

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خيرٌ لك ، وإن تُمسكه شر لك ، ولا تُلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى** »[٥] .

● وقال رسول اللّه ﷺ : « **أفضل الصدقة : الصدقة على ذي الرحم الكاشح** »[٦] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي .
(٢) حسن : رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، وحسّنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١/ ٣٩٥) .
(٣) حسن : رواه ابن حبان في « صحيحه » ، وحسنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١/ ٣٩٦) .
(٤) حسن : رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب « الثواب » وحسّنه الألباني في « صحيح الترغيب » (١/ ٣٩٦) .
(٥) رواه مسلم والترمذي .
(٦) صحيح : رواه أحمد والطبراني في « الكبير » عن أبي أيوب وعن حكيم بن حزام ، ورواه البخاري في « الأدب » وأبو داود عن أبي سعيد ، والطبراني في « الكبير » والحاكم عن أم كلثوم بنت عقبة ، وصحّحه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١١٠) .

• وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**مثل البخيل والمُنفق كمثل رجُلَين عليهما جُنتان من حديد ، من ثُديهما إلي تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سَبَغَتْ أوْ وفرتْ على جلده ، حتى تُخفي بنانه ، وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزمت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها فلا تتسع**»[١] .

فالمنفق كلما أنفق ، اتسعت عليه النعم وسبغت ووَفَرَتْ ، والبخيل كلما أراد أن ينفق ، منعه الشح والحرص وخوف النقص ، فهو يمنعه ، ولا تتسع عليه النعم .

• وعن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من يوم طلعت شمسه إلا وكان بجنْبتّيها ملَكان يناديان نداءً يسمعه خلق اللَّه كلهم غير الثقلين : يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم : فإنَّ ما قَلّ وكفى ، خيرٌ مما كثر وألهى، ولا آبت الشمس ، إلا وكان بجنبتيها ملكان يناديان نداءً يسمعه خلق اللَّه كلهم غير الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً ، وأعط ممسكاً تلفاً** » .

وأنزل اللَّه في ذلك قرآناً ؛ في قول الملكين : يا أيها الناس هلموا إلىٰ ربكم في «سورة يونس» : ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[٢] ، وأنزل في قولهما : اللهم أعط منفقًا خلفًا ، وأعط ممسكًا تلفًا﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لِلْعُسْرَىٰ** ﴾[٤] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) سورة يونس الآية (٢٥) .
(٣) سورة الليل الآيات (١ ـ ١٠) .
(٤) صحيح : رواه البيهقي ، وصححه الألباني في « صحيح الترغيب والترهيب » (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) .

• وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لما خلق اللَّه الأرض جعلت تميد** (١) **وتكفأ** (٢) **، فأرساها بالجبال ، فاستقرّتْ فتعجبت الملائكة من شدة الجبال ، فقالت : ياربنا ، هل خلقت خلقاً أشد من الجبال ؟ قال: [نعم] ، الحديد ، قالوا : [يا رب] ، فهل خلقت خلقاً أشد من الحديد ؟ قال : [نعم] ، النار ، قالوا : [يا رب] ، فهل خلقت خلقاً أشد من النار ؟ قال : [نعم] ، الماء ، قالوا : [يا رب] ، فهل خلقت خلقاً أشد من الماء ؟ قال : [نعم] ، الريح ، قالوا : [يا رب] ، فهل خلقت خلقاً أشد من الريح ؟ قال : [نعم] ، ابن آدم ، إذا تصدّق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله** »(٣) .

• وعن مالك بن نضلة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**الأيدي ثلاثة : فيد اللَّه العليا ، ويد المعطي التي تليها ، ويد السائل السفلى ، فأعطِ الفضل ، ولا تَعجِزْ عن نفسك** »(٤) .

• وعن ابن خزيمة « كان أول أهل مصر يروح إلى المسجد ، وما رأيته داخلاً المسجد قط إلا وفي كمه صدقة ، إما فلوس ، وإما خبز ، وإما قمح ، حتى ربما رأيت البصل يحمله ، قال : فأقول : يا أبا الخير إن هذا ينتن ثيابك ، قال ، فيقول : يا ابن حبيب ! أما إني إن لم أجد في البيت شيئًا أتصدق به غيره ، إنه حدثني رجل من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، إن رسول اللَّه ﷺ قال : . . . . .

---

(١) تميد : مادت الأرض تميد : إذا تحرّكت واضطربت .

(٢) تكفّأ : تكفأت المرأة في مشيتها : إذا تمايلت كما تتمايل النخلة : والأصل : تتكفّأ ، فحذفت إحدى التاءين .

(٣) حسن : رواه أحمد ، والترمذي واللفظ له ، وفي سنده سليمان بن أبي سليمان الهاشمي ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وقال ابن حجر في « الفتح » (٢/ ١٧٢) : « في مسند أحمد من حديث أنس بإسناد حسن مرفوعًا » .

(٤) إسناده حسن : رواه أبو داود في « سننه » ، كتاب الزكاة ، باب في الاستعفاف ، وقال الشيخ عبد القادر الأرناءوط : إسناده حسن .

عن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدّثه أنه سمع عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **كل امرىء في ظل صدقته حتى يُقضى بين النـاس** » أو قال : « **حتي يحكم بين الناس** » .

قال يزيد : فكان أبو الخير لا يُخطئه يوم لا يتصدّق فيه بشيء ولو كعـكة ولو بصلة »[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **يقول ابن آدم : مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟** »[٢] .

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يقول العبد : مالي مالي ، وإن له من ماله ثلاثًا ، ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقنى ، وما سوى ذلك ، فهو ذاهب وتاركه للناس** »[٣] .

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **سبق درهم مئة ألف** » ، فقال رجل : وكيف ذاك يا رسول اللَّه ؟ قال : « **رجل له مال كثير أخذ من عُرضه مئة ألف ، فتصدّق بها ، ورجل ليس له إلا درهمان ، فأخذ أحدهما ، فتصدّق به** »[٤] .

● وعن ميمـونـة بنت الحـارث أنها أعتقت وليـدة في زمـان رسول اللَّه ﷺ فذكرت ذلك لر سول اللَّه ﷺ فقال : « **لو أعطيتهـا**

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم :رواه ابن حبان في « صحيحه » واللفظ له ، ورواه ابن المبارك في « الزهد » ، ومن طريقه أخرجه أحمد ، وأبو يعلى ، وابن خزيمة ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » .

(٢) رواه أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي عن عبد اللَّه بن الشخير .

(٣) رواه أحمد ومسلم .

(٤) إسناده حسن : رواه النسائي وابن خزيمة والحاكم والبيهقي وابن حبان واللفظ له ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وأخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة بلفظ سبق درهم درهمين ، وحسن إسناده الألباني في « التعليق على صحيح ابن خزيمة » رقم (٢٤٤٣) .

أخـــوالك كان أعظم لأجـــرك »[١] .

قال ابن خزيمة في « صحيحه » « إن الصدقة بالمملوك أفضل من عتق المتصدق إياه » .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد اللَّه عبدًا بعفو إلا عزًا ، وما تواضع أحد للَّه إلا رفعه اللَّه »[٢] .

● وعن أبي ذر ، عن النبي ﷺ قال : « **ثلاثة يحبهم اللَّه ، وثلاثة يبغضهم اللَّه ، أما الذين يحبهم اللَّه** : **فرجل أتى قومًا فسألهم باللَّه ولم يسألهم بقرابة بينهم وبينه ، فتخلّف رجل بأعقابهم ، فأعطاه سرًا لا يعلم بعطيته إلا اللَّه والذي أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبّ إليهم مما يعدل به ، نزلوا فوضعوا رءوسهم وقام يتملّقنى ويتلو آياتي ، ورجل كان في سرية ، فلقي العدو فهزموا ، وأقبل بصدره حتى يُقتل أو يُفتح له ، وثلاثة يبغضهم اللَّه** : **الشيخ الزاني ، والفقير المختال ، والغني الظلوم** »[٣] .

وعن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا توعي فيوعي اللَّه عليك ، ارضخي ما استطعت** »[٤] .

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم : أخرجه ابن حبان واللفظ له ، وابن خزيمة ، وكذا أخرجه مسلم ، والنسائي ، والبيهقي ، وأحمد والبخاري ، والطبراني في « الكبير » .

(٢) رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن خزيمة .

(٣) حديث صحيح : رواه ابن حبان في « صحيحه » واللفظ له ، والترمذي ، وابن خزيمة ، وأحمد والنسائي ، والحاكم ، وقال الترمذي : حديث صحيح ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، قال الألباني في « التعليق على صحيح ابن خزيمة » رقم (٢٤٥٦) : « إسناده ضعيف : زيد بن ظبيان ما روى عنه سوى ربعي بن حراش كما قال الذهبي ، يشير إلى أنه « مجهول » ، وذكره ابن حبان في « الثقات » .

(٤) رواه البخاري ، والنسائي ، والبيهقي ، وأحمد ، وعبد الرزاق ، وابن حبان في «صحيحه» ، والرضخ : هوالعطاء اليسير .

وعنها ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا توكيءِ فيوكأ عليك** »[١] .

• وعن عروة بن الزبير عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها قالت : جاءها سائل ، فأمرت له عائشة بشيء ، فلما خرجت الخادم دعتها ، فنظرت إليه ، فقال رسول اللَّه ﷺ « **ما تخرجين شيئاً إلا بعلمك** » ، قالت : إني لأعلم ، فقال لها « **لا تُحصي فيحصي اللّه عليك** »[٢] .

• وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها وله مثله بما اكتسب ، ولها بما أنفقت وللخازن مثل ذلك من غير أن ينتقص من أجورهم شيئاً** »[٣] .

• قال النووي في « شرح مسلم » (٣/ ٦٢) : « المراد المشاركة في أصل الثواب فيكون لهذا ثواب ولهذا ثواب ، وإن كان أحدهما أكثر ، لا يلزم أن يكون مقدار ثوابهما سواء ، بل قد يكون ثواب هذا أكثر وقد يكون عكسه ، فإذا أعطىٰ المالك لخازنه ، أو امرأته أو غيرهما مائة درهم أو نحوها ليوصلها إلىٰ مستحق الصدقة علىٰ باب داره أو نحوه فأجر المالك أكثر ، وإن أعطاه رمّانة أو رغيفاً ونحوهما مما ليس له كثير قيمة ليذهب به إلىٰ محتاج في مسافة بعيدة بحيث يقابل مشي الذاهب إليه بأجرة تزيد علىٰ الرمانة والرغيف فأجر الوكيل أكثر ، وقد يكون عمله قدر الرغيف مثلاً فيكون مقدار الأجر سواء .

---

(١) رواه البخاري ، والترمذي .

(٢) إسناده صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن حبان واللفظ له .
قوله : « لا تحصي » أي : لا تعدي ما تعطي ، من الإحصاء : وهو العدّ .

(٣) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم واللفظ له ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي في «الكبرىٰ» والبيهقي والبغوي وابن حبان .

وقال النووي ـ رحمه اللَّه ـ (٣/ ٦٣) : « ومعلوم أنها إذا أنفقت من غير إذن صريح ولا معروف من العرف فلا أجر لها ، بل عليها وزر ، فتعين تأويله » .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « **قال رجل : لأتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقة فوضعها في يد زانية ، فأصبحوا يتحدثون : تُصدق الليلة على زانية ، قال : اللهم لك الحمد على زانية ، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقتة فوضعها في يد غنيّ ، فأصبحوا يتحدثون : تُصدق على غني ، قال: اللهم لك الحمد على غنيّ ، لأتصدقن بصدقة ، فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق ، فأصبحوا يتحدثون : تصدق على سارق ، فقال : اللهم لك الحمد على زانية ، وعلى غنيّ ، وعلى سارق ، فأُتي ، فقيل له : أما صدقتك فقد قبلت . أما الزانية فلعلها تستعف بها عن زناها ، ولعل الغنيّ يعتبر فينفق مما أعطاه اللَّه ، ولعل السارق يستعف بها عن سرقته** » [(١)] .

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن سعد بن عبادة ـ أخا بني ساعدة ـ قال : يا رسول اللَّه إن أمي توفيت وأنا غائب ، فهل ينفعها إن تصدقت عنها بشيء ؟ قال : « **نعم** » . قال : فإني أشهدك أن حائطي الذي بالمخراف صدقة عنها » [(٢)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة** » [(٣)]

---

(١) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومسلم واللفظ له ، والنسائي ، والبيهقي ، وابن حبان في «صحيحه» ، والطبراني في « مسند الشاميين » ، والدارقطني في « غرائب مالك » ، وأبو نعيم في « المستخرج » .

(٢) إسناده صحيح : أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » (٤/ ١٢٤) ، وقال الألباني في تعليقه : «إسناده صحيح ، ورجاله كلهم ثقات ، وهو في « المسند » (١/ ٣٣٣) .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم عن عدي بن حاتم .

● وعن أبي كبشة الأنماري ـ رضي اللّه عنه ـ قال قال رسول اللّه ﷺ: **«ثلاث أقسم عليهن : ما نقص من مال عبد من صدقة ، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده اللّه عز وجل عزًا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح اللّه عليه باب فقر»**(١) .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : **« ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد اللّه عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد للّه إلا رفعه اللّه »**(٢) .

● وعن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : **« صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة »**(٣) .

● وعن إبي أمامة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : **« صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر »**(٤) .

● وقال ﷺ : **« صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، والصدقة خفيًا تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم زيادة في العمر ، وكل معروف صدقة ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، وأهل المنكر**

---

(١) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٠٢١)، و« تخريج المشكاة » (٥٢٨٧) .
(٢) رواه أحمد ، ومسلم ، والترمذي .
(٣) صحيح : رواه الحاكم ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٨٩) ، و«الصحيحة» رقم (١٩٠٨) .
(٤) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٩١) .

في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة »[(١)] .

قال علي ـ رضي اللّه عنه ـ : لا يزهدك في المعروف كفر من كفر ، فقد يشكره الشاكر أضعاف جحود الكافر .

وعن الحارث الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن اللّه سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا ـ رضي اللّه عنه ـ بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، وإنه كاد أن يبطيء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : « إن اللّه تعالى يأمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها ، فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي وأعذب ، فجمع يحيى عليه السلام الناس في بيت المقدس ، فامتلأ المسجد وقعدوا على الشرف ، فقال : إن اللّه تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن : أولهن أن تعبدوا اللّه ولا تشركوا به شيئاً ، فإن مثل من أشرك باللّه كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق ، فقال له : هذه داري وهذا عملي ، فاعمل وأدّ إليّ ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وإن اللّه أمركم بالصلاة ؟ فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن اللّه ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت ، وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها ، وإن ريح الصائم أطيب عند اللّه من ريح المسك . وأمركم بالصدقة ، فإن مثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلي عنقه وقدّموه ليضربوا عنقه فقال : أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ، ففدى نفسه منهم ، وأمركم أن تذكروا اللّه تعالى ، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم ، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر اللّه**

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الأوسط » عن أم سلمة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٣٦٩٠) .

تعالى، قال رسول اللَّه ﷺ : «**وأنا آمركم بخمس أمرني اللَّه بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم** » فقال رجل : يا رسول اللَّه و إن صلىٰ وصام ؟ قال : « **وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد اللَّه** »(١) .

قال ابن القيم : « إن للصدقة تأثيراً عجيبًا في دفع أنواع البلاء ، ولو كانت من فاجر أو ظالم أو كافر ، فإن اللَّه تعالىٰ يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء ، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جرّبوه » .

وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **داوُوا مرضاكم بالصدقة** »(٢) .

تنوّع أجناس الصدقة المندوبة :ـ

الصدقة المندوبة لا تقتصر علىٰ المال وما يقوم بالمال ، بل تشمل كل عمل صالح : من طيب الكلمة ، وبشاشة الوجه ، وإعانة الرجل علىٰ دابته ، ومعاونته علىٰ حمل متاعه عليها .

والصدقة والإحسان ينقسمان إلىٰ : خفيّ وجليّ ، وقليل وكثير وجليل .

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي ، والبخاري في « التاريخ » والنسائي ، وابن حبان والحاكم ، والطيالسي وابن خزيمة عن الحارث بن أبي الحارث الأشعري ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٧٢٠) ، و« تخريج الترغيب » (١/ ١٨٩ ـ ١٩٠) ، و« تخريج المشكاة» (٣٦٩٤) ، و« صحيح سنن الترمذي » (٢٢٩٨) .

(٢) حسن : رواه أبو الشيخ في « الثواب » وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٣٥٣) .

وخطير ، ونبيل ، « **وكل معروف صدقة** »[١] ، و : « **في كل كبدٍ رَطبة أجر** »[٢]وقال ﷺ : « **في كل ذات كبدٍ حرّى أجر** » [٣] .

وقال ﷺ :«**لا تحقرن من المعروف شيئاً ،ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٤] .

وقال ﷺ : « **كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وأن تصب من دلوك في إناء جارك** »[٥] .

وقال ﷺ : «**كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة** »[٦] .

• ولما كان كل معروف تهديه إلى غيرك صدقة ، فهناك صدقات للقلوب بإرادة كل نفع للعباد ، فإن الإرادة سبب لذلك .

وإحسان الأبدان أقسام :ـ

أحدها : نقل المِلْك ، بالهبات والصدقات .

والثاني : إباحة المنافع والأعيان ؛ كالعواري ، والضيافات .

والثالث : الإسقاط ؛ كالعتق ، والإبراء من الديون ، والقصاص ، والحدود ، وسائر العقوبات .

والرابع : الإعانة على الطاعات ؛ بتعليمها ، وتفهيمها ، والمساعدة

---

(١) أخرجه أحمد والبخاري عن جابر ، وأحمد ومسلم وأبو داود عن حذيفة .
(٢) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .
(٣) صحيح : أخرجه أحمد والحاكم عن سراقة بن مالك ، وأحمد عن ابن عمرو .
(٤) رواه أحمد ومسلم والترمذي عن أبي ذر .
(٥) حسن : رواه أحمد ، والترمذي والحاكم والبخاري في « الأدب المفرد » عن جابر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٣٣) .
(٦) حسن : أخرجه الخطيب في « الجامع » عن جابر ،والطبراني في « الكبير » وأبونعيم في «الحلية» وابن عدي ، والخرائطي عن ابن مسعود ، وابن عساكر عن جابر ، وحسنه الألباني في «الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٠٤٠) ، و« صحيح الجامع » رقم (٤٤٣٤) .

علىٰ فعلها ، والنيابة فيها ، كالنيابة في الحج وتفريق الصدقات .

والخامس : الإعانة بكل نفع : عاجل أو آجل ، فِعلِي أو قولي : كالإعانة بالبناء ، والخياطة ، وتحميل الدابة ، وأن تعين صانعًا ، أو تصنع لأخرق [١] ، وبأن تدُلّ علىٰ الطريق ، وتخدم الصديق ، وتُعين الرفيق ، وتأمر بكل معروف ، وتنهىٰ عن كل منكر ، وتفك الأُسارىٰ ، وترشد الحيارىٰ .

السادس : حسن الأخلاق ؛ كإظهار البِشْر ، وطلاقة الوجه ، والتبسم في وجوه الإخوان .

عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة ؛ تسليمه على من لقي صدقة ، وأمره بالمعروف صدقة ، ونهيه عن المنكر صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وبُضعة أهله صدقة ، ويُجزئ من ذلك كله : ركعتان من الضحى** » قالوا : يا رسول اللَّه ، أحدنا يقضي شهوته ، أتكون له صدقة ؟ قال : « **أرأيت لو وضعها في غير حلّها ألم يكن يأثم ؟** »[٢] .

● وروىٰ مسلم والنسائي عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يُصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، و يُجزئ من ذلك : ركعتان تركعهما من الضحى** » .

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنه خُلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبّر اللَّه ،**

---

(١) الأخرق : الذي لا يعرف أن يعمل الشيء بيده .

(٢) رواه مسلم وأحمد وأبو داود .

وحمد اللّه، وهلل اللّه ، وسبحّ اللّه ، أو استغفر اللّه ، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً من طريق الناس ، أو أمر بالمعروف ، أو نهى عن منكر ، عدد الستين والثلاثمائة ؛ فإنه يمسي أو يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»(١) .

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **نعم المنيحة اللّقحةُ الصَّفيُّ منحة ، والشاة الصَّفيّ تغدو بإناء ، وتروح بإناء** »(٢) .

وعند مالك قال : « **نعم الصدقة ...** » .

وعند مسلم : « **ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة ، تغدو بإناء وتروح بإناء ، إن أجرها لعظيم** » .

● وعن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **أربعون خصلة ، أعلاهن منيحة العنْز ؛ ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها ، وتصديق موعودها ؛ إلا أدخله اللّه الجنة** » .

قال حسان بن عطية : « فعددنا ما دون منيحة العنْز - من رد السلام وتشميت العاطس ، وإماطة الأذىٰ عن الطريق ، ونحوه - فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة »(٣) .

قال ابن بطال : « وقد بلغني أن بعضهم تطلّبها فوجدها تزيد علىٰ الأربعين ، فمما زاده : إعانة الصانع ، والصنعة للأخرق ، ، وإعطاء شِسع النعل ، والستر علىٰ المسلم ، والذب عن عرضه ، وإدخال السرور عليه ، والتفسح في المجلس ، والدلالة علىٰ الخير ، والكلم الطيب ، والغرس ،

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري ، واللقحة : ذات اللبن القريبة العهد بالولادة ، والصَّفيّ : الكريمة الغزيرة اللبن .
(٣) رواه البخاري .

والزرع ، والشفاعة ، وعيادة المريض ، والمصافحة ، والمحبة في اللَّه والبغض لأجله ، والمجالسة للَّه ، والتزاور والنصح والرحمة ، وكلها في الأحاديث الصحيحة ، وفيها ما قد يُنازع في كونه دون منيحة العنز » .

قال ابن حجر : « بإمكان تتبع أربعين خصلة من خصال الخير أدناها منيحة العنز »[١] .

● قال ابن حبان تحت عنوان « ذكر الخصال التي تقوم لمُعدَم المال مقام الصدقة لباذلها » : ـ

عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **ليس من نفْس ابن آدم ، إلا عليها صدقة ، في كل يوم طلعت فيه الشمس** » قيل : يا رسول اللَّه، ومن أين لنا صدقة نتصدّق بها ؟ فقال : « **إن أبواب الخير لكثيرة : التسبيح والتحميد ، والتكبير والتهليل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتميط الأذى عن الطريق ، وتُسمع الأصم ، وتهدي الأعمى ، وتَدل المُسْتَدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة منك على نفسك** »[٢] .

إسماع الأصم ، هداية الأعمى ، دلالة المستدل على حاجته ، إعانة الضعيف . . . صدقات والتعبير عن الأرثم « الأرثم : هو الأرَتّ » .

عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : حدَّث نبي اللَّه ﷺ بحديث ، فما فرحنا بشيء منذ عرفنا الإسلام أشدّ من فرحنا به ، قال : « **إن المؤمن ليؤجر في إماطة الأذى عن الطريق ، وفي هداية السبيل ، وفي تعبيره عن الأرثم ، وفي مَنحة اللبن ، حتى إنه ليؤجر في السلعة تكون مصرورة فيلمسها ،**

---

(١) « فتح الباري » (٥/ ٢٩٠) .
(٢) إسناده صحيح على شرط مسلم : رواه ابن حبان في « صحيحه » (٨/ ١٧١) .

فستخطئها يده »(١) .

• ومن الصدقة أيضا : التبسم في وجه المسلم ، إرشاد الضال ، البصر لرديء البصر ، إفراغك من دَلْوِك في دَلْوِ أخيك .

عن أبي ذر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **تبسمك في وجه أخيك لك صدقة ، وأمرك بالمعروف صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلْوك في دلو أخيك لك صدقة »**(٢) .

وصدقات أُخر : مِنحة الورق ، من هدىٰ زُقاقًا .

عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **من منح مَنيحةِ لبن أو وَرِق ، أو هَدَى زُقاقًا ؛ كان له مثل رقبة »**(٣) .

وفي رواية له « **من منح مِنحة وَرِق ، أو منحة لبن ، أو أهدى زُقاقًا ؛ فهو كعتق نسمة »**(٤) .

---

(١) حديث حسن لغيره : رواه أبو يعلىٰ في « مسنده » ، والبزار ، والطبراني في « الأوسط » ، وفي إسناده المنهال بن خليفة ؛ وثقه أبو حاتم وأبو داود والبزار ، وفيه كلام ، وسكت عنه = البوصيري، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » (٣/ ٦١٨ ـ ٦١٩) : وفي إسناده المنهال ابن خليفة ، وقد وثقه غير واحد وتقدّم ما يشهد لهذا الحديث .

والأرتم (الأرثم) : الأَرَتّ : هو الذي لا يفصح الكلام ولا يبيّنه ، فتعبيرك عن مراده ، وإفصاحك بمقصوده ، تُثاب عليه بالجنة ، ومثله الترجمة عمّن لا يحسن العربية أو لا يفهمها .

(٢) صحيح : رواه الترمذي واللفظ له وحسّنه ، وابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » (١٥٩٤) .

(٣) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي واللفظ له ، وابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » .

(٤) صحيح : رواه أحمد والترمذي وابن حبان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٢٥٩) .

قال أبو عيسى الترمذي : « ومعنى قوله : « **من منح منيحة ورِق** » إنما يعني به : قرض الدراهم .

وقوله : « **أو أهدى زقاقاً** » قال : إنما يعني به هداية الطريق ، وهو إرشاد السبيل » .

• وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من منح منحة ؛ غدت بصدقة ، وراحت بصدقة ، صبُوحها وغبُوقها** »[1] .

• وإعانة الرجل في دابته ، والعدل بين اثنين صدقة :

روى الشيخان عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **كل سُلامى**[2] **من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ؛ يعدل بين اثنين صدقة ، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه : صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة : صدقة ، ويميط الأذى عن الطريق صدقة** » .

• ونفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة .

عن ابن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها ، كانت له صدقة** »[3] .

• ووهب صلة الحبل ، ووهب الشِّسع ، وإيناس الوحشان صدقة!!! :-

عن أبي جري الهجيمي - رضي اللَّه عنه - قال : أتيت رسول اللَّه ﷺ ، فقلت : يا رسول اللَّه ، إنا قوم من أهل البادية ، فعلّمنا شيئًا ينفعنا اللَّه به ، قال : « **لا تحقرن من المعروف شيئاً أن تأتيه ؛ ولو أن تهب صِلَة الحبل ،**

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سلامى : مفصل ، وعدد مفاصل الإنسان ستون وثلاثمائة .

(٣) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي .

ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي ، ولو أن تلقى أخاك المسلم ووجهك بسط إليه ، ولو أن تُونس الوحشان بنفسك ، ولو أن تهب الشّسع »(١) .

ومعنىٰ « **أن تهب صلة الحبل** » : أن يكون لأخيك المسلم حبل يستقي به ، أو يربط به شيئًا من متاعه ، ويحتاج إلىٰ وصلة لقصره ، فوهبته قطعة حبل وصله بها ، قاصداً مساعدته بها ، راجيًا ثواب اللَّه .

ومعنىٰ « **ولو أن تونس الوحشان بنفسك** » : إذا وجدت أخاك المسلم وحشان ، أي مختليًا مهمومًا من شيء يخافه ، فآنست وحشته بنفسك ، وأذهبت عنه همه و فزعه حتىٰ أمن واستأنس واطمأن .

وفي مدينه « فاس » أعيان موقوفة ، يُصرف منها مرتّب شهري لشخص يسمىٰ « مونس الغريب » .

ومعنىٰ « **لو تهب الشسع** » : الشسع : ما يشد إلىٰ زمام النعل وهو رباط الحذاء .

• بل وتتعدى الصدقات إلى الحيوان والطير :ـ

عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا يغرس مسلم غرسًا ، ولا يزرع زرعًا ، فيأكل منه إنسان ولا دابّة ولا شيء ، إلا كانت له صدقة** »(٢) .

وفي الصحيحين عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **ما من مسلم يغرس غرسا ، أو يزرع زرعا ، فيأكل منه طير أو إنسان ؛ إلا كان له به صدقة** » .

* * *

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد والنسائي ، ورواه أبو داود مختصراً ، ورواه أبو داود مطوّلا ، ورواه النسائي ، والترمذي مختصراً ، وقال الترمذي : حسن صحيح .
(٢) رواه مسلم .

بل قد تكون العبادة صدقة :ـ

نعم وهذا من كرم ورحمة وجود اللَّه عزوجل أن يجعل العبادة له تعالىٰ صدقة يتصدق بها العبد علىٰ أخيه المسلم ، كالذي جاء والناس قد صلّوا العصر ، فقالﷺ : « **من يتصدق على هذا فيصلي معه ؟** »أ ي مَن يعيد الصلاة معه جماعة ؟ فتصدق عليه أبو بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ .

• ومن الصدقات :ـ

عن عبادة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من رجل يجرح في جسده جراحة ، فيتصدّق بها ، إلا كفّر اللَّه مثل ما تصدّق** »[1] .

قال المناوي : «إذا جنىٰ إنسان علىٰ آخر جناية ، فعفا عنه لوجه اللَّه تعالىٰ نال هذا الثواب .

عن عبادة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من تصدّق بشيء من جسده ؛ أعطي بقدر ما تصدّق** »[2] .

قال المناوي : « يعني من جنىٰ عليه إنسان ، كأن قطع منه عضواً أو أزال منفعته ، فعفا عنه لوجه اللَّه ، أثابه اللَّه تعالىٰ عليه بقدر الجناية .

ويحتمل أن المراد بالتصدق بذلك أن يباشر بعض الطاعة ببعض بدنه ، كأن يزيل الأذىٰ عن الطريق بيده ، فيثاب بقدر ذلك »[3] .

• ومن الصدقات المؤازرة بالجاه :ـ

ونفع المسلمين وإسعافهم والتصدق عليهم قد يكون بالجاه :

---

(١) صحيح : رواه أحمد ، والضياء عن عبادة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٨٨) ، و« السلسلة الصحيحة » رقم (٢٢٧٣) ، وقال المنذري والهيثمي : رجاله رجال الصحيح .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن عبادة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٠٢٧) .

(٣) « فيض القدير » (٦/ ١٠٦) .

«فالإسعاف بالجاه من ألطف الصنائع موقعًا ، ربما كان أعظم من المال نفعًا ؛ قال بعض البلغاء : بذل الجاه أحد الحباءين »(١) .

• **ومن الصدقات : المسامحة في الحقوق ، والتصدق بالعِرْض :ـ**

روي ابن منده بإسناده : « كان علبة بن زيد بن حارثة رجلاً من أصحاب النبي ﷺ ، فلما حضّ على الصدقة ، جاء كل رجل منهم بطاقته وما عنده ، فقال عُلبة بن زيد : اللهم إنه ليس عندي ما أتصدّق به ؛ اللهم إني أتصدّق بعرضي على من ناله من خلقك ، فأمر رسول اللّه ﷺ مناديًا فنادى : أين المتصدّق بعرضه البارحة ، فقام عُلبة ، فقال : « **قد قُبلت صدقتك** » .

وفي « زاد المعاد » : فقال النبي ﷺ : « **أبشرْ ؛ فوالذي نفس محمد بيده ، لقد كُتِبَتْ في الزكاة المتقبلة** » .

عن معاذ بن جبل ـ رضي اللّه عنه ـ قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول اللّه أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، قال : « **لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسّره اللّه عليه : تعبد اللّه ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت** » ثم قال : « **ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جُنّة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل من جوف الليل** » قال : ثم تلا : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم** ﴾ حتى بلغ ـ ﴿ **يعملون** ﴾ ثم قال : « **ألا أخبرك برأس الأمر كله ، وعموده ، وذروة سنامه ؟** » قلت : بلى يا رسول اللّه ، **قال** : « **رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد** » ثم قال : **ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟** » قلت :

---

(١) الحباءين : العطاءين .

بلى يا رسول الله ، قال : « فأخذ بلسانه قال : « **كف عليك هذا** » فقلت : يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ أو على مناخرهم ـ إلا حصائد ألسنتهم** »(١) .

حكم هذا النوع :ـ

قال الشيخ عطية سالم : « أما من جهة التكليف فهو الندب والإحسان ما لم يتعيّن ، وذلك في نوادر الحالات وعند الحاجة ، كما في حديث « **من كان معه فضل طعام فليفض على من لا طعام له ، ومَن كان معه فضل ظهر فليفض على من لا ظهر له** » وكذلك في حالات الأسفار وقلة الطعام وانعدامه عند بعض الرفقاء في الطريق ، أو الغزاة في الجهاد ، كما فعل قائد السرية إلى سِيْف البحر حتى أغاثهم الله بحوت العنبر ، إذ جمع أزواد القوم كلهم وكان زادهم التمر ثم أخذ يقسم عليهم كل واحد تمرة في كل يوم . . . .

وقد جاء عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه لو مات إنسان جوعًا لألزم أهل محله ديته ، وكذلك لو منع إنسان فضل مائه أو طعامه عن إنسان في فلاة ، فمات ، لزمته ديته .

وهذا وأمثاله يجعل الصدقة المندوبة واجبة ، ويصدق عليها الحديث «**في المال حق سوى الزكاة** »(٢) .

قال رسول الله ﷺ : « **إن الأشعريين إذا أرملوا**(٣) **في الغزو أو قلّ طعام عيالهم**

---

(١) رواه الترمذي في « سننه » ، وابن ماجه ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » رقم (٢١١٠) ، و« صحيح سنن ابن ماجه » (٣٩٧٣) .

(٢) « في ظلال عرش الرحمن » (ص١٦٥) .

(٣) أي نفد زادهم .

بالمدينة ، جعلوا ما كان عندهم في ثوب واحد ، ثم أقسموه بينهم في إناء واحد بالسوية ، فهم مني وأنا منهم » [١] .

قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ : « وقد ذهب جماعة من التابعين إلىٰ أنّ في المال حقوقًا سوىٰ الزكاة ، كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد ، قال الشعبي بعد أن قيل له : هل في المال حق سوىٰ الزكاة ؟ قال : نعم ، أما سمعت قوله عز وجل : ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ** ﴾[٢] ، واستدلوا بقوله عزوجل : ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [٣] وبقوله تعالىٰ : ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم** ﴾ [٤] وزعموا أنّ ذلك غير منسوخ بآية الزكاة ، بل هو داخل في حق المسلم علىٰ المسلم ، ومعناه أنه يجب علىٰ الموسر مهما وجد محتاجًا أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة ، ولكن يحتمل أن يقال : ليس علىٰ الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قَرْضًا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ، ويحتمل أن يقال : يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض ،أي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه»[٥] .

آداب الصدقة :ـ

• مدار هذه الآداب علىٰ الإحسان الذي هو أخصّ أبواب الدين كله :

• **أولاً : فهم معناها ، ووجه الامتحان فيها :**

فاعلم يا أخي أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود ، وشرط تمام الوفاء به لا يبقىٰ للموحد محبوب سوىٰ الواحد

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسىٰ .
(٢) سورة البقرة الآية (١٧٧) .
(٣) سورة الأنفال آية (٣) .
(٤) سورة المنافقون آية (١٠) .
(٥) « إحياء العلوم الدين » (١/ ٢٥٣) .

الفرد ، فإن المحبة لا تقبل الشركة ، وإنما يمتحن المحب بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم ، وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب ، واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم، و لذلك قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ (١) .

ولهذا تصدق أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ بجميع ماله ، ووفّىٰ ـ رضي اللَّه عنه ـ بتمام الصدق فلم يمسك سوىٰ المحبوب عنده وهو اللَّه ورسوله .

ولما كانت الصدقة عن ظهر غنىٰ ، وكان الغنىٰ نوعان : مادي ومعنوي وهو أعلاهما وهو لخواص الناس ، فاز بقصب السبق من كان غنىٰ النفس ولو كان طاويًا .

وهذا لخواص الناس ، بل لخواص خواصهم ، وهُم من كان عياله علىٰ شاكلته ، يؤثرون كما يؤثر ، ويصبرون كما يصبر ، ولقد كان للأنصار في هذا شأن عجيب امتدحهم اللَّه من أجله ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(٢) .

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال : إني مجهود ، فأرسل إلىٰ بعض نسائه ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلىٰ أخرىٰ ، فقالت مثل ذلك ، حتىٰ قُلن كلهن مثل ذلك : لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء فقال النبي ﷺ : « **من يُضيف هذا الليلة ؟** » ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول اللَّه ، فانطلق به

(١) سورة التوبة الآية (١١١) .
(٢) سورة الحشر الآية (٩) .
(٣) أي أصابني الجهد ، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع .

إلىٰ رحله، فقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول اللَّه ﷺ . وفي رواية قال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبياني ، قال : فعلّليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنوّميهم ، وإذا جاء ضيفنا فأطفئي السراج ، وأريه أنا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيفُ وباتا طاويَيْن ، فلما أصبح غدا[1] علىٰ النبي ﷺ فقال : « **لقد عجب اللَّه من صنيعكما بضيفكما الليلة** »[2] .

● ودون هذا القسم درجة : المسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات ، فيكون قصدهم في الادخار والإنفاق علىٰ قدر الحاجة دون التنعيم ، وصرف الفاضل عن الحاجة إلىٰ وجوه البر مهما ظهر وجوهها .

● ومن فهم معناها أنها طهرة من البخل والشح :

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[3] .

و قال رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاث منجيات : خشية اللَّه تعالى في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والقصد في الفقر والغنى ، وثلاث مهلكات : هوى متّبع ، وشح مطاع ، وإعجاب المرء بنفسه** »[4] .

و قال ﷺ : « **وأي دواء أدوى من البخل** »[5] .

---

(١) أي جاء صباحًا .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة الحشر الآية (٩) .

(٤) حسن : رواه أبو الشيخ في « التوبيخ » ، والطبراني في « الأوسط » وحسنّه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٣٥) ، و« الأحاديث الصحيحة » رقم (١٨٠٢) .

(٥) صحيح : رواه أحمد والبخاري من رواية جابر عن أبي بكر موقوفًا عليه ، ورواه الحاكم عن أبي هريرة ، وزواه البخاري في « الأدب » ، والطبراني في « الأوسط » ، والخطيب عن جابر ، والطبراني في « الأوسط » ، والخرائطي عن كعب بن مالك ، والطبراني في « الكبير » ، و«الأوسط» عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٩٨١) .

وإنما تزول صفة البخل بأن تتعوّد بذل المال ، فحبّ الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً ، فالصدقة بهذا المعنى طهرة ، أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المُهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله، وبقدر فرحه بإخراجه ، واستبشاره بصرفه إلى اللَّه تعالى ، ففي الصدقة طهر عن رذيلة البخل وأدران الشح ، ووصمة القسوة ، وإكتساب للين والعطف على المحتاجين ومن فهم معناها شكر النعمة ، وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضُيّق عليه الرزق وأحوج إليه ، ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدي شكر اللَّه تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه بإخراج شيء من ماله .

• **ثانياً : أن تكون الصدقة من كسب طيب :**

فإن اللَّه طيب لا يقبل إلا طيّبًا ، وأن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه .

وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب ، إذ قد يُمسك الجيّد لنفسه أو لعبده أو لأهـله فيكون قد آثر على اللَّه عزوجـلّ غيره ، هذا إن كان نظره إلى اللَّه عزوجلّ ، وإنْ كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة ، فليس بعاقل من يُؤثر غيره على نفسه ، وليس له من مال إلا ما تصدّق به فأبقى أو أكل فأفنى ، والذي يأكله قضاء وطر في الحال ، فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار ، وقد قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ** ﴾ (١) ، وقد ذم اللَّه تعالى قوماً جعـلوا للَّه ما يكرهـون ، فقـال تعالى : ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا**

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٧) .

يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ (١) وقد جاء عن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه أهدىٰ جملاً في أنفه حلقه فضة من أكرم أنواع الإبل قد أعطي فيه ثمانين بعيراً ، ولما سئل عن ذلك ، وقيل له : كان يكفيك غيره ، قال : أردت إغاظة المشركين .

وروىٰ مالك في « الموطأ » عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يقول لبنيه : « يا بني لا يهدينّ أحدكم من البُدن شيئًا يَستحي أن يهديه لكريمه ، فإن اللَّه أكرم الكرماء ، وأحق من اختير له» .

• ومما يراعي في الصدقة الكيف لا الكمّ ، والصورة التي تقع بها من سماحة النفس ، ورغبة الإحسان ، لا بالكثرة و المظهر والتكاثر ، ولذا فقد يسبق الدرهم الواحد مائة ألف درهم من حيث الفضل والأجر .

• ثالثا : أن لا يُفسد صدقته بالمنّ والأذى :ـ

قال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ** ﴾ (٢) .

واختلفوا في حقيقة المنّ والأذىٰ ، فقيل : المنّ أن يذكرها ، والأذىٰ أن يظهرها ، وقال سفيان : مَن منّ فسدت صدقته ، فقيل له : كيف المَنّ ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به .

وقيل : المنّ أن يستخدمه بالعطاء ، والأذىٰ أن يعيرّه بالفقر .

قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ : « وعندي أن المنّ له أصل ومغرس ، وهو من أحوال القلب وصفاته ، ثم يتفرّع عليه أحوال ظاهرة علىٰ اللسان والجوارح ، فأصله أن يرىٰ نفسه محسنًا إليه ومنعمًا عليه ، وحقه أن يرىٰ الفقير محسنًا إليه بقبول حق اللَّه عزوجلّ منه الذي هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهنًا به ، فحقه أن يتقلّد منّة الفقير إذ جعل

---

(١) سورة النحل الآية (٦٢) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٦٤) .

كفّه نائبًا عن اللَّه عز وجلّ في قبض حق اللَّه عز وجلّ .

ومهما عرف المعاني الثلاثة في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنًا إلا إلىٰ نفسه ؛ إما ببذل ماله إظهاراً لحب اللَّه تعالىٰ ، أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل ، أوشكراً علىٰ نعمة المال طلبًا للمزيد ، وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتىٰ يرَ نفسه محسنًا إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأىٰ نفسه محسنًا إليه تفرّع منه علىٰ ظاهره ما ذُكر في معنىٰ المنّ وهو : التحدثّ به ، وإظهاره ، وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس والمتابعة في الأمور ؛ فهذه كلها ثمرات المنة ، ومعنىٰ المنّة في الباطن ما ذكرناه .

وأما الأذىٰ : فظاهره التوبيخ والتعيير ، وتخشين الكلام ، وتقطيب الوجه ، وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه ـ وهو منبعه ـ أمران :

أحدهما : كراهيته لرفع اليد عن المال وشدّة علىٰ نفسه ، فإن ذلك يضيّق الخلق لا محالة .

والثاني : رؤيته أنه خير من الفقير ، وأن الفقير لسبب حاجته أخسّ منه وكلاهما منشؤه الجهل .

أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأنّ من كره بذل درهم في مقابل ما يساوي ألفًا فهو شديد الحمق ، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا اللَّه عز وجلّ والثواب في الدار الآخرة ، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكراً لطلب المزيد ، وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها .

وأما الثاني : فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر علىٰ الغنىٰ

وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير . . .

• فإنْ قلتَ : فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض ، فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنًا ؟ فاعلم أنّ له علامة دقيقة واضحة ، وهو أن يقدّر أن الفقير لو جنىٰ عليه جناية أو مالأ عدوا له عليه مثلاً ، هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له علىٰ استنكاره قبل التصدّق ؟ فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنّة لأنه توقّع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك .

• فإنْ قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه ؟ فاعلم أن له دواءً باطنًا ودواءً ظاهرًا .

• أما الباطن : فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب ، وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول .

• وأما الظاهر : فالأعمال التي يتعاطاها متقلّد المنّة ، فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق ، ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائمًا بين يديه يسأله قبولها حتىٰ يكون في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لوْ ردّه .

وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفّه وتكون يد الفقير هي العليا . .

وكانت عائشة وأم سلمة ـ رضي اللَّه عنهما ـ إذا أرسلتا معروفًا إلىٰ فقير قالتا للرسول : احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردّان عليه مثل قوله ، وتقولان : هذا بذاك حتىٰ تخلص لنا صدقتنا ، فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله ، وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم .

ولا دواء من حيث الظاهر إلاّ هذه الأعمال الدّالة على التذلل والتواضع وقبول المنّة ، ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها ؛ هذا من حيث العمل ، وذلك من حيث العلم .

«ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل ، وهذه الشريطة - من الصدقات - تجري مجرى الخشوع من الصلوات »[1] .

وللّه در القائل :

تـراه إذا مـا جئـته متـذلـلاً كـأنـك تَعطيه الذي أنت سـائـلهُ

• قال الفضيل بن عياض : « مَن المعروف أن ترى المنّة لأخيك عليكَ إذا أخذ منكَ شيئًا ؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضًا فإنه خصّك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك » .

• وكان الليث بن سعد يقول : مَن أخذ مني صدقة أو هدية فحقّه عليّ أعظم من حقي عليه ؛ لأنه قبل مني قرباني إلى اللّه عز وجلّ .

• وقال معاذ النسفي - رحمه اللّه - : مَنْ لم ير نفسه أحوج إلى ثواب صدقته ، فهو ممن أبطل صدقته بالمنّ ؛ لأنه رأى نفسه على الفقير .

أخي : لا تنهر سائلاً ، فلو عرفت ما يحمله لك من الخير لحملته في فؤادك ، لا على رأسك .

فقد كان سفيان الثوري - رحمه اللّه - : ينشرح إذا رأى سائلاً على بابه ويقول : مرحبًا بمن جاء يغسل ذنوبي .

• وكان الفضيل بن عياض يقول : يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة ، حتى يضعوها في الميزان بين يدي اللّه تعالى .

---

(١) « الإحياء » (١/ ٢٥٦-٢٥٧) .

• وكان بكر بن عبد اللَّه المزني يطعم الضيف ثم يكسوه إذا أراد الانصراف ، و يقول : إنّ فضل إجابته إلىٰ طعامي أعظم مما صنعت أنا معه .

قالت أسماء بنت خارجة : ما مددت رجلي بين يدي جليس لي قط ، ولا صنعتُ طعامًا قطّ فدعوت عليه قومًا ، إلاّ كانوا أمنّ عليّ مني عليهم ، ولا نصب لي رجل وجهه قط يسألني شيئًا فاستكثرت شيئًا أعطيته إياه .

• وكان سعيد بن العاص : يسمرمع سمّاره إلىٰ أن ينقضي حينٌ من الليل ، فانصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم ، فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال : حاجَتك يا فتىٰ ؟ فذكر أن عليه ديْنًا أربعة آلاف درهم ، فأمر له بها ، وكان إطفاؤه الشمعة أكثر من عطائه [1] .

• قال سعيد بن العاص : قبّح اللَّه المعروف إنْ لم يكن ابتديء من غير مسألة ، فالمعروف عِوضٌ عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه ، فقلبه خائف ،وفرائصه ترتعد ، وجبينه يرشح ، لا يدري أيرجع بنُجح الطلب،أم بسوء المنقلب ، قد إنتُقع لونه ، وذهب دم وجهه ، اللهم إن كانت الدنيا لها عندي حظًا فلا تجعل لي حظًا في الآخرة .

• قال عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنه ـ: واللَّه لرجل ذكرني ، ينام علىٰ شقة مرة وعلىٰ شقة أخرىٰ ، يراني موضعًا لحاجته ، لأوجبَ عليّ حقًا إذا سألنيها مني إذا قضيتها له .

• وقال عبد العزيز بن مروان : إذا أمكنني الرجل من نفسه حتىٰ أضع معروفي عنده ، فيده عندي أعظم من يدي عنده ، وأنشد لابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ :

---

(١) « العقد الفريد » (١/ ٢٩٩ ـ ٢٠٠) .

إذا طارقاتُ الهمِّ ضاجعتِ الفتى وأعملَ فكرَ الليلِ والليل عاكرُ
وباكرني في حاجةٍ لم يكن لها سوايَ ولا من نكبةِ الدهر ناصرُ
فَرَجْتُ بمالي همَّهُ عن خناقه وزايله الهمُّ الطَروقُ المساورُ
وكان له فضلٌ عليّ بظنِّه بِي الخيرَ إنيّ للذي ظنّ شاكرُ

رابعـًا : استصغار العطيـّة :ـ

فإنه إن استعظمها أُعجب بها ، والعُجب من المهلكات وهو محبط للأعمال ، ويقال : إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند اللَّه عز وجلّ ، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند اللَّه عز وجلّ ، وقيل : لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور : تصغيره وتعجيله وستره .

وليس الاستعظام هو المَنّ والأذىٰ ، فإنه لو صرف ماله إلىٰ عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المَنّ والأذىٰ ، بل العُجب والاستعظام يجري في جميع العبادات ، ودواؤه علم وعمل .

● أما العلم : فهو أن يعلم أن الصدقة قليل من كثير فهو جدير أن يستحي منه فكيف يستعظمه ؟ وإن ارتقىٰ إلىٰ الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلىٰ ماذا يصرفه ؟ فالمال للَّه عز وجلّ ، وله المنّة عليه إذْ أعطاه ووفّقه لبذله فلم يستعظم في حق اللَّه تعالىٰ ما هو عين حق اللَّه سبحانه ؟ وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلىٰ الآخرة وأنه يبذله للثواب فلمَ يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه ؟ .

● وأما العمل : فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بإمساك بقية ماله عن اللَّه عز وجلّ ، فتكون هيئته الانكسار والحياء ، كهيئة من يطالب بردّ وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض ، لأن المال كله للَّه عز وجلّ ، وبذلك جميعه هو الأحب عند اللَّه سبحانه وإنما يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب

بخله ، كما قال اللَّه عز وجلّ : ﴿ فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ﴾ [(١)] [(٢)] .

قالوا : أَحْيِ معروفَك بإماتة ذِكْره ، وعظِّمْهُ بالتصغير له .

• قال الربيع : ناول الشافعي إنسان رقعة يقول فيها : إنني بقّال ، رأس مالي درهم ، وقد تزوجت فأعنّي . فقال : يا ربيع ، أعطه ثلاثين ديناراً واعذرني عنه ، فقلت : أصلحك اللَّه ، إن هذا يكفيه عشرة دراهم ، فقال: ويحك ! وما يصنع بثلاثين ؟ أفي كذا ، أم في كذا ـ يعد ما يصنع في جهازه ـ أعطه .

خامساً : الإخلاص .. والنيـة الصالحة :ـ

قد يدرك العبد بالنيّة الصالحة ، ما يحصل للمتصدق بالمال الكثير ، كما جاء في حديث أبي كبشة الأنماري ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « **ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده اللَّه عز وجلّ عزّا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح اللَّه عليه باب فقر ، وأحدّثكم حديثاً فاحفظوه : إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه اللـّه مالاً وعـلماً فهو يتقـي فيه ربّه ، ويـصل فيه رحمه ، ويعمل للّه فيه حقاً ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه اللّه تعالى علماً ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النّية ، يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ، فأجرهما سواء ، وعبد رزقه اللّه مالا ولم يرزقه علماً يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعمل للّه فيه حقاً فهذا بأبخث المنازل ، وعبد لم يرزقه اللّه مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فـلان ، فهـو بنيّته فـوزرهما سواء** »[(٣)] .

(١) « الإحياء » بتصرف (١/ ٢٥٧ـ٢٥٨) .
(٢) سورة محمد الآية (٣٧) .
(٣) صحيح : رواه أحمد في « مسنده » ، والترمذي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٠٢١) ، و« تخريج المشكاة » (٥٢٨٧) .

فقد أدرك صاحب النية الحسنة من الفضل والمنزلة مثل ما أدركه صاحب المال الذي يعرف حق اللَّه فيه ويصل به رحمه .

عن مغيرة قال : إن كان أويس القرني ليتصدق بثيابه حتىٰ يجلس عُريانًا لا يجد ما يروح فيه إلىٰ الجمعة .

وعن أصبغ بن زيد : كان أويس إذا أمسىٰ تصدّق بما في بيته من الفضل من الطعام والشراب ، ثم قال : « اللهم من مات جوعًا فلا تؤاخذني به ، ومَن مات عريًا فلا تؤاخذني به »[١] .

وكان يقول في دعائه : « اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عار ، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلاّ ما في بطني ، وليس لي شيء من الدنيا إلا ما علىٰ ظهري » ، ولم يكن علىٰ ظهره حينذاك إلا خرقة .

سادسًا : أن يطلب بصدقته من تزكو به الصدقة :-

- فيُعطيها للأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي** »[٢] .

وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الزهاد دون غيرهم فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل ، فقال : لا ، هؤلاء قوم هممهم للَّه سبحانه فإذا طرقتهما فاقة تشتت هم أحدهم ، فلأن أرد همة

(١) « السير » (٤/ ٣٠) ، و « الحلية » (٢/ ٨٤) ، (٢/ ٨٧) .

(٢) حسن : رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن حبان ، والحاكم عن أبي سعيد ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٢١٨) .

واحد إلى اللَّه عز وجلّ أحبّ إليّ من أن أعطي ألفًا ممن همته الدنيا ، فذُكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه ، وقال : هذا وليّ من أولياء اللَّه تعالى ، وقال : ما سمعتُ منذ زمان كلامًا أحسن مِنْ هذا ، ثم حُكي أن الرجل اختلّ حاله وهمّ بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالاً ، وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فإن التجارة لا تضرّ مثلك ؛ وكان هذا الرجل بقّالاً لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه .

أعطى الليث بن سعد لمنصور بن عمار شيخ الوعاظ والزهاد ـ لما استمع لوعظه وبكى ـ كيساً فيه ألف دينار ، وقال له : « يا أبا السري خذ هذا إليك ، وصن هذا الكلام أن تقف به على أبواب السلاطين ، ولا تمدحنّ أحدًا من المخلوقين بعد مدحتك لرب العالمين ، ولك في كل سنة مثلها ، فقال له منصور : رحمك اللَّه قد أنعم إليّ وأحسن ، قال : لا تردّ عليّ شيئًا أصلِك به ، فقبضتها وخرجت ، قال : لا تبطئ عليّ ، فلما كان في الجمعة الثانيه أتيته فقال لي : اذكر شيئًا ، فأخذت في مجلس لي فتكلمت، فبكى الشيخ وكثر بكاؤه ، فلما أردت أن أقوم قال : انظر ما في ثني الوسادة، فإذا خمسمائة دينار ، فقلت : رحمك اللَّه عهدي بصلتك بالأمس ، قال : لا تردّ عليّ شيئًا أصلِك به ، متى أراك ؟ قلت : الجمعة الداخلة ، قال : كأنك فتّت عضواً من أعضائي ، فلما كانت الجمعة الداخلة أتيته مودّعًا ، فقال لي : خذ في شيء أذكرك به ، فتكلمت فبكى الشيخ وكثر بكاؤه ، ثم قال : يا منصور انظر ما في ثني الوسادة فإذا ثلثمائة دينار قال : أعدها للحج، ثم قال : يا جارية هاتي ثياب إحرام ، إحرام منصور ، فجاءت بإزار فيه أربعون ثوبًا ، فقلت : رحمك اللَّه ! أكتفي بثوبين ، فقال لي : أنت رجل كريم فيصحبك قوم فأعطهم ، وقال للجارية التي تحمل الثياب معه ، وهذه الجارية لك .

وقال منصور بن عمار أيضًا : «دخلت على الليث بن سعد يومًا وعلى رأسه خادم يغمزه ، فخرج ، ثم ضرب الليث بيده إلى مصلاه فاستخرج من تحته كيسًا فيه ألف دينار ثم رمى بها إليّ ، ثم قال : يا أبا السري لا تُعلم بها ابني فتهون عليه »[١] .

وقال عبد اللَّه بن المبارك للفضيل بن عياض : « لولاك وأصحابك ما اتّجرت ، وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم »[٢] .

• ويعطيها لأهل العلم وطلبته خاصة ، فإن ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحّت فيه النيّة .

عن حبّان بن موسى قال : عُوتب ابن المبارك فيما يفرّق من المال في البلدان دون بلده ، فقال : إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث ، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم ، احتاجوا ، فإنْ تركناهم ضاع علمهم ، وإن أعنّاهم بثّوا العلم لأمة محمد ﷺ ، لا أعلم بعد النبوة أفضل من بثّ العلم . وأعطى الليث بن سعد أسدد بن موسى دنانير ليدفعها إلى بعض أصحاب الحديث ممن يراه مستحقًا لها ، وأعطى مالك ابن أنس وابن لهيعة وكان يصلهم على الدوام .

• ويُعطي الصدقة لمن كان مستترًا مخفيًا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممّن ذهبت نعمته وبقيت عادته ، فهو يعيش في جلباب التجمّل ، قال اللَّه تعالى : ﴿ **يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** ﴾[٣] أي لا يلحّون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم ، أعزة بصبرهم ، وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل

---

(١) « حلية الأولياء » (٧/ ٣٢٠-٣٢١) .

(٢) « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٥٨) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٧٣) .

الدين في كل محلّة ويستكشف عن بواطن أهل الخير والتجمّل ، فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال .

قال القاضي التنوخي : خرج رجلان من المدينة ، يريدان عبد اللَّه بن عامر بن كُرَيز للوفادة عليه : أحدهما من ولد جابر بن عبد اللَّه الأنصاري ، والآخر من ثقيف ، وكان عبد اللَّه عَاملا بالعراق لعثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ ، فأقبلا يسيران ، حتى إذا كانا بناحية البصرة قال الأنصاري للثقفي : هل لك في رأي رأيته ؟ قال : اعرضه ، قال : نُنخ رواحلنا ونتوضأ ونصلي ركعتين ، نحمد اللَّه عز وجلّ فيهما على ما قضى من سفرنا ، قال له : نعم ، هذا الرأي الذي لا يرد ، قال : ففعلا ، ثم التفت الأنصاري إلى الثقفي فقال له : يا أخا ثقيف ، ما رأيك ؟ قال : وأي موضع رأي هذا ؟ قضيت سفري ، وأضنيت بدني ، وأتعبت راحلتي ، ولا مؤمل دون ابن عامر ، فهل لك في رأي غير هذا ؟ قال : نعم ، إنني لمّا صليت فكّرت فاستحييت من ربي أن يراني طالب رزق من عند غيره ، ثم قال : اللهم رازق ابن عامر ارزقني من فضلك ، ثم ولىّ راجعًا إلى المدينة ، ودخل الثقفي إلى البصرة ، فمكث على باب ابن عامر أيامًا ، فلما أذن له دخل عليه ، وكان قد كُتب إليه من المدينة بخبرهما ، فلما رآه رحّب به وقال : ألم أخبر أن ابن جابر خرج معك ؟ فأخبره ما كان منهما ، فبكى ابن عامر وقال : واللَّه ما قالها أشرًا ولا بطرًا ولكن رأى مجرى الرزق ومخرج النعمة ، فعلم أن اللَّه عز وجلّ هو الذي فعل ذلك فسأله من فضله، ثم أمر للثقفي بأربعة آلاف وكسوة ، وأضعف ذلك للأنصاري ،

فخرج الثقفي وهو يقول :

أُمامةُ ما سَعْيُ الحريصِ بزائدٍ — فَتيلاً ولا عَجْزُ الضعيف بضائرِ
خرجنا جميعاً من مساقطِ روسنا — على ثقة منا بجُودِ ابن عامرِ
فلمّا أنخنا الناعجات ببابــه — تأخرّ عني اليثربي ابن جابرِ
وقال ستكفيني عطيةُ قادرٍ — على ما يشاء اليوم للخلق قاهرِ
فإن الذي أعطى العراقَ ابن عامر — لَرَبِّي الذي أرجو لِسَدِّ مَفَاقِري
فلما رآني قال أين ابن جابر — وحنّ كما حنّتْ عرابُ الأباعرِ
فأضعفَ عبدُ اللّه إذْ غابَ حظّه — على حَظٍّ لهفَان من الحرصِ فاغرِ

ســابعاً : آداب الصدقة تدور حول محور واحد : مصلَحة المسكيَن :ـ

يقول الشيخ عطية محمد سالم : « إن لكل عبادة آدابها الخاصة بها والتي تتلاءم مع مشروعيتها وتأديتها الغرض منها ، ولو تأملتها لوجدتها في كل عبادة كالجزء المتمم لها .

وآداب الصدقة تدور حول محور واحد : مصلحة المسكين . أي كما أن الصدقة إرفاق بالمساكين ، فكذلك آدابها متممة لهذا الإرفاق ، ومكملة ومجملة له ، فمنها الآتي :

• ما ينص على أن ما ينافي الإرفاق بالمسكين يتنافى مع مشروعية الصدقة تماماً بل يبطلها ، كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ** ﴾ (١) .

• ومنها امتداح الذين يحاذرون إيذاء الفقراء بشيء من ذلك في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٤) .
(٢) سورة البقرة الآية (٢٦٢) .

• ومنها جعل كلمة معروف بدون بذل المال خير من صدقة يتبعها أذىٰ كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى** ﴾ (١) .

إن أهم ما يحرص عليه الإسلام مع الفقير والمسكين لَهُوَ حِفْظُ كرامته وعزة نفسه ، ألا ترىٰ في الزكاة المفروضة والتي هي حق له في مال الغني أعفاه من كلفة المطالبة بها ، وجعل ذلك على رسول اللَّه ﷺ : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً** ﴾ (٢) ، ومعلوم أنه لن يأخذها لنفسه ولا لأهل بيته ، وإنما هي كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ..... ﴾ الآية فإذا كان في الفرض الواجب له ، فما بالك بالمندوبة والتطوع ؟ ولهذا كان في الحديث « **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما أنفقت شماله** » . أي يخفيها حتىٰ علىٰ بعض جوارحه ، فعلىٰ إخوانه وأولاده من باب أولىٰ ، ثم علىٰ بقيّة الناس أولىٰ وأحرىٰ (٣) .

ثامنًا : بيان إخفاء الصدقة وإظهارها :ـ

قال الشيخ عطية سالم :

قال تعالىٰ : ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ (٤) .

فالنص في عمومه يعطيك الخير بين إبدائها وإخفائها ، ولكن مع الإخفاء قيد إتيانها الفقراء .

قال بعض العلماء : إبداؤها راجع للفريضة لإظهار شعائر الإسلام وليتأسىٰ به الآخرون وإخفاؤها راجع لصدقة التطوع ، ولأن الفرض

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٦٣) .
(٢) سورة التوبة الآية (١٠٣) .
(٣) « في ظلال عرش الرحمن » (١٧٤ـ١٧٦) .
(٤) سورة البقرة الآية (٢٧١) .

واجب فلا منة له فيه .

والذي يظهر لي والعلم عند اللَّه : أن إبداءها جاء مطلقًا عن قيد الجهة ، وإخفاؤها جاء مقيداً بصنف وهم الفقراء .

وعليه نقول : سواء كانت الصدقة فرضًا أو تطوعًا نظرنا إلىٰ مصرفها فإن كان عامًا لا يختص بإنسان بعينه كالجهاد ،و لبيت المال لغارم أو منقطع ، فلا مانع من إبدائها .

● وإذا كانت لإنسان بعينه ، وشخص بذاته ، فإن إخفائها وإيتاءها إليه خفية حتىٰ ولو علىٰ نفسه هو ، كأن يضعها في جيبه وهو لا يشعر بمن وضعها ولا متىٰ وضعها حفاظًا علىٰ شعوره ونفسه .

فهو الذي يتم معه قوله تعالىٰ : ﴿ **فهو خير لكم** ﴾ ، سواء المعطي لبعده عن الرياء أو الغرور أو محبة وانتظار الثناء من الآخذ ، بل يقطع علىٰ نفسه كل طرق التعلق بغير إرادة وجه اللَّه تعالىٰ ، وهو الذي أحق بالوصف بعد ﴿ **ويكفر عنكم من سيئاتكم** ﴾ ، ويأتي التذييل ليوقظ ضميره إيقاظًا تامًا ﴿ **واللَّه بما تعملون خبير** ﴾ ، بأعمالكم وبما أردتم وكيف عملتم .

● قال الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ : « قد اختلف طريق طلاب الإخلاص في ذلك ، فمال قوم إلىٰ أن الإخفاء أفضل ، ومال قوم إلىٰ أن الإظهار أفضل ، ونحن نشير إلىٰ ما في كل واحد من المعاني والآفات ، ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه .

● أما الإخفاء ففيه معان :

الأول : أنه أبقىٰ للستر علىٰ الآخذ ، فإن أخذه ظاهراً هتك لستر المروءة، وكشف عن الحاجة ، وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف .

الثاني : أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم ، فإنهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء ، أو ينسبونه إلىٰ أخذ زيادة ، والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر ، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولىٰ ، قال أيوب السختياني : إني لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسداً ، وعن إبراهيم التيمي : أنه رؤي عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : مِنْ أين لك هذا ؟ فقال : كسانيه أخي خيثمة ولو علمت أن أهله علموا به ما قبلته .

الثالث : إعانة المعطي علىٰ إسرار العمل ، فإن فضل السر علىٰ الجهر في الإعطاء أكثر والإعانة علىٰ إتمام المعروف معروف ، والكتمان لا يتم إلا باثنين ، فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي . ودفع رجل إلىٰ بعض العلماء شيئًا ظاهراً فردّه إليه ، ودفع إليه آخر شيئًا في السرّ فقبله ، فقيل له في ذلك ، فقال : إن هذا عمل الأدب في إخفاء معروفه فقبلته ، وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه ، وقال الثوري : لو علمت أن أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدّث بها لقبلت صدقته .

الرابع : إن في إظهار الأخذ ذلاً وامتهانًا وليس للمؤمن أن يذل نفسه . كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية ويقول : إنّ في إظهاره إذلالاً للعلم وامتهانًا لأهله فما كنتُ بالذي أرفع شيئًا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله .

• **أما الإظهار والتحدث بـه** (١) ففيه معان :

الأول : الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة .

والثاني : إسقاط الجاه والمنزلة ، وإظهار العبودية والمسكنة ، والتبري

(١) بالنسبة لقابض الصدقة .

عن الكبرياء ، ودعوىٰ الاستغناء ، وإسقاط النفس من أعين الخلق .

والثالث : هو أن العارف لا نظر له إلا إلىٰ اللَّه عزوجلّ ، والسر والعلانية في حقه واحد ، والالتفات إلىٰ الخلق حضروا أم غابوا نقصان في الحال ، بل ينبغي أن يكون النظر مقصوراً علىٰ الواحد الفرد .

الرابع : أن الإظهار إقامة لسنة الشكر ، وقد قال تعالىٰ : ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ [(١)] ، وأعطىٰ رجل بعض الصالحين شيئًا في السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل . .

فالآن إذا عرفت هذه المعاني فاعلم أن ما نُقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافًا في المسألة بل هو اختلاف حال ، فكشف الغطاء في هذا أنا لا نحكم حُكْمًا بتّا بأن الإخفاء أفضل في كل حال أو الإظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النّيات ، وتختلف النّيات باختلاف الأحوال والأشخاص ، فينبغي أن يكون المخلص مراقبًا لنفسه حتىٰ لا يتدلىٰ بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطمع ومكر الشيطان .

قال يوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفًا كنت أسرّ به منك ، ورأيت ذلك نعمة من اللَّه عز وجلّ عليّ فاشكر وإلا فلا تشكر .

قال الغزالي : « قد بالغ في فضل الإخفاء جماعة حتىٰ اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي ، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمىٰ ، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرىٰ المعطي ، وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم ، وبعضهم كان يوصل إلىٰ يد الفقير علىٰ يد غيره بحيث لا يعرف المعطي ، وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه ، كل ذلك توصلاً إلىٰ إطفاء غضب الرب واحترازاً من الرياء والسمعة ، ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلىٰ وكيل ليسلم إلىٰ المسكين ، والمسكين لا يعرف أولىٰ ؛ إذ في معرفة المسكين الرياء

---

(١) سورة الضحىٰ الآية (١١) .

والمنّة جميعًا ، وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء » .

وقال الغزالي عن إبـداء الصدقـة : « أن يظهـر حيث يعلم أن في إظهاره ترغيبًا للناس في الاقتداء ويحرس سرّه من داعية الرياء ، وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار ، بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سرّه عن الرياء بقدر الإمكان ، وهذا لأن في الإظهار محذوراً ثالثًا سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير » .

ورقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الرقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذي يُقال فيه : إن تعلّم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمل ، وبالجهل به تموت عبادة العمل كله وتتعطل ، فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الأحمر الذي يُتحدث به ولا يرىٰ .

قال عبد العزيز بن أبي روّاد : كان يُقال ثلاثة من كنوز الجنة : « كتمان المرض ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصائب » .

وقال ابن أبي الجعد : إن الصدقة لتدفع سبعين بابًا من السوء ، وفضل سرها علىٰ علانيتها بسبعين ضعفًا .

وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه .

وقال يحيىٰ بن معاذ : ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبّة من الصدقة .

● وقال عُبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجـوع ما كانوا قـط ،

وأعطش ما كانوا قط ، وأعرىٰ ما كانوا قط ، فمن أطعم للَّه عز وجلّ أشبعه اللَّه ، ومن سقىٰ للَّه عز وجلّ سقاه اللَّه ، ومن كسا للَّه عز وجلّ كساه اللَّه .

وقال الشعبي : « من لم يَر نفسه إلىٰ ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلىٰ صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه »[١] .

جبال النور والبــر :ـ

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّهﷺ : « **ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر** » فبكىٰ أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول اللَّه ؟ [٢] .

● وقال عمر بن الخطاب : أمرنا رسول اللَّه ﷺ يومًا أن نتصدّق فوافق ذلك مالاً عندي فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقتُه يومًا ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك ؟** » فقلت : مثله ، قال : وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك ؟** » قال : أبقيت لهم اللَّه ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا »[٣] .

زين العابدين بــن الحســين ـ رضى اللَّه عنهما ـ :

قال عنه أبو حمزة الثمالي : كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز علىٰ ظهره بالليل ، فيتصدّق به ،ويقول : إن صدقة السرّ تطفئ غضب الرب عز وجلّ .

(١) « إحياء علوم الدين » بتصرف (١/ ٢٦٨ـ٢٧١ ، ٢٦٧) .
(٢) صحيح : رواه ابن ماجه وأحمد ، وابن أبي عاصم في « السنة » ، وابن حبان ، وابن أبي شيبة في «المصنف» ، والنسائي في « فضائل الصحابة » .
(٣) حسن : أخرجه الترمذي والدارمي وابن أبي عاصم وعبد بن حُميد فىٰ « المنتخب » .

وعن شيبة بن نعامة : كان علي بن الحسين يُبَخّل ، فلما مات وجدوه يقوّت مائة أهل بيت بالمدينة .

قال جرير : إنه حين مات وجدوا بظهره آثارًا مما كان يحمل بالليل الجرب إلى المساكين .

وقال عمرو بن ثابت : لما مات علي بن الحسين فغسّلوه ؛ جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره ، فقالوا : ما هذا ؟ فقيل : كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره ، يعطيه فقراء أهل المدينة .

وعن محمد بن إسحاق : كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤتون به في الليل .

وعن ابن عائشة قال : قال أبي : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات علي بن الحسين (١) .

شيخ الإسلام ابن المبارك من الكرماء الأخفياء :ـ

قال عنه محمد بن عيسى : كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرقّة في خان ، فكان شاب يختلف إليه ، ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث ، فقدم عبد اللّه مرّة فلم يره ، فخرج في النفير مستعجلاً ، فلما رجع سأل عن الشاب ، فقال : محبوس على عشرة آلاف درهم ، فاستدل على الغريم ، ووزن له عشرة آلاف ، وحلّفه ألا يخبر أحدًا ما عاش ، فأُخرج الرجل ، وسرى ابن المبارك ، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرّقة ، فقال له : يا فتى ، أين كنت ، لم أرك ؟ قال : يا أبا عبد الرحمن ، كنت محبوسًا بديْن ، قال : وكيف خلصت ؟ قال :

---

(١) « حلية الأولياء » (٣/ ١٣٥ـ١٣٦) .

جـاء رجل فقضى دَيْنـي ولم أدر ، قال : فاحمـد اللَّه ، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد اللَّه [١] .

عبد الرحمن بن الحارث فقيه الآخرة :-

ورث عبد الرحمن بن الحارث خمسين ألفًا ، فبعث بها سرًّا إلىٰ إخوانه وقال : قد كنتُ أسأل لهم الجنة في صلاتي ، فأبخل عليهم بالدنيا ! !

وللَّه در الإمام الرباني شيخ خراسان أبي حفص النيسابوري حيث يقـول : « ما استحق اسم السخاء مَن ذكر العطاء أو لمحه بقلبه » .

جـابـر عثرات الكرام : عكرمة الفيّاض الرّبعي :-

قال أبو القاسم التنوخي :

كان في أيام سليمان بن عبد الملك رجل يُقال له : خزيمة بن بشر ، من بني أسد بالرّقة ، وكان له مروءة ونعمة حسنة ، وفضل وبّر بالإخوان ، فلم يزل علىٰ تلك الحال حتىٰ احتاج إلىٰ إخوانه الذين كان يتفضّل عليهم ، فواسَوْه حينًا ثم ملّوه ، فلما لاح تغيرهم أتىٰ امرأته - وكانت ابنة عمه - فقال لها : يا ابنة عمي ، قد رأيت من إخواني تغيراً ، وقد عزمت علىٰ لزوم بيتي إلىٰ أن يأتيني الموت ، ثم إنه أغلق بابه ، وأقام يتقوّت حتىٰ نفد ، وبقي حائرًا في حاله ، وكان عكرمة الفياض الربعي واليًا علىٰ الجزيرة ، فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد ، إذْ جرىٰ ذكر خزيمة بن بشر في مجلسه ، فقال عكرمة : ما حاله ؟ فقالوا : صار من سوء الحال إلىٰ أمر لا يوصف ، فأغلق بابه ولزم بيته ، فقال الفيّاض : فما وجد خزيمة بن بشر مواسيًا ولا مكافئًا؟ ! قالوا : لا ، فأمسك ، ثم لما كان الليل عمد إلىٰ أربعة آلاف دينار ، فجعلها في كيس واحد ، ثم أمر بإسراج دابته ، وخرج سراً

(١) « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٥٩) .

من أهله ، فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ، ثم سار حتىٰ وقف بباب خزيمة ، ثم أخذ الكيس من الغلام ، ثم أبعده عنه ، وتقدّم فدفعه بنفسه ، فخرج إليه خزيمة ، فناوله الكيس ، وقال : أصلح بهذا شأنك ، فتناوله ، فرآه ثقيلاً ، فوضعه ، ثم أمسك بلجام الدابة ، وقال له : مَن أنت جُعلت فداك ؟ فقال : يا هذا ؛ ما جئتك في هذه الساعة وأنا أريد أن تعرفني ، قال خزيمة : فما أقبله أوْ تعرّفني مَن أنت ، قال : أنا جابر عثرات الكرام ، قال زدني ، قال : لا مزيد . ثم مضىٰ ، ودخل خزيمة بالكيس إلىٰ امرأته فقال لها : أبشري فقد أتىٰ اللَّه بالفرج والخير ، ولو كان هذا فلوسًا فهو كثير ، قومي فأسرجي ، قالت : لا سبيل إلىٰ السراج ، فبات يلمسها فيجد خشونة الدنانير ولا يصدّق ، فرجع عكرمة إلىٰ منزله فوجد امرأته قد افتقدته وسألت عنه ، فأُخبرت بركوبه منفردًا ، فارتابت فشقت جيبها ولطمت خدّها ، فلما رآها علىٰ تلك الحال قال لها : ما دهاك ؟ قالت : يا ابن عمي ، غدرت ؟ قال : وما ذاك ؟ قالت : أمير الجزيرة يخرج بعد هدوء من الليل منفردًا عن غلمانه ، في سرّ من أهله إلاّ إلىٰ زوجة أو سرِّية ؟ قال : لقد علم اللَّه ما خرجت إلىٰ واحدة منهما ، قالت : فخبرّني فيم خرجت ؟ قال : يا هذه ، لم أخرج في هذا الوقت ، وأنا أريد أن يعلم بي أحد ، قالت : لا بدّ أن تخبرني بالقصة ، قال : فاكتميه إذاً ، قالت : أفعل ، فأخبرها بالقصة علىٰ وجهها ، وما كان من قوله له وردّه عليه ، ثم قال لها : أتحبين أن أحلف لك ؟ قالت : لا ، فإن قلبي قد سكن إلىٰ ما ذكرت ، فلما أصبح خزيمة صالح الغرماء ، وأصلح حاله ، ثم تجهّز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين ، فلما وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه - وكان مشهور المروءة ، وكان سليمان به عارفًا فأذن له ، فلما دخل عليه وسلّم بالخلافة ، قال : يا خزيمة ، ما أبطأك عنّا ؟ قال : سوء الحال ،

قال : فما منعك من النهضة إلينا ؟ قال : ضعفي ، قال : فبم نهضت؟ قال : لم أعلم بعد هدوء من الليل إلا ورجل طرق بابي ، فكان منه كيْت وكيْت ، وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها ، فقال له : هل تعرفه ؟ قال : ما عرفته يا أمير المؤمنين ، وذلك أنه كان متنكّرًا ، وما سمعت منه إلا : «جابر عثرات الكرام » فتلهف سليمان على معرفته ، وقال : لو عرفناه لأعنّاه على مروءته ، ثم قال : علي بقناة ، فعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة التي على عمل عكرمة الفياض ، فخرج خزيمة طالبًا الجزيرة ، فلما وصل إليها خرج عكرمة وأهل بلده للقائه فسلّم عليه ، ثم صارا جميعًا إلى أن دخلا جميعًا ، فنزل خزيمة دار الإمارة ، وأمر أن يُؤخذ عكرمة بكفيل وأن يُحاسب ، فحوسب فوجد عليه فضول كثيرة ، فطالبه بأدائها ، قال : مالي إلى شيء منها سبيل ، فنزل خزيمة دار الإمارة . قال : لا بد منها . قال : ماهي عندي ، فاصنع ما أنت صانع ، فأمر به إلى الحبس ، ثم بعث إليه يطالبه ، فأرسل إليه : لست ممن يصون ماله بعرضه ، فاصنع ما شئت ، فأمر به فكبِّل بالحديد وضُيِّق عليه وأقام كذلك شهرًا أو أكثر ، فأضناه ذلك وأضرّ به ، وبلغ ابنة عمه ضرّه ، فجزعت واغتمت لذلك ، ثم دعتْ مولاةً لها ذات عقل ، فقالت : امضي الساعة إلى باب هذا الأمير خزيمة بن بشر ، فإذا دخلتِ عليه ، فسليه أن يخليك ، فإذا فعل فقولي له : ما كان هذا جزاء « جابر عثرات الكرام » منك أن كافأته بالحبس والضيق والحديد ، ففعلت ذلك ، فلما سمع خزيمة قولها قال : واسوءتاه وإنه لهو ؟ قالت : نعم ، فأمر من وقته بدابته فأسرجت ، وبعث إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وأتى بهم إلى الحبس ففتح ، ودخل خزيمة ومَنْ معه ، فلقي عكرمة في قاعة الحبس متغيّرًا قد أضناه الضرّ ، فلما نظر إليه عكرمة وإلى الناس أحشمه ذلك فنكّس رأسه إليه وقال : ما أعقب هذا منك ؟ قال : كريم

فعالك وسوء مكافأتي ، قال : يغفر اللَّه لنا ولك ، ثم أمر بالحديد ففكّ القيد عنه ، وأمر خزيمة بوضعه في رجله نفسه ، فقال عكرمة : تريد ماذا ؟ قال : أريد أن ينالني من الضرّ مثل ما نالك ، فقال : أقسم عليك باللَّه ألاّ تفعل ، فخرجا جميعًا إلىٰ أن وصلا دار خزيمة ، فودّعه عكرمة وأراد الانصراف ، فقال له : ما أنت ببارح ، قال : فماذا تريد ؟ قال : أغيّر من حالك ما رث ، وحيائي من ابنة عمك أشد من حيائي منك ، ثم أمر بالحمام فأخلي فدخلا جميعًا ، ثم قام خزيمة فتولىٰ خدمته بنفسه ، ثم خرجا فخلع عليه فجمّله ، فحمل إليه مالاً كثيرًا ، ثم سار معه إلىٰ داره فاستأذن في الاعتذار من ابنة عمه فأذن له ، فاعتذر إليها ، وتذمم من ذلك ، ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه إلىٰ أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرملة فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر ، فراعه ذلك ، وقال : والي الجزيرة يقدم بغير أمرنا ؟ ما هذا إلا لحادث عظيم ، فلما دخل عليه قال له قبل أن يسلّم عليه : ما وراءك يا خزيمة ؟ قال : خير يا أمير المؤمنين . قال : فما الذي أقدمك ؟ قال : ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسَرّك لما رأيت من تلهّفك عليه وتشوّقك إلىٰ رؤيته ، قال : ومَنْ هو ؟ قال : عكرمة الفيّاض ، فأذن له بالدخول ، فدخل وسلمّ عليه بالخلافة ، فرحبّ به ، وأدناه من مجلسه ، فقال له : يا عكرمة ما كان خيرك لخزيمة إلا وبالاً عليك ، ثم قال له : اكتب حوائجك كلها وما تختاره في رقعة ، قال : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا بد من ذلك ، ثم دعا بدواة وقرطاس وقال : اعتزل واكتب جميع حوائجك ، ففعل ذلك ، فأمر بقضائها جميعًا من ساعته ، وأمر له بعشرة آلاف دينار ، وبسفطيْن ثيابًا ، ثم دعا بقناة ، وعقد له علىٰ الجزيرة وأرمينية وأذريجَان ، وقال له : أمر خزيمة إليك ، إن شئت أبقيته ، وإن شئت عزلته . قال : بل أرده إلىٰ عمله ، ثم انصرفا

جميعًا ، ولم يزالا عاملَيْن لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته[١] .

شمس الدين بن المنيِّر وإخفاؤه للصدقة :ـ

هو الإمام العالم العامل الزاهد شمس الدين بن المنير البعلي الشافعي .

قال عنه نجم الدين الغزي : « كان يجلس في حانوته ببعلبك ، وفي كل يوم يضع من كسبه من الدنانير والدراهم والفلوس في أوراق ملفوفة ، ويضع الأوراق في مكان عنده ، وإذا وقف عليه الفقراء أعطاهم من تلك الأوراق ما يخرج من يده لا ينظر في الورقة المدفوعة ولا في الفقير المدفوع إليه »[٢] .

شيخ الإسلام زكريا الأنصاري واعتقاد الناس قلة صدقته لخفائها :ـ

قال عنه صاحب « الكواكب السائرة » : « كان ـ رضي اللَّه عنه ـ كثير الصدقة مع إخفائها ، وكان له جماعة يرتب لهم من صدقته ما يكفيهم إلىٰ يوم ، وإلىٰ جمعة ، وإلىٰ شهر ، وكان يبالغ في إخفاء ذلك ، حتىٰ كان غالب الناس يعتقدون في الشيخ قلة الصدقة ، وكان إذا جاءه سائل بعد أن كفّ بصره يقول لمن عنده من جماعته : هل هنا أحد ؟ فإن قال له : لا ، أعطاه ، وإن قال له : نعم ، قال له : قل له يأتينا في غير هذا الوقت »[٣] .

تعرّف إلى اللَّه في الرخاء يعرفك في الشدة :ـ

قال الشيخ عطية سالم : « أخبرني الشيخ عبد الحميد عباس ـ وهو رجل فاضل لا يتهم علىٰ خبر قال : وقع لامرأة من جماعة النخاولة كانت تسير في طريق بضواحي قباء فانخسف تحتها « دبل » وهو مجرىٰ الماء في

---

(١) « المستجاد من فعلات الأجواد » لأبي القاسم التنوخي (ص١٨ ـ ٢٢) .
(٢) « الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة » لنجم الدين الغزيّ (٢/ ٣٩ ـ ٤٠) .
(٣) « الكواكب السائرة » (١/ ١٩٦ ـ ٢٠٧) .

قناة تحت الأرض ، فسقطت ، وسحبها الماء إلىٰ جانبه ، وأمسكت بحجر وجلست عليه ، ومكثت أربعة أيام ، ومرّ شخص في ذلك المكان ، فسمع صوتًا فنزل وأخرجها ، ثم سألها أهلها كيف كنت تعيشين ؟ فقالت : إن «طاسة» الحليب التي كنتُ أعطيها للعجائزة كانت تأتيني كل يوم ، وكانت هذه المرأة عندها غنم ، ولها جيران نسوة عجائز ، فكانت تعطيهم «طاسة حليب» من غنمها »(١) .

قصة أغـرب من الخيال في جزاء الإنفاق والصدقة :ـ

قال الإمام الشوكاني في كتابه «البدر الطالع» : ـ

«قال صاحب «مطلع البدور» وهو الذي حكىٰ صفة الكتاب الواصل إلىٰ الإمام المطهر من الفقيه محمد بن الأصم : أنه اتفقت في زمن الإمام المذكور قصة عجيبة ونكتة غريبة في بلد تُسمىٰ «الحمرة» وذلك أنه كان فيها رجل من «الزرعة» وكان ذا دين وصدقة ، واتفق أنه بنىٰ مسجداً يصلي فيه، وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج ، وبعشائه ، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء وإلا أكله وصلىٰ صلاته ، واستمر علىٰ ذلك الحال ، ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار ، وكانت له بئر ، فلما قلّ ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده ، فخربت تلك البئر والرجل فيٰ أسفلها خرابًا عظيمًا حتىٰ أنه سقط ما حولها من الأرض إليها ، فأيس منه أولاده ولم يحفروا له وقالوا : قد صار هذا قبره ، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها ، فوقعت إلىٰ بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه ، فأقام في ظلمة عظيمة ، ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذي كان يحمله إلىٰ المسجد ، وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة وكان به يفرّق

---

(١) «في ظلال عرش الرحمن» (ص١٨٩) .

ما بين الليل والنهار ، واستمرّ له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال ، ثم إنه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها ، فحفروها حتى انتهوا إلى أسفلها ، فوجدوا أباهم حيًّا فسألوه عن حاله ، فقال لهم : السراج والطعام الذي كنت أحمل إلى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة !!

فعجبوا من ذلك ، فصارت قضية موعظة يتعظ بها الناس في أسواق تلك البلدة »[١] .

ملوحظة : في الحديث قوله : « **حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ١٧١) : « هكذا وقع في معظم الروايات في البخاري وغيره ، ووقع في « صحيح مسلم » مقلوبًا : « **حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله** » . قال عياض : هكذا في جميع النسخ التي وصلت إلينا من «صحيح مسلم» وهو مقلوب أو الصواب الأول وهو وجه الكلام لأن السنة المعهودة في الصدقة إعطاؤها باليمين ، وقد ترجم عليه البخاري في الزكاة «باب الصدقة باليمين» . قال : ويشبه أن يكون الوهم فيه ممن دون مسلم . . . انتهى . . وليس الوهم فيه ممن دون مسلم ولا منه بل هو من شيخه أو شيخ شيخه يحيي القطان .

* * *

(١) « البدر الطالع » للشوكاني (١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣) .

رجل ذكر الله خاليًا

ففاضت عيناه

رجل ذكر الله خاليًا

ففاضت عيناه

• الذكر منشور الولاية ، الذي من أُعطيه اتّصل ،ومَن منعه عُزل ، وهو قوت قلوب القوم،الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً ، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بوراً .

• وهو منزل القوم الذي منه يتزوّدون ، وفيه يتّجرون،وإليه دائمًا يترددون ، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطّاع الطريق ، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق،ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب،والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علاّم الغيوب .

إذا مرضنا تداوينا بذكركـــمُ ونتـــركُ الذكرَ أحيانًا فننتــكسُ

• به يستدفعون الآفات ،ويستكشفون الكربات ،وتهون عليهم به المصيبات .

إذا أظلهم البلاء فإليه ملجؤهم ،وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلّبون ،ورءوس أموال سعادتهم التي بها يتّجرون ،يدع القلب الحزين ضاحكًا مسروراً ، ويوصل الذاكر إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكوراً .

• وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة ، و« الذكر » عبودية القلب واللسان وهي غير مؤقتة ، بل هم يُؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال؛ قيامًا وقعوداً وعلى جنوبهم ، فكما أن الجنة قيعان ، وهو غراسها ، فكذلك القلوب بور خراب ، وهوعمارتها وأساسها .

• وهو جلاء القلوب وصقالها ، ودواؤها إذا غشيها اعتلالها ، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ، ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا .

وإذا واطأ في ذكره قلبه للسانه ، نسي في جنب ذكره كل شيء ، وحفظ اللَّه عليه كل شيء ، وكان له عوضًا من كل شيء .

• به يزول الوقر عن الأسماع ، والبكم عن الألسن ، وتنقشع الظلمة عن الأبصار ، زيَّن اللَّه به ألسنة الذاكرين ، كما زيّن بالنور أبصار الناظرين .

• وهو باب اللَّه الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ، مالم يغلقه العبد بغفلته .

قال الحسن البصري ـ رحمه اللَّه ـ : تفقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة ، وفي الذكر ، وقراءة القرآن ، فإن وجدتم . . . وإلا فاعلموا أن الباب مغلق .

• ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره .

قال ذو النون : ما طابت الدنيا إلا بذكره ، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته

إليك وإلاَّ لا تُشَدُّ الركائبُ ومنك وإلا فالمؤمَّل خائبُ

وفيك وإلا فالغرام مُضيَّعٌ وعنك وإلا فالمحدِّث كاذب

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [١] .

قال ابن عباس : « إن اللَّه لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها

(١) سورة الأحزاب الآيتان (٤١ ـ ٤٢) .

حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال عذر ، غير الذكر ، فإن اللّه لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله ، فقال : ﴿ **فاذكروا اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم** ﴾ ، وبالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، و السرّ والعلانية ، وعلى كل حال ، وقال : ﴿ **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً** ﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته »(١) .

• وقال تعالى : ﴿ **واذكروا اللّه كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً** ﴾(٢) .

• قال رسول اللّه ﷺ : « **أحب الأعمال إلى اللّه أن تموت ولسانك رطب من ذكر اللّه** »(٣) .

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **سبق المفرّدون** »(٤) قالوا : وما المفردون يارسول اللّه ؟ قال : الذاكرون اللّه كثيراً والذاكرات »(٥) .

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **إن الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها ، إلا ذكر اللّه وما والاه وعالماً أو متعلماً** »(٦) .

---

(١) « تفسير الطبري » (٢٢/ ١٣) .
(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٥) .
(٣) حسن : رواه ابن حبان وابن السني في « عمل اليوم والليلة » والطبراني في «الكبير » والبيهقي في « شعب الإيمان » عن معاذ ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (١٦٥) .
(٤) المفردون : الذين ذهب القرن الذي كانوا فيه ، وبقوا هم يذكرون اللّه . قال ابن الأعرابي : فرّد الرجل إذا تفقّه ، واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي .
(٥) رواه مسلم والترمذي .
(٦) حسن : رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ،وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٦٠٩) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا استيقظ الرجل من الليل ، وأيقظ أهله وصليا ركعتين كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات** »(١) .

• وقال ﷺ : « **أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ؛ فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن** »(٢) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء ، وذكرك في الأرض** »(٣) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبّح الله بحمده ، إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم** »(٤) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **مثل البيت الذى يُذكر الله فيه ، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت** »(٥) .

• وفي حديث يحيىٰ بن زكريا « ... **وأمركم بذكر الله كثيراً ، ومَثَل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في أثره ، فأتى حصنًا حصينًا فأحرز نفسه فيه ، وإن العبد أحصن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى** » .

• وعن عطاء بن يسار قال : سمعت أبا هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن

---

(١) صحيح : رواه أبو داود والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم في « المستدرك » عن أبي هريرة وأبي سعيد معًا ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٣) .
(٢) صحيح : رواه الترمذي والنسائي والحاكم عن عمرو بن عبسة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٧٣) .
(٣) حسن : رواه أحمد عن أبي سعيد ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٥٤٣)

روحك أي راحتك .
(٤) حسن : رواه ابن السني ، وأبو نعيم في الحلية عن عمرو بن عبسة ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٥٩٩) .
(٥) رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى .

النبي ﷺ قال : « **ثلاثة لا يردّ دعاؤهم : الذاكر الله كثيراً ، ودعوة المظلوم ، والإمام المقسط** »[١] .

• وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - مرفوعًا « **ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم ، وخير لكم من إعطاء الورِق والذهب ، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم** ؟ قالوا : بلىٰ ، قال : **ذكر الله** »[٢] .

• وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **يقول الله عز وجل : أنا مع عبدي ما ذكرني ، وتحرّكت بي شفتاه** »[٣] .

• وعن عبد الله بن شداد أن نفرًا من بني عُذْرة ثلاثة ، أتوا النبي ﷺ فأسلموا ، قال : فقال النبي ﷺ : « **مَن يكفينيهم ؟** » قال طلحة : « أنا » فكانوا عند طلحة ، فبعث النبي ﷺ بعثًا ، فخرج فيه أحدهم فاستشهد ، قال : ثم بعث بعثًا ، فخرج فيهم آخر ، فاستشهد ، قال : ثم مات الثالث علىٰ فراشه ، قال طلحة : « فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنة ، فرأيت الميت علىٰ فراشه أمامهم ، ورأيت الذي استشهد أخيراً يليه ، ورأيت الذي استشهد أولهم آخرهم » قال : « فدخلني من ذلك ، قال : فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له » قال : فقال رسول الله ﷺ : « **وما أنكرت من ذلك ؟ ليس أحد أفضل عند الله من المؤمن يُعمَّرُ في**

---

(١) حسن : رواه البيهقي في « شعب الإيمان » عن أبي هريرة - رضي الله عنه - وحسنه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٣٠٦٤) .

(٢) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم ، وصححه ووافقه الذهبي ، ورواه أحمد والبيهقي ، وحسّنه المنذري والبغوي ، وصححه الألباني .

(٣) صحيح : رواه البخاري تعليقًا ، ومسندًا في أفعال العباد ، ورواه أحمد والطبراني وابن ماجه والحاكم وابن حبان والبيهقي في « الدلائل » ، والبغوي في « شرح السنة » وقال محققه : حديث حسن صحيح .

الإسلام لتسبيحه ، وتكبيره وتهليله »[١] .

• وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « خرج معاوية على حلْقة في المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر اللَّه ، قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آللهِ ما أجلسنا غيره ، قال : أمَا إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول اللَّه ﷺ أقلّ عنه حديثًا مني ، وإن رسول اللَّه ﷺ خرج على حلقة من أصحابه ، فقال : «**ما أجلسكم ؟** » ، قالوا : جلسنا نذكر اللَّه ، ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومَنّ به علينا ، قال : « **آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟** » ، قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك ، قال : « **أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل ، فأخبرني أن اللَّه عز وجل يباهي بكم الملائكة** »[٢] .

• وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت اللَّه ، يتلون كتاب اللَّه ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ،وحفّتهم الملائكة ،وذكرهم اللَّه فيمن عنده**»[٣] .

• وعن سهل بن الحنظلية ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**ما اجتمع قوم على ذكرٍ فتفرقوا عنه إلا قيل لهم : قوموا مغفوراً لكم** »[٤] .

• وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يقول اللَّه تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ،وإن تقرّب إليّ**

---

(١) صحيح : رواه أحمد والضياء في « المختارة » ،وقال الألباني : إسناده حسن وهو صحيح على شرط مسلم .
(٢) رواه مسلم والترمذي والنسائي .
(٣) صحيح : رواه أبو داود عن أبي هريرة ،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٠٩) .
(٤) صحيح : رواه الحسن بن سفيان عن سهل بن الحنظلية ،وصححه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٥٥٠٧) .

شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقرّبت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » [١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **قال اللّه تعالى :لا يذكرني عبد في نفسه إلا ذكرته في ملأ من ملائكتي ،ولا يذكرني في ملأ، إلاّ ذكرته في الرفيق الأعلى»** [٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما عمل آدمي عملاً ، أنجي له من عذاب اللّه من ذكر اللّه »**[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لأن أقعد مع قوم يذكرون اللّه تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس ، أحب إليّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون اللّه من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحبّ إلي من أن أعتق أربعة»**[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ يسبح اللّه مائة تسبيحة، فيكتب اللّه له بها ألف حسنة،ويحط عنه بها ألف خطيئة»**[٥] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **الطهور شطر الإيمان ، والحمد للّه تملأ الميزان ، وسبحان اللّه ، والحمد للّه تملآن ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه، فمعتقها أو موبقها »**[٦] .

---

(١) رواه أحمد ، والبخاري ومسلم ،والترمذي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٢) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » عن معاذ بن أنس ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣٣٥) .

(٣) صحيح : رواه أحمد عن معاذ ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٤٤) .

(٤) حسن : رواه أبو داود عن أنس ،وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٠٣٦) .

(٥) رواه أحمد ومسلم والنسائي عن سعد .

(٦) رواه أحمد ومسلم ،والترمذي عن أبي مالك الأشعري .

• وقال رسول الله ﷺ : « **عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، واعقدن بالأنامل ؛ فإنهن مسئولات مستنطقات ،ولا تغفلن فتنسين الرحمة** » (١) .

• وقال رسول الله ﷺ : « **إن أفضل عباد الله يوم القيامة الحمّادون** » (٢) .

• وقال رسول الله ﷺ : «**من قال : سبحان الله العظيم وبحمده ، غُرِست له بها نخلة في الجنة** »(٣) .

• وقال رسول الله ﷺ : «**من قال : سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرّة ، حُطّتْ خطاياه ،وإن كانت مثل زبد البحر** »(٤) .

• وقال رسول الله ﷺ : «**مَن ضنّ بالمال أن ينفقه ، وبالليل أن يكابده ، فعليه بسبحان الله وبحمده** »(٥) .

• وقال رسول الله ﷺ : «**ما على الأرض أحد يقول،لا إله إلا الله،والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ،إلا كُفّرتْ عنه خطاياهُ، ولو كانت مثل زبد البحر**»(٦) .

• وقال رسول الله ﷺ : «**كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** » (٧) .

---

(١) حسن : رواه الترمذي ،والحاكم عن يسيرة ،وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٠٨٧) .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن عمران بن حصين ،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٥٧١) .

(٣) صحيح : رواه الترمذي ، وابن حبان ، والحاكم عن جابر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤٢٩) .

(٤) رواه أحمد والبخاري ومسلم ، والترمذي ،وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٥) صحيح : رواه أبو نعيم في « المعرفة » عن عبد الله بن خبيب ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٣٧٧) .

(٦) حسن : رواه أحمد ،والترمذي عن ابن عمرو ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٣٦) .

(٧) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ،والترمذي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أحب الكلام إلى اللّه تعالى أربع : سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر ، ولا يضرّك بأيهن بدأت** »(١) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أكثر من لا حول ولا قوة إلا باللّه ؛ فإنها من كنز الجنة** »(٢) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أفضل الذكر لا إله إلا اللّه ، وأفضل الدعاء الحمد للّه** »(٣) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أكثروا من غرس الجنة ، فإنه عذب ماؤها ، طيب ترابها، فأكثروا من غراسها ، لا حول ولا قوة إلا باللّه** »(٤) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا أدلك علي غراس هو خير من هذا ؟ تقول سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر ، يُغرس لك بكل كلمة منها شجرة في الجنة** »(٥) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : «**ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا باللّه ، فيقول اللّه : أسلم عبدي واستسلم** »(٦) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك اللّه الليل**

---

(١) رواه أحمد ، ومسلم عن سمرة بن جندب .

(٢) صحيح : رواه أبويعلي في « مسنده » ، والطبراني في « الكبير » ،وابن حبان في « صحيحه » عن أبي أيوب ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٠٥) .

(٣) حسن : رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ،وابن حبان ، والحاكم في « المستدرك » عن جابر ، وصححه الحاكم ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٠٤) .

(٤) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » عن ابن عمر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢١٣) .

(٥) صحيح : رواه ابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » ، عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٢٦١٣) .

(٦) صحيح : رواه الحاكم في « المستدرك » عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٦٠٤) .

مع النهار ؟ تقول : الحمد للَّه عدد ما خلق ، والحمد للَّه ملء ما خلق ، الحمد للَّه عدد ما فى السموات وما في الأرض ، الحمد للَّه عدد ما أحصى كتابه ، والحمد للَّه علي ما أحصى كتابه ، والحمد للَّه عدد كل شيء ، والحمد للَّه ملء كل شيء ، وتسبح اللَّه مثلهن ؛ تعلمْهُنّ وعلّمْهن عقبك من بعدك »[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « لأن أقول سبحان اللَّه ، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ، أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس »[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرّات ، لو وُزِنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان اللَّه وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته »[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد أقرئ أمتك مني السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان اللَّه ، والحمد اللَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر »[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « أتاني جبريل ، فقال : يا محمد : أما يُرضيك أن ربك عز وجل يقول : إنه لا يصلي عليك من أمتك أحد صلاة ، إلا صليتُ عليه بها عشراً ، ولا يُسلمّ عليك أحد من أمتك تسلِيمة ، إلا سّلمتُ عليه عشراً ؟ فقلت : بلى أيْ رب ! »[٥] .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٦١٥) .
(٢) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة .
(٣) رواه مسلم ، وأبو داود عن جويرية .
(٤) حسن : رواه الترمذي عن ابن مسعود ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥١٥٢) .
(٥) صحيح : رواه أحمد ،والنسائي ،وابن حبان ،والحاكم في « المستدرك » والضياء في «المختارة» عن أبي طلحة ،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أتاني آت من عند ربي عز وجل ، فقال : مَن صلى عليك من أمتك صلاة ، كتب اللّه له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وردّ عليه مثلها** » [١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من رجل يصلي عليّ مائة إلا غُفِر له** »[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **البخيل مِن ذكرتُ عنده فلم يصلّ عليّ** »[٣] .

﴿ ولذكر اللّه أكبر ﴾ :

اعلم أن جميع الأعمال إنما شُرعت لإقامة ذكر اللّه تعالىٰ ، والمقصود بها تحصيل ذكر اللّه تعالىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴾[٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾[٥] .

قال ابن تيمية : « الصحيح أن معنىٰ الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر ، فإنها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ، وهي مشتملة علىٰ ذكر اللّه تعالىٰ ، ولما فيها من ذكر اللّه أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر » .

---

(١) صحيح : رواه أحمد عن أبي طلحة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٧) .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » عن ابن عمر ، وصححه الألباني رقم (٥٧١٦) .

(٣) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » ، والحاكم في «المستدرك» عن الحسين ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٨٧٨) ، و« تخريج المشكاة » رقم (٩٣٣) ، وفضل الصلاة رقم (٢٩ ، ٣١) .

(٤) سورة طه الآية (١٤) .

(٥) سورة العنكبوت الآية (٤٥) .

• وذكر اللَّه تعالىٰ هو العمل الذي له تعلق بالعبادات والمعاملات وبالسر والعلن ، وهوالغاية من خلق الخلائق - الإنس والجن - في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] ، وجاء في آية أخرىٰ عن الدعاء ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي... ﴾[٢] فعادل العبادة بالدعاء ، ومعلوم أن الدعاء جزء من ذكراللَّه ، فهو أعم وأشمل ، ويلازم العبادات والعادات والمعاملات .

الذكر في العبادات :

يعتبرعموم الذكر في العبادات من جهة أنه لم يقيّد ، لا بعدد ، ولا بزمن ولا بحالة إلا الحالات التي لا تليق بمكانة ذكر اللَّه ، وهي قلائل .

وجاءت النصوص بالحث علىٰ الإكثار منه ، بينما العبادات محدودة .

قال تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٣] ، وقوله ممتدحًا عباده سبحانه : ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[٤] .

والذكر وحده : عبادة السر والجهر ، وعبادة النفس والفكر والقلب .

قال تعالىٰ : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾[٥] .

• كما أن الذكر لم يقيد بزمن كما تقيّدت العبادات الأخرىٰ ، أما

---

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦) .

(٢) سورة غافر الآية (٦٠) .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان (٤١ - ٤٢) .

(٤) سورة الأحزاب الآية (٣٥) .

(٥) سورة الأعراف الآية (٢٠٥) .

الذكر فكما قال تعالىٰ : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ ﴾(١) .

• كما أنه لم يقتصر علىٰ حالة معينة في صفة خاصة كما جاء في وصف أخصّ عباد اللَّه إلىٰ اللَّه تعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ . . . ﴾(٢) .

وعموم قوله تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(٣) .

• والذكر أعم أيضًا من عموم العبادات لأنه لاتخلو منه عبادة ، من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد . . . إلخ فهو داخل ضمن أركان الإسلام ؛ إما جزء فيها أو شرط لها :

أولاً : الشهادتان : قوامهما النطق بأفضل الذكر « لا للَّه إله إلا اللَّه » .

ثانيًا : الصلاة بمقدماتها وتوابعها :

مقدماتها : **أ ـ الطهارة** : قال ﷺ : « **لا وضوء لمن لم يذكر اسم اللَّه عليه**»(٤) .

وقال ﷺ : « **من توضأ فأسبغ الوضوء فقال** : **أشهد أن لا إله إلا اللَّه ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له أبواب الجنة ، يدخل من أيها شاء**»(٥) .

---

(١) سورة آل عمران الآية (٤١) .
(٢) سورة ال عمران الآية (١٩١) .
(٣) سورة النساء الآية (١٠٣) .
(٤) صحيح : رواه الترمذي عن سعيد بن زيد ، والترمذي في « العلل » عن أبي هريرة ، وأحمد والترمذي في « العلل » ، وابن ماجه والحاكم عن أبي سعيد ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٧٥٧٣) ، و« تخريج المشكاة» رقم (٤٠٤) .
(٥) صحيح : رواه النسائي وابن ماجه ،والحاكم عن عمر،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦١٦٤) .

وقال رسول اللَّه : « **من توضأ فأسبغ الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، اللَّهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فُتحت له ثمانيةُ أبواب الجنة ، يدخل من أيها شاء** »[(١)] .

ب ـ الأذان والإقامة : كلمات الأذان والإقامة كلها ذكر وتهليل وتكبير . . . إلخ نشيد سماوي بالتوحيد وإجلال المولىٰ ، يرفع به المؤذن صوته ، ويردده من سمعه من قاص ودان ، بل يسمعه الشجر والحجر والمدر ويشهد للناطق به .

جـ ـ والصلاة كلها ذكر : وبعد الفراغ من الصلاة أذكار . . . ويوم الجمعة خصوصًا قال تعالىٰ : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ** ... ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾[(٢)] .

ثالثًا الزكاة : فقد جاء ما يشعر بارتباطها بالذكر والدعاء في قوله تعالىٰ : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ** ... ﴾[(٣)] مع ما فيها من إخلاص النيّة للَّه عز وجل ولوازم ذكر اللَّه عمليًا في اختيار نوعية الزكاة باختيار الطيب الحلال .

رابعًا الصيام : وكله ذكر ومراقبة للَّه عز وجل ،ومن جهة أخرىٰ فشهر الصوم هوشهر الذكر بل أعظم ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ**

---

(١) صحيح : رواه الترمذي عن عمر ،وصححه الألباني في « الإرواء » (٩٦) ، و«صحيح الجامع» (٦١٦٧).

(٢) سورة الجمعة الآيتان (٩ ـ ١٠) .

(٣) سورة التوبة الآية (١٠٣) .

وبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[(١)] ، وكان جبريل عليه السلام يشارك في هذا الذكر إذ كان يأتي رسول اللَّه ﷺ في رمضان يدارسه القرآن .

كما خصّ ليله بقيام خاص .-«**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ..**» الحديث ، ثم يأتي مسك الختام بعيد الفطر : **﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾**[(٢)] .

خامسًا الحج : وقد قال فيه ﷺ : « **أفضل الحج : العج والثج** »[(٣)] .

ومن بداية الحج ذكر وتوحيد في هذا الشعار الروحي العظيم : « لبيك اللَّهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبّيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

ومناسك الحج من طواف وسعي والوقوف بعرفة وعند المشعرالحرام وفي منىٰ مع رمي الجمار ونحر الهدي وأيام منىٰ كلها أيام ذكر للَّه تعالىٰ ، وبعد المناسك كذلك ومسك الختام في ذلك قوله تعالىٰ : **﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾**[(٤)] .

فكل خطوة من خطوات الحج كلها ذكر للَّه عز وجل .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥) .
(٢) سورة البقرة الآية (١٨٥) .
(٣) حسن : رواه الترمذي عن ابن عمر ،وابن ماجه ،والحاكم والبيهقي في « سننه » عن أبي بكر ، والعقيلي عن ابن مسعود ، وحسنه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٥٠٠) ، و «صحيح الجامع» رقم (١١٠١) .
والعج : رفع الصوت بالإهلال والتكبير ، والثجّ : نحر الهدي .
(٤) سورة البقرة الآيات (١٩٨ - ٢٠٠) .

ارتباط الذكر بالعادات من مأكل ومشرب وملبس :

والذكر ملازم لمواطن الحلال والحرام ، بل والعادات من مأكل ومشرب وملبس ، ففي المأكل : « **يا غلام سمّ الله** » ، وفي حلّيّة بهيمة الأنعام : ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾[(١)] والآية الأخرىٰ : ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾[(٢)] فأحلها ذكر اللّه وحرّمها عدم ذكر اللّه .

سرٌّ لطيف :

الأصل في تحريم بهيمة الأنعام أن تكون ميتة ، ،وفيها علة ظاهرة وهي : مضرّة الأكل ولكن إذا ذكّيت ارتفعت المضرّة ، ولكن إذا لم يذكر اسم اللّه عليها فلا تُحلّ ، فهل من علة معلومة أم لا ؟

والواقع أن العلة هنا أهمّ من العلة في الميتة وذلك أن المطلوب من ذكر اللّه علىٰ بهيمة الأنعام وكل كائن حي حل أكله من الطيور والصيد هو أن الأصل في تلك الكائنات أنها ملك للّه تعالىٰ ، هو خالقها ورازقها ، أنزل لها الماء من السماء ، وأنبت لها المرعىٰ من الأرض ، وربّاها حتىٰ صارت صالحة لمنفعة الإنسان ، فكان حق اللّه تعالىٰ في هذه البهيمة أن لا يعتدىٰ عليها بذبح وإزهاق روح والانتفاع بها إلا بإذن من خالقها سبحانه ، وهو قول : « بسم اللّه واللّه أكبر » أي باسم اللّه أذبحها ، واللّه أكبر مني عليها ، وهو الذي سخرها لي فهو بمثابة الاستئذان ، وبمثابة العرفان للّه بالجميل والإنعام .

ولهذا يعتبرالشرع كل إزهاق للروح بدون ذكر اسم اللّه ميتة ، كما يعتبر الشرع أيضًا كل ذكر لغيراسم اللّه شركًا مع اللّه ، وبهذا يظهر عظمة

---

(١) سورة الأنعام الآية (١١٨) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٢١) .

السرّ في ذكر اسم اللَّه عند الذبح، سواء كان المذبوح بعيراً أو طيراً صغيراً.

لأن العلة هي إزهاق تلك النفس التي لا يملكها إلا خالقها »[١] وكذلك يُذكر اللَّه في حالة الحرب كما يذكر في حالة السلم .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[٢] .

وعند النسيان ليتذكر ما نسيه ﴿ **واذكر ربك إذا نسيت** ﴾ ، بل وفي كل الحالات .

رسول اللَّه سيد الذاكرين ... يذكر اللَّه على كل أحيانه :

عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : « كان رسول اللَّه ﷺ يذكر اللَّه تعالى على كل أحيانه »[٣] .

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ : « لم تستثن حالة من حالة ، وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته .

وأما حال التخليّ ؛ فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه ، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدلّ على مزيد الاعتناء بالذكر ، وأنه لا يخلّ به عند قضاء الحاجة وبعدها ، وكذلك شرع للأمة الذكر عند الجماع .

وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل ، فلا ريب أنه لا يُكْرَه بالقلب، لأنه لابد لقلبه من ذكر ،ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر مَن هو أحبّ شيء إليه ، فلوكلف القلب نسيانه ؛ لكان تكليفه بالمحال ، كما قال

(١) « في ظلال عرش الرحمن » (ص١٩٨) .
(٢) سورة الأنفال الآية (٤٥) .
(٣) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

القائل :

يُـــــراد من القلب نسيانكـــمْ وتأبى الطِّبـــاعُ على الناقـــل

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة ؛ فليس مما شُرع لنا ، ولا ندبنا إليه رسول اللَّه ﷺ ، ولا نُقل عن أحد من الصحابة - رضي اللَّه عنهم - ، ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء ، والمراقبة ، والنعمة عليه في هذه الحالة ، وهي من أجلّ الذكر ، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها ، واللائق بهذه الحال التقنُّع بثوب الحياء من اللَّه تعالى ، وإجلاله ، وذكر نعمته عليه ، وإحسانه إليه في إخراج هذا العدو المؤذي له ، الذي لو بقي فيه لقتله ، فالنعمة في تيسير خروجه ؛ كالنعمة في التغذي به .

وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التي مَنّ بها عليه ، وهي أجلّ نعم الدنيا ، فإذا ذكر نعمة اللَّه - تعالى - عليه بها ؛ هاج من قلبه هائج الشكر ، فالذكر رأس الشكر »[1] .

● وحتى في نومه ، فهو ذاكر للَّه عز وجل .

عن أنس - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه ﷺ : « كان تنام عيناه ، ولا ينام قلبه »[2] .

وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **يا عائشة ، إن عينيّ تنامان ولا ينام قلبي** »[3] .

الذكر عبادة الكائنات :

---

(١) صحيح : « الوابل الصيب » لابن القيم لسليم الهلالي (ص١٢٨ - ١٢٩) ، دار ابن الجوزي .

(٢) صحيح : رواه الحاكم في « المستدرك » عن ابن عباس وصححه هو ، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٨٠٦) .

(٣) رواه البخاري ، والنسائي ، ومالك وأحمد ، وأبو داود ، والطحاوي .

لم يقتصر الذكر بكونه عبادة الإنسان والملائكة والجن فقط بل هو - وحده - عبادة جميع الكائنات من أرض وسماء وشجر ومدر وجماد ونبات قال اللّه تعالى : ﴿ كل له قانتون ﴾ .

• وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ [1] .

وقال ﷺ : « **ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق اللّه إلا سبّح اللّه بحمده إلا ما كان من الشياطين وأغبياء بني آدم** » :

أولاً : الملائكة : قال تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ** ﴾ [2] .

ثانياً : السموات والأرض : قال تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ . . .** ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ **تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن . . .** ﴾ .

• قال القرطبي : « أعاد على السموات والأرض ضمير من يعقل لما أسند إليها من فعل العاقل وهو التسبيح » [4] .

ثالثاً : الجبال : ﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾ [5] .

وقال تعالى : ﴿ **يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ** ﴾ [6] ، وقال تعالى : ﴿ **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق** ﴾ [1] .

---

(١) سورة الإسراء الآية (٤٤) .
(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٠) .
(٣) سورة الجمعة الآية (١) .
(٤) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي (١٠/ ٢٦٦) .
(٥) سورة الأنبياء الآية (٧٩) .
(٦) سورة سبأ الآية (١٠) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أوشجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا** »(٢) .

رابعاً الرعد : قال تعالىٰ : ﴿ **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ** ﴾(٣) .

خامساً : الطعام :

عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « . . . ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل »(٤) .

قال ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ : « إن ذلك كان علىٰ عهد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم وقد اشتهر تسبيح الطعام وتسبيح الحصىٰ ، وحنين الجذع ، ولم يكذب رواتها »(٥) .

سادساً : الجن :

عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : خرج رسول اللَّه ﷺ علىٰ أصحابه فقرأ سورة الرحمن من أولها إلىٰ آخرها فسكتوا ، فقال : « **لقد قرأتها علي الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت علي قوله : ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد** »(١) .

---

(١) سورة ص الآية (١٨) .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (٢٣٦٣) .

(٣) سورة الرعد الآية (١٣) .

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام .

(٥) « فتح الباري » (٦/ ٥٩٢) .

سابعًا : تلبية الشجر : « **ما من ملب يلبي إلا لبى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا** » .

ثامنًا : الحيتان : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنه ليستغفر للعالِم من في السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان في البحر** »(٢) .

تاسعًا : النمل :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير** »(٣) .

عاشرًا : الخيل :

عن أبي ذر الغفاري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ « **إنه ليس من فرس عربي إلا يُؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين : اللَّهم إنك خوّلتني من خوّلتني من بني آدم ، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه** »(٤) .

الحادي عشر : الهدهد : يقص اللَّه علينا من إنكاره على قوم بلقيس ودعوته للتوحيد وذكره قال تعالى : ﴿ **أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ**

---

(١) صحيح : رواه الترمذي في « تفسير القرآن » باب سورة الرحمن ، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٦٢٤) .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه في مقدمه « سننه » باب : ثواب معلم الناس الخير ، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٥) .

(٣) صحيح : رواه الترمذي في « سننه » ـ كتاب العلم ـ باب في فضل الفقه على العبادة ، وصححه الترمذي في « الصحيحة » رقم (٢١٦١) .

(٤) رواه أحمد في « مسنده » ، والنسائي ،والحاكم في المستدرك » ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٢٤١٤) .

الْعَظِيمِ ﴾[١] .

الثاني عشر : عموم الطير :

قال تعالىٰ : ﴿ وَسَخَّرْنَا مع دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ... ﴾[٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ﴾[٣] .

الثالث عشر : الجماد : كما قال ابن كثير : « يخبر تعالىٰ أنه يسبح له من في السموات والأرض ؛ أي من الملائكة والأناسي والجان والحيوان حتىٰ الجماد كما قال تعالىٰ : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾[٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] قال ابن كثير : « أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه للَّه رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلىٰ قائل بل أطلقه ، فدل علىٰ أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد »[٦] .

أنواع الذكر :

الذكر والتذكّر ضد النسيان والغفلة ، وذكر اللَّه يصدق علىٰ كل ما يذكر العبده بربه ، فيكون به ذاكراً غير غافل ، سواءً كان باللفظ وباللسان أو كان بالفكر والتدبر .

قال النووي : « اعلم أن فضيلة الذكرغير منحصرة في التسبيح

---

(١) سورة النمل الآية (٢٦) .
(٢) سورة الأنبياء الآية (٧٩) .
(٣) سورة النور الآية (٤١) .
(٤) « تفسير القرآن العظيم » (٣/ ٢٩٧) .
(٥) سورة الزمر الآية (٧٥) .
(٦) « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٤/ ٦٩) .

والتهليل ، والتحميد والتكبير ونحوه ، بل كل عامل للَّه تعالىٰ بطاعته فهو ذاكر للَّه تعالىٰ ، كما قال سعيد بن جبير وغيره من العلماء .

وقال عطاء ـ رحمه اللَّه ـ : مجالس الذكر في الحلال والحرام : كيف تشتري ، وتبيع ، وتصلي ، وتصوم ، وتنكح وتطلّق ، وتحج وأشباه ذلك .

قال الشيخ عطية محمد سالم : « إن مقالة سعيد هذه كانت إجابة لقائل له : هلا اجتهدت في العبادة كما يجتهد بنو فلان ، يهجرون إلىٰ المسجد ويكثرون الصلاة والذكر ؟ فقال سعيد ـ رحمه اللَّه ـ مقالته مثل ما قال عطـــاء ـ رحمه اللَّه ـ » .

وللذكر أنواع متعددة مختلفة المراتب متفاوتة التأثير :

الأول : أعلى الذكر القرآن الكريم

قال تعالىٰ : ﴿ **صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ** ﴾ (١) .

والقرآن هو أحسن الحديث وهو الطيب من القول مزامير الأنس من حضرة القدس بألحان التوحيد في رياض التمجيد .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن للَّه تعالى أهلين من الناس** » قالوا : من هم يا رسول اللَّه ؟ قال : « **أهل القرآن هم أهل اللَّه وخاصته** » (٢) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **اقرءوا القرآن ، فإنكم تؤجرون عليه ، أما إني لا أقول: ﴿الم﴾ حرف ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر ، فتلك ثلاثون** » (٣) .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** » (١) .

---

(١) سورة القلم الآية (٥١) .

(٢) صحيح : رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم عن أنس ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» .

(٣) صحيح : رواه أبو جعفر النحاس في « الوقف والابتداء » ، والسجزي في « الإبانة » والخطيب عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١١٦٤) .

وقال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقوامًا ويضع به آخرين**»[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرؤه ويتتعتع فيه، وهوعليه شاق ، له أجران** »[٣]

وقال رسول الله ﷺ : «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ﴿ آلم ﴾ حرف،ولكن ألف حرف، ولام حرف ، وميم حرف**»[٤] .

وقال رسول الله ﷺ : «**من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»[٥] .

وقال رسول الله ﷺ : «**من علم آية من كتاب الله عز وجل كان له ثوابها ما تليت** »[٦] .

وقال ذو النورين عثمان بن عفان : « لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم » .

● قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾ [٧] ، قال مطرف بن عبد الله : هذه آية القرّاء .

---

(١) رواه أحمد ، والبخاري ، والترمذي ، وابن ماجه عن عثمان ، والترمذي عن علي .

(٢) رواه مسلم وابن ماجه عن عمر .

(٣) رواه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن ماجه عن عائشة .

(٤) صحيح : رواه البخاري في « التاريخ » ، والترمذي ، والحاكم عن ابن مسعود ، وصححه الألباني .

(٥) حسن : رواه أبو نعيم في « الحلية » ، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » .

(٦) صحيح : رواه أبو سهل القطّان في « حديثه عن شيوخه » وقال الألباني في « السلسلة الصحيحة» رقم (١٣٣٥) : هذا إسناد جيد عزيز .

(٧) سورة فاطر الآية (٢٩) .

الثاني والثالث : ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه عما لا يليق به وهما نوعان :

قال ابن القيم : « الذكر نوعان » :

أحدهما : ذكر أسماء الرب ـ تبارك وتعالىٰ ـ وصفاته ، والثناء عليه بهما ، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به ـ تبارك وتعالىٰ ـ وهذا أيضًا نوعان :

(**الثاني**) **أحدهما** : **إنشاء الثناء عليه بها من الذاكر** :

وهذا النوع هوالمذكور في الأحاديث نحو : « سبحان اللَّه ، والحمد للَّه ، ولا إله إلا اللَّه ، واللَّه أكبر » ، وسبحان اللَّه وبحمده » و« لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كل شيء قدير » ونحو ذلك .

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه[1] ، نحو « سبحان اللَّه عدد خلقه» ، فهذا أفضل من مجرد « سبحان اللَّه » ، وقولك « الحمد للَّه عدد ما خلق في السماء ، وعدد ما خلق ما في الأرض ، وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق » أفضل من مجرد قولك « الحمد للَّه » وهذا في حديث جويرية أن النبي ﷺ قال لها : « **لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وُزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهنّ : سبحان اللَّه عدد خلقه ، سبحان اللَّه رضى نفسه ، سبحان اللَّه زنة عرشه ، سبحان اللَّه مداد كلماته** » رواه مسلم .

الثالث : الخبر عن الرب ـ تعالى ـ بأحكام أسمائه وصفاته « حمد ، وثناء ، ومجد » :

نحو قولك : اللَّه ـ عز وجل ـ يسمع أصوات عباده ، ويرىٰ حركاتهم ،

---

(١) أفضله علىٰ الإطلاق بنص الحديث « لا إله إلا اللَّه » .

ولا تخفىٰ عليه خافية من أعمالهم ،وهوأرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم،وهو علىٰ كل شيء قدير ،وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته، ونحو ذلك .

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنىٰ به علىٰ نفسه، وبما أثنىٰ به عليه رسول اللَّه ﷺ ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل .

وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع : حمد ، وثناء ، ومجد .

فالحمد للَّه : الإخبارعنه بصفات كماله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ مع محبته والرضىٰ به فلا يكون المحب الساكت حامدًا، ولا المثني بلامحبة حامدًا حتىٰ تجتمع له المحبة والثناء ، فإن كرّر المحامد شيئًا بعد شيء ؛ كانت ثناء ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك ؛ كان مجدًا .

وقد جمع تعالىٰ ـ لعبده الأنواع الثلاثة في أول الفاتحة ، فإذا قال العبد ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ ؛ قال اللَّه : حمدني عبدي ، وإذا قال : ﴿ **الرحمن الرحيم** ﴾ ؛ قال : أثنىٰ عليّ عبدي ، وإذا قال : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ؛ قال : مجدّني عبدي .

الرابع : ذكر أمره ونهيه وأحكامه إخبارًا عنه .

قال ابن القيم عن النوع الثاني من الذكر: « من الذكر : ذكر أمره ونهيه وأحكامه .

وهو أيضًا نوعان :

أحدهما ذكره بذلك إخبارًا عنه بأنه أمر بكذا ،ونهىٰ عن كذا ،وأحب كذا،وسخط كذا ، ورضىٰ كذا .

الخامس : ذكره عند أمره ، فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه :

وهو النوع الثاني من الذكر الثاني الذي تكلم عنه ابن القيم فذكر أمره

ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر .

فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر ، فذكره أفضل الذكر ، وأجلّه ، وأعظمه . قال ابن القيم في « الوابل الصيب » (ص١٥٦) :

فائدة - فهذا الذكر - من الفقه الأكبر وما دونه - أفضل الذكر ؛ إذا صحّتْ فيه النّيّة .

السادس : ذكر آلائه ، وإنعامه ، و إحسانه ، وأياديه ومواقع فضله على عبيده :

قال ابن القيم : وهذا أيضًا من أجل أنواع الذكر .

قال ابن القيم عن أنواع الذكر - غيرالنوع الأول وهو القرآن - : فهذه خمسة أنواع .

السابع : ذكرالدعاء والاستغفار :

نحوقوله تعالى : ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ و« **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث** » .

والتعرض للدعاء والسؤال ،والتصريح به تضمنته الأذكار النبوية وجمعته مع غيره من أنواع الذكر .

وفي الحديث : « **أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله**»[1] .

قيل لسفيان بن عُيينة : كيف جعلها دعاء ؟ قال : أما سمعت قول أمية ابن أبي الصلت لعبد الله بن جُدعان يرجو نائله :

أأذكر حاجتي ، أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيمتك الحياء

---

(١) حسن : رواه الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن حبان ،والحاكم في « المستدرك » وصححه ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٠٤) .

إذا أثنى عليك المـرء يومــــًا كفــــاه من تعرضـــه الثنــــــاء

فهذا مخلوق ، واكتفى من مخلوق بالثناء عليه من سؤاله ، فكيف برب العالمين ؟

قال ابن القيم عن الأنواع السابقة لذكر الدعاء في « الوابل الصيب » (ص١٥٧) :

« الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه ، والدعاء سؤال العبد حاجته ، فأين هذا من هذا ؟

ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى ، والثناء عليه بين يدي حاجته .

فالدعاء الذي يقدمه الذكر والثناء ، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرّد ، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه ؛ كان أبلغ في الإجابة وأفضل ، فإنه يكون قد توسل المدعوّ بصفات كماله وإحسانه وفضله ، وعرّض - بل صرّح - بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته ، فهذا المقتضي منه ، وأوصاف المسئول مقتضى من الله ، فاجتمع المقتضي من السائل ، والمقتضى من المسئول في الدعاء ، وكان أبلغ وألطف موقعًا ، وأتم معرفة وعبودية .

وفي « الصحيحين » : أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : يا رسول الله علّمني دعاء أدعو به في صلاتي ، فقال : « **قل : اللّهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم** » .

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله ، والتوسل إلى ربه - عز وجل - بفضله وجوده ، وأنه المنفرد بغفران الذنوب ، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معًا ، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية »[1] .

(١) «صحيح الوابل الصيب» (ص١٥٧ - ١٦١) بتصرف .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أفضل العبادة الدعاء** »[١] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ليس شيء أكرم على اللَّه تعالى من الدعاء** »[٢] .

قال الشيخ عطية محمد سالم في كتابه : « في ظلال عرش الرحمن » (ص٢٠١) بعد ذكره للقرآن ، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير :

« يلي ذلك الاستغفار والدعاء ، وكان هذا القسم في تلك المرتبة لأنه فيه حظ العبد ، ففي الدعاء طلب حاجته ، وفي الاستغفار خوف ما اقترف ، فهو ذو جانبين : جانب مصلحة العبد ، وجانب توحيد المولىٰ في توجه العبد إليه وحده .

قال تعالىٰ : ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾[٣] .

أما التسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، والتحميد فكلها إعظام وإجلال للمولىٰ سبحانه » .

الثامن : ذكر الرعاية :

قال ابن القيم : « مثل قول الذاكر : اللَّه معي ، واللَّه ناظر إليّ ، اللَّه شاهدي ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع اللَّه ، وفيه رعاية لمصلحة القلب ، ولحفظ الأدب مع اللَّه ، والتحرز من الغفلة ، والاعتصام من الشيطان والنفس »[٤] .

وقال أيضًا : « والأذكار النبوية متضمنة أيضًا لكمال الرعية ، ومصلحة القلب ، والتحرز من الغفلات ، والاعتصام من الوساوس والشيطان ، واللَّه أعلم »[٥] .

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في « المستدرك » عن ابن عباس ، وابن عدي عن أبي هريرة ، وابن سعد عن النعمان بن بشير ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٥٧٩) و« صحيح الجامع » رقم (١١٢٢) .

(٢) حسن : رواه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، والترمذي والحاكم في « المستدرك » وصححه عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٣٩٢) .

(٣) سورة الفاتحة الآية (٥) .

(٤ ، ٥) « مدارج السالكين » (٢/ ٤٣٤-٤٣٥) .

وهذه الأنواع الثمانية قد تكون بالقلب واللسان تارة ، وذلك أفضل الذكر.

وبالقلب وحده تارة ، وهي الدرجة الثانية .

وباللسان وحده تارة ، وهي الدرجة الثالثة .

فأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان ، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ؛ لأن ذكرالقلب يثمر المعرفة ، ويهيّج المحبة ، ويثير الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، ويزع[١] عن التقصير في الطاعات ، والتهاون في المعاصي والسيئات ، وذكراللسان وحده لا يوجب شيئًا من هذه الآثار ، وإن أثمر شيئًا منها ؛ فثمرة ضعيفة»[٢] .

فقه مراتب الأعمال في الذكر :

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ :

« قراءة القرآن أفضل من الذِّكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً .

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يُعَيِّنه ، فلا يجوز أن يُعدل عنه إلى الفاضل ، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود ، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة ، وكذلك التسميع والتحميد في محلهما أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد ، وكذلك الذكر عُقيب السلام من الصلاة ـ ذكر التهليل والتسبيح ، والتكبير ، والتحميد ، أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة ،

---

(١) يمنع ويحبس .

(٢) « صحيح الوابل الصيب » (ص٢٥٦) .

وكذلك إجابة المؤذن ، والقول كما يقول أفضل من القراءة ، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل اللَّه ـ تعالىٰ ـ على خلقه ، لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه ، وعُدل عنه إلىٰ غيره ؛ اختلّت الحكمة ، وفُقدت المصلحة المطلوبة منه .

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللَّهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن .

مثاله : أن يتفكر في ذنوبه ، فيحدث ذلك له توبة من استغفار ، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن ، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصّنه وتحوطه .

وكذلك أيضًا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر ؛ لم يحضر قلبه فيهما ، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء إليها ؛ اجتمع قلبه كله على اللَّه تعالىٰ ، وأحدث له تضرعًا وخشوعًا وابتهالاً ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع ، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا .

وهذا باب نافع يحتاج إلىٰ فقه نفسه ، وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطي كل ذي حق حقه ، ويوضع كل شيء في موضعه .

فللعين موضع ، وللرِّجْل موضع ، وللماء موضع ، وللحم موضع ، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي واللَّه ـ تعالي ـ الموفق وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت ، والتجمير وماء الورد وكيّه أنفع له في وقت .

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ يومًا : سُئل بعض أهل العلم : أيما أنفع للعبد ؛ التسبيح أو الاستغفار ؟

فقال : إذا كان الثوب نقيًا ؛ فالبخور وماء الورد أنفع له ، وإن كان دنسًا ، فالصابون والماء الحار أنفع له .

فقال لي ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ : فكيف والثياب لا تزال دنسة .

ومن هذا الباب أن سورة ﴿ **قل هو اللَّه أحد** ﴾ تعدل ثلث القرآن ، ومع هذا ؛ فلا تقوم مقام آيات المواريث ، والطلاق ، والخُلُع ، والعِدَد ، ونحوها .

بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص .

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء ، وهي جامعة لأجزاء العبودية علىٰ أتم الوجوه ؛ كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده ؛ لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء .

فهذا أصل نافع جدًا ، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ؛ لئلاً يشتغل بمفضولها عن فاضلها ، فيربح إبليس الفضل الذي بينهما ، أو ينظر إلىٰ فاضلها ، فيشتغل به عن مفضولها ، وإن كان ذلك وقته ، فتفوته مصلحته بالكلية ؛ لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا .

وهذا يحتاج إلىٰ معرفة بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها ، وفقه في إعطاء كل عمل منها حقّه ، وتنزيله في مرتبته ، وتفويته لما هو أهم منه ، أو تفويت ما هو أولىٰ منه وأفضل ؛ لإمكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه ، فالاشتغال به أولىٰ ـ وهذا كتَرْكِ القراءة

لردّ السلام، وتشميت العاطس - وإن كان القرآن أفضل ؛ لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلىٰ الفاضل ، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس ، وهكذا سائر الأعمال إن تزاحمت ، واللَّه تعالىٰ الموفق»[١] .

لكل مقام مقال :

قال الشيخ عطية سالم في كتابه « في ظلال عرش الرحمن » (ص٢٠٨ - ٢١٠) : « هناك نصوص من الأذكار مرتبطة بحالات أو بأوقات مخصوصة : كالأذكار اليومية في الصباح والمساء ، وعقب الصلوات ، وعند أخذ المضاجع للنوم ، وعند النهوض من نومه ، وعند سماع الرعد أو هبوب الريح ، إلىٰ غير ذلك مما يمكن أن يُقال فيه : لكل مقام مقال .

ومما يوضح ذلك ما جاء في غزوة بدر وهو أشد ما كان علىٰ المسلمين إذ فوجئوا بعدو لم يحسبوا له حسابًا ، متفوقًا عددًا وعدة ، فاجتهد النبي ﷺ في الدعاء حتىٰ كان يرفع يديه مبتهلاً إلىٰ اللَّه، إلىٰ حدّ أن يسقط عنه رداؤه، ويقول له الصديق - رضي اللَّه عنه - : حنانيْك يا رسول اللَّه ، فإن اللَّه منجز لك ما وعد » .

وهنا نجده ﷺ لم يتضرع إلي اللَّه بتلاوة ولا تسبيح أو تحميد ، وإنما اجتهد في دعائه وضراعته إلىٰ اللَّه ، وهكذا كما يقال : لكل مقام مقال .

وكذلك مما يؤيد هذه النظرية هو أن السجود وهويجعل العبد أقرب ما يكون إلىٰ اللَّه لا يشرع فيه تلاوة القرآن حيث نهىٰ عنها في السجود وفيه التسبيح ، والاجتهاد في الدعاء للحديث « أقرب ما يكون العبد إلىٰ اللَّه وهو ساجد فاجتهدوا في الدعاء » .

---

(١) « صحيح الوابل الصيب » لابن القيم وسليم الهلالي (ص١٦١ - ١٦٤) .

• وفي ذلك جاء عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ أنه سئل عن نوع إحياء رمضان : هل الأفضل فيه طول القيام بالقراءة أو قصر القيام لكثرة السجود وعدد الركعات ؟ فقال : إنما أنت مرتاد لنفسك فانظر أيهما أحب إليك .

• وعلي هذا فإذا كان يميل الي التلاوة وتدبر معاني كتاب اللّه والاستئناس بأسلوب القرآن الكريم علي حد قوله تعالي ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[1] فليمض في التلاوة ، فقد كان بعض السلف يقرأ القرآن كله في ليلة ، وسمعنا بأمثال هؤلاء في المسجد النبوي في ليالي رمضان، ولكن بقراءة لا يكاد يتابعها معه إلا الحفاظ .

وجاء عن أمير المؤمنين عثمان ـ رضي اللّه عنه ـ أنه كان يقرأ القرآن كله في ليلة ، ثم أخذ يتمهل في القراءة ويتأمل حتي بلغ به في النهاية إلي أن كان ربما قام ليلة كاملة بسورة « قل هو اللّه أحد » أو سورة الفاتحة .

• وإذا ما رغب في إطالة السجود ، وشدة الضراعة والخشوع ، والتذلل بين يديْ رب العزة والجلال ، فليمض في سبيل ذلك .

• وإذا ما تذكر الموت وما بعده من ضيق اللحد وشدة العرض ، ودقة الحساب فاستغفر وأناب ، فلا مانع فإنما هو مرتاد لنفسه فليمض بها إلىٰ ما تميل إليه فإنه أشد عونًا له عليها وأطوع هي إليه .

ولا يكرهها علىٰ شيء معين،ولا في حالة انصرافه بمثل نعاس ونحوه» .

---

(١) سورة الزمر الآية (٢٣) .

قال النووي في مقدمه كتابه « الأذكار » (ص٨) :

« في أحوال تعرض للذاكر يستحب له قطع الذكر من أجلها ، ثم يعود إليه بعد زوالها عنه منها :

- إذا سلّم أحد عليه فيردّ السلام ، ثم يعود لما كان فيه من الذكر .
- إذا عطس عنده أحد فحمد اللّه ، فإنه يشمته ، ثم يعود لما كان عليه .
- إذا سمع الخطيب يوم الجمعة ، حتىٰ يفرغ من الصلاة .
- إذا سمع المؤذن ، فليجبه حتىٰ يفرغ من الأذان .
- إذا رأىٰ منكراً أمر بتغييره ، أو معروفًا أرشد إليه .

ولعلّ السبب في ذلك أن الذكر المطلق مندوب إليه ، أما هذه الأمور فتدخل في نطاق الوجوب ، أو المؤكدات .

وفيها نصوص خاصة ،والقاعدة الأصولية : أن الخاص مقدم علىٰ العام .

وكذلك فإن هذه الأمور إذا تركت تفوت ، والذكر لا يفوت لعدم تقيّده بزمن واللّه تعالىٰ أعلم .

ذكر العبد محفوف بذكرين من ربّه له :

- قال الإمام ابن قيم الجوزية :

« ذكر العبد لربه محفوف بذكرين من ربه له : ذكر قبله به صار العبد ذاكراً له .

وذكر بعده به صار العبد مذكوراً كما قال تعالىٰ : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٢) .

وقال فيما يروىٰ عن نبيه ﷺ : « **من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملأٍ خير منهم** » .

والذكر الذي ذكره اللَّه به ، بعد ذكره له : نوع غير الذكر الذي ذكره به قبل ذكره له ، ومن كَثُف فهمه عن هذا فليجاوزه إلىٰ غيره ، فقد قيل :

إذا لم تستطـع شيئًا فدعـه وجـاوزه إلى ما تستطيع »[١]

ليس العجب من قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فاذكروني** ﴾ إنما العجب من قوله ﴿أذكركم﴾ إن ألسنتنا لتحتاج إلىٰ ملايين المرات من التوبة قبل أن تنطق باسم اللَّه عز وجل ، فما ظنك بذكر اللَّه لنا إن ذكرناه . . . ما تكون الأرض ومن عليها حتىٰ يذكرنا اللَّه عز وجل ؟!

قال يحيىٰ بن معاذ الرازي : يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمتّ شوقًا إلي مولاك » .

آداب الذكر :

الأول : وهوأهمها : إخلاص النّية للَّه تعالي وابتغاء وجه اللَّه تعالي ، وحبًا في اللَّه وتلذذًا بذكره ، وحضور القلب معه واستئناسًا بحلاوة مناجاته قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾ أي النّيات .

وفي « الصحيح » عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيّات ، وانما لكل امرئ ما نوى** » .

قال الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه ـ : « ترك العمل لأجل الناس رياء ،

---

(١) « مدارج السالكين » (٢/ ٤٣٣) .

والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك اللَّه منهما » ، ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس ، والاحتراز من تطرّق ظنونهم لانسدّ عليه أكثر أبواب الخير ، وضيّع على نفسه شيئًا عظيمًا من مهمّات الدين ، وليس هذا طريقة الصالحين ، فإذا أراد الإنسان أن يذكر اللَّه تعالى باللسان مع القلب فليس له أن يمتنع من ذلك خوف الرياء بل يذكر اللَّه بهما جميعًا ، ويقصد به وجه اللَّه تعالى » .

الثاني : أن يكون المكان الذي يذكر اللَّه فيه نظيفًا خاليًا :

وذلك لأن التنزه عن ملابسة النجاسة مطلقًا مندوب إليه ، فتدخل حالة الذكر تحت ذلك دخولاً أوليًا ، وإن لم يرد ما يدل على هذا على الخصوص .

والذكرعبادة ، ونظافة المكان أعظم في احترام الذكر ، وأدعى لاستحضار القلب ، ولهذا مدح الذكر في المساجد لرفعتها ، قال تعالى : ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ** ﴿٣٦﴾ **رِجَالٌ** ﴾[(١)] [(٢)] .

وفي إيراد هذه الآية عقب المثل المضروب لذكر اللَّه ونور الإيمان في قلب المؤمن فإن له دلالة مزدوجة :

منها : أنه أعظم ما يورث آثار النور والإيمان ويزكي نور القلب ، إنما هو ما يتعلق بالمساجد بيوت اللَّه ، من صلاة وتسبيح وتحميد وتلاوة واعتكاف .

ومنها : أنه ينبغي أن يعني بمكان الذكر ما يماثل العناية بالمساجد من

---

(١) سورة النور الآية (٣٦) .

(٢) « النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة » لمحمد أحمد إسماعيل (ص١١) ـ مكتبة الإيمان .

نظافة وتكريم ، وهذا ينبهنا إلى أفضلية المكان ، كأفضلية الزمان .

• « وينبغي أن يكون المكان خاليًا عن كل ما يشغل البال ويحصل من وجوده الوسواس والاشتغال ، فإن ذلك أقرب إلى حضور القلب ، وأبعد من الرياء والمباهاة ، وأعون على تدبر معنى ما يذكر به ولا شك أن هذه الحال أكمل مما يخالفها »(١) .

الثالث : ينبغي أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، ويكون فمه نظيفًا ، فإن الملائكة تستمع للقارئ عن قرب ، فإذا كانت رائحة فمه غير طيبة تأذت منه ، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم ، ولأن الذكر عبادة لسانية ، فتنظيف الفم بالسواك عند ذلك أدب حسن .

عن أبي الجهيم - رضي اللَّه عنه - : أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جَمَل ، فلقيه رجل فسلّم عليه ، فلم يردّ عليه النبي ﷺ حتى أقبل على الجدار فمسح بوجهه ويديه ، ثم ردّ عليه السلام »(٢) .

فإذا كان هذا في مجرد ردّ السلام ، فكيف بذكر اللَّه سبحانه؟ فإنه أولى بذلك ، وفي رواية عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - أنه ﷺ قال : «**كرهت أن أذكراللَّه إلا على طهر**» .

رابعًا : أن يستقبل القبلة ، فإنها الجهة التي يتوجه إليها العابدون للَّه سبحانه والداعون له والمتقربون إليه ، وأن يجلس متذللاً متخشعًا بسكينة ووقار مطرقًا رأسه .

• قال النووي في « الأذكار » (٨ - ٩) :

---

(١) « النصيحة » (ص٩) .

(٢) رواه البخاري مسندًا ومسلم تعليقًا ، انظر : « المجموع » للنووي (٢/ ٢١٤) .

« لو ذكر اللَّه علىٰ غيرهذه الأحوال جاز ، ولا كراهة في حقه ، لكن إن كان بغير عذر كان تاركًا للأفضل ، والدليل علىٰ عدم الكراهة قول اللَّه تعالىٰ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [١] .

وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : « كان رسول اللَّه ﷺ يتكئ في حِجري وأنا حائض فيقرأ القرآن » ، وفي رواية : « ورأسه في حجري ، وأنا حائض » [٢] .

وعنها ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : « كان ﷺ يذكر اللَّه تعالىٰ علىٰ كل أحيانه » .

خامسًا : خفض الصوت :

كما في قوله تعالىٰ : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [٣] .

تنبيه :

وردت أحاديث تقتضي الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي الإسرار به [٤] ، والجمع بينهما : أن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص ، وهذا في الموضع الذي لم يرد فيه دليل علىٰ الجهر أو الإسرار ، أما فيما أطلق ولم يقيد : فقد يكون الإسرار أبعد عن الرياء والتصنّع ، فهوأفضل في حق من يخاف ذلك علي نفسه ، فإن لم يخف ، ولم يكن في الجهر

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٩٠ ، ١٩١) .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) سورة الأعراف الآية (٢٠٥) .
(٤) نقل النووي عن صاحب الحاوي قوله : « حد الجهر أن يُسمع من يليه ، وحد الإسرار أن يُسمع نفسه » = اهـ . من « المجموع » (٣/ ٣٢٦) .

مايشوّش الوقت علي مصل آخر ، فالجهرأفضل لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضًا تتعلق بغيره ، والخير المتعدي أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ، ويجمع همه إلى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت ، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ، ولأنه قد يراه بطّالاً غافلاً فينشط بسبب نشاطه ، ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شيء من هذه النيّات فالجهر أفضل ، وإن اجتمعت هذه النيّات تضاعف الأجر ، وبكثرة النيّات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم .

• قال النووي في « الأذكار » (١٠) : « اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة ، واجبة كانت أو مستحبة ، لا يحسب شيء منها ، ولا يعتدّ به حتى يتلفظ به بحيث يُسمع نفسه ، إذا كان صحيح السمع لا عارض له » .

• وقال الجزري في « العدة » : « ولا يعتد له بشيء مما رتبه الشارع على قوله حتى يتلفظ به ، ويسمع نفسه » .

وقال الشوكاني تعليقًا على كلام الجزري ـ رحمه اللَّه ـ : « أما اعتبار التلفظ فهو معلوم من أقواله ﷺ المصرّحة بأن من قال كذا كان له من الأجر كذا ، فلا يحصل له ذلك الأجر إلا بما يصدق عليه معنى القول ، وهو لا يكون إلا بالتلفظ باللسان ، وأما اشتراط أن يُسمع نفسه فلم يرد ما يدّل عليه لأنه يصدق القول بمجرد التلفظ وهوتحريك اللسان وإن لم يُسمع نفسه ، فينظر ما وجه الاشتراط مع أنه تقدم الحديث الذي في «الصحيحين» . . . بلفظ « **فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي** » ، فإذا كان مجرد الذكرالنفسي مقتضيًا للثواب ، فكيف لا يكون الذكر اللساني الذي قد صدق عليه أنه قول مقتضيًا للثواب ؟

والحاصل أنه لا وجه لهذا الاشتراط لا باعتبار أصل الثواب ، ولا باعتبار كماله ، بل قد يكون التدبر والتفهم بما لا يسمع النفس من الأذكار أتمّ وأكمل»[(١) (٢)] .

سادساً : تدبّر ما يقول ، وتعقّل معناه :

فإن جهل شيئًا تبيّنه ، فإن حضور القلب هوالمقصود بالذكر ولا سبيل إليه إلا بذلك ، روي عن علي -رضي اللَّه عنه- قال : « لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا قراءة لا تدبّر فيها » ،قال الشوكاني -رحمه اللَّه- : « لا ريب أن تدبر الذاكر لمعاني ما يذكر به أكمل ، لأنه بذلك يكون في حكم المخاطب والمناجي ،ولكن وإن كان أجرهذا أتمّ وأوفى فإنه لا ينافي ثبوت ما ورد الوعد به من ثواب الأذكار لمن جاء بها ، فإنه أعمّ ما أن يأتي بها متدبراً لمعانيها ، متعقلاً لما يراد منها أولاً ، ولم يرد تقييد ما وعد به من ثوابها بالتدبر والتفهم »[(٣)] .

قال في « نزل الأبرار » : « وهذا تقرير حسن فيه توسيع دائرة الرحمة التي وسعت كل شيء »[(٤) (٥)] .

مراتب الذكر :

الدرجة الأولى : الذكر الظاهر .

« يريد بالظاهر : الجاري عن اللسان ، المطابق للقلب ، لا مجرد الذكراللساني ، فإن القوم لا يعتدون به » .

---

(١) « تحفة الذاكرين » للشوكاني (ص٤٢) .
(٢) « النصيحة (١١-١٢) .
(٣) « تحفة الذاكرين » (ص٤٢) .
(٤) «نزل الأبرار » (ص١٠) .
(٥) « النصيحة » (١٠-١١) .

الدرجة الثانية : الذكر الخفي ، وهو الخلاص من القيود ، والبقاء مع الشهود ، ولزوم المسامرة .

قال ابن القيم : « يريد بالخفي ههنا : الذكر بمجرّد القلب بما يعرض له من الواردات ، وهذا ثمرة الذكر الأول .

● ويريد بالخلاص من القيود : التخلّص من الغفلة والنسيان ، والحجب الحائلة بين القلب وبين الرب سبحانه .

والبقاء مع الشهود : ملازمة الحضور مع المذكور ومشاهدة القلب له حتى كأنه يراه .

● ولزوم المسامرة : هي لزوم مناجاة القلب لربه : تملقًا تارة ، وتضرعًا تارة ، وثناء تارة ، واستعظامًا تارة ، وغير ذلك من أنواع المناجاة بالسر والقلب » .

الدرجة الثالثة : الذكر الحقيقى : وهوشهود ذكر الحق إياك والتخلص من شهود ذكرك .

قال ابن القيم : « إنما سمي هذا « الذكر » في هذه الدرجة حقيقيًا لأنه منسوب إلى الرب تعالى ، وأما نسبة الذكر للعبد : فليست حقيقية ، فذكر اللّه لعبده هوالذكر الحقيقي ، وهو شهود ذكر الحق عبده ، وأنه ذكره فيمن اختصّه وأهّله للقرب منه ولذكره فجعله ذاكرًا له » .

● قوله : « والتخلص من شهود ذكرك » .

قال ابن القيم : « يعني بفناء شهود ذكره لك عن شهود ذكرك له ، وهذا الشهود يريح العبد من رؤية النفس وملاحظة العمل ، ويميته ويحييه ، يميته عن نفسه ، ويحييه بربه ، ويفنيه ويقتطعه من نفسه ويوصله بربه .

وهذا هوعين الظفر بالنفس .

قال بعض العارفين : انتهىٰ سفر الطالبين إلىٰ الظفر بنفوسهم »[(١)] .

موانع الذكر :

قال الشيخ عطية سالم : « موانع الذكر قسمان : قسم يتعلق بالمكان ، وقسم يتعلق بحال الذاكر نفسه :

أ ـ فمما يتعلق بالمكان : فقد جاء النهي بخصوص الصلاة ، وهي أخص من عموم الذكر ـ جاء النهي ـ عنها في سبعة مواطن ، : المجزرة ، والمقبرة والمزبلة ، والحمام ، وقارعة الطريق ، وفوق ظهر بيت اللَّه الحرام ، ومعاطن الإبل أما عموم الذكرغير الصلاة : فقدجاء النهي عنه في بيت الخلاء ، وفيه الذكر الوارد قبل وبعد الدخول .

ب ـ ما يتعلق بحال الذاكر : فهو من حيث الطهارة والحدث :

• فإن كان حدثه أكبر حُرّم عليه تلاوة القرآن ، ولو حرفًا واحدًا وأما غيره من الأذكار مما هواستعاذة أو استغفار أو دعاء فلا يمنع عنه .

• وأما الحدث الأصغر فلا يمنع حتىٰ ولا تلاوة القرآن ، ومعلوم أن الأكمل والأفضل أن يكون علىٰ طهارة كاملة وهيئة حسنة »[(٢)] .

فوائد الذكر :

جمع منها شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية في « حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح » ـ ثمانية وسبعين فائدة .

« قال ابن القيم : « وفي الذكر أكثر من مئة فائدة :

---

(١) « مدارج السالكين » (٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦) .

(٢) « في ظلال عرش الرحمن » (ص٢١١) .

إحداها : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية : أنه يرضي الرحمن عز وجل .

الثالثة : أنه يزيل الهم والغمّ عن القلب .

الرابعة : أنه يجلب للقلب الفرح والسرور .

الخامسة : أنه يقوي القلب والبدن .

السادسة : أنه ينوّر الوجه والقلب .

السابعة : أنه يجلب الرزق .

الثامنة : أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة .

التاسعة : أنه يورثه المحبة التي هي قطب رحى الإسلام .

العاشرة : أنه يورثه المراقبة ، حتى يدخله في باب الإحسان .

الحادية عشرة : أنه يورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلى اللَّه عز وجل .

الثانية عشرة : أنه يورثه القرب منه ، فعلى قدر ذكره للَّه يكون قربه منه .

الثالثة عشرة : أنه يفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة .

الرابعة عشرة : أنه يورثه الهيبة لربه - عز وجل - وإجلاله .

الخامسة عشرة : أنه يورثه ذكر اللَّه - تعالى - له ، ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلاً وشرفًا .

السادسة عشرة : أنه يورث حياة القلب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

السابعة عشرة : أنه قوت القلب والروح ، فإذا فقده العبد ؛ صار بمنزلة الجسم إذ حيل بينه وبين قوته .

كان شيخ الإسلام ابن تيمية يصلي الفجر ، ثم يجلس يذكر اللَّه تعالى

إلىٰ قريب من انتصاف النهار يلتفت إلىٰ إلىٰ شيخ الإسلام ابن القيم قائلاً : « هذه غدوتي ، لو لم أتغدّ الغداء ؛ سقطت قوتي » .

الثامنة عشرة : أنه يورث جلاء القلب من صداه .

التاسعة عشرة : أنه يحط الخطايا ويذهبها ، فإنه من أعظم الحسنات .

العشرون : أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه .

الحادية والعشرون : أن ما يذكر به العبد ربه من جلاله وتسبيحه ، وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة .

الثانية والعشرون : أن العبد إذا تعرّف إلىٰ اللَّه تعالىٰ بذكره في الرخاء، عرفه في الشدة .

الثالثة والعشرون : أنه ينجي من عذاب اللَّه تعالىٰ .

الرابعة والعشرون : أنه سبب تنزيل السكنية ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة .

الخامسة والعشرون : أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل .

السادسة والعشرون : أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين ، فليتخيّر العبد أعجبهما إليه ، وأولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة .

السابعة والعشرون : أنه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان .

الثامنة والعشرون : أنه يُؤمّن العبد من الحسرة يوم القيامة .

التاسعة والعشرون : أنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال اللَّه تعالىٰ العبد يوم الحرّ الأكبر في ظل عرشه .

الثلاثون : أن الاشتغال به سبب لعطاء اللَّه للذاكر أفضل ما يُعطي السائلين .

الحادية والثلاثون : أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلها وأفضلها .

الثانية والثلاثون : أنه غراس الجنة .

الثالثة والثلاثون : أن العطاء والفضل الذي رُتِّب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال ففي « صحيح مسلم » عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، أحبّ إلي مما طلعت عليه الشمس** » .

وعن ثوبان أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من قال حين يمسي وإذا أصبح : رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولاً كان حقًا على الله أن يُرضيه**»[(١)] .

● وقال ﷺ : « **من دخل السوق ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو حي لا يموت ، بيده الخير ،وهو على كل شيء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة**»[(٢)] .

الرابعة والثلاثون : أن دوام ذكر اللَّه ـ تبارك وتعالى ـ يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد .

الخامسة والثلاثون : أن الذكر يسيّر العبد وهو في فراشه ،وفي سوقه ،

---

(١) حسن بمجموع الطرق : أخرجه الترمذي ،وأبو داود ،وابن ماجه ، والنسائي في « عمل اليوم والليلة » ، ومن طريقه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، وأحمد ، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي ، وصححه البوصيري ،وحسنّه الحافظ .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، وأحمد ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، والطبراني في « الدعاء » والبيهقي في « السنن » عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ . وفي الحديث عمرو بن دينار وهوضعيف لكن تابعه جماعة ، وتعدد الطرق عن سالم ، عن أبيه ، عن جده تدل على أن الحديث محفوظ عن سالم ، فإذا انضم إليه حديث ابن عمر الحسن لذاته عند الحاكم (١/ ٥٣٩) ازداد قوة وثبوتًا ،وبذلك ثبت حديث السوق .

وفي حال صحته وسقمه ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، حتىٰ إنه يسيّر العبد وهو نائم علىٰ فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة .

السادسة والثلاثون : أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ، ونور له في معاده ، يسير بين يديه علىٰ الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر اللَّه تعالىٰ .

ولهذا كان النبي ﷺ يسأل ربه أن يجعله في لحمه ، وعظامه ، وعصبه ، وشعره ، وبشره ، وسمعه ، وبصره ، ومن فوقه ، ومن تحته ، وعن يمينه ، وعن شماله ، وخلفه ، وأمامه حتىٰ يقول « **واجعلني نوراً** »[(١)] .

السابعة والثلاثون : أن الذكر رأس الأصول ، ومنشور الولاية ، فمن فُتح له فيه ؛ فقد فُتح له باب الدخول إلي اللَّه عز وجل ـ فليتطهر ، وليدخل علىٰ ربه ـ عز وجل ـ يجد عنده كل ما يريد .

الثامنة والثلاثون : في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء ألبته إلا الذكر .

التاسعة والثلاثون : أن الذكر يجمّع المتفرق ، ويفرّق المجتمع ، ويقرّب البعيد ، ويبعّد القريب .

يجمع ما تفرق علىٰ العبد من قلبه وإرادته ، وهمومه ، وعزومه ، ويفرّق ما اجتمع عليه من الهموم ، والغموم ، والأحزان ، وذنوبه ، وخطاياه وأوزاره ، وما اجتمع عليه من جند الشيطان ، ويقرّب إليه الآخرة ، ويبعد إليه الدنيا .

الأربعون : الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سِنته فالغفلة نوم ثقيل .

الحادية والأربعون : أن الذكر شجَرة تثمر المعارف والأحوال التي شمّر

---

(١) أخرجه مسلم (٦/ ٤٤ ـ ٤٥ نووي) .

إليها السالكون .

فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلىٰ التوحيد ، وهوأصل كل مقام، وقاعدته .

الثانية والأربعون : أن الذاكر قريب من مذكوره ، ومذكوره معه ، وهذه المعية معية خاصة ، فهي معية بالقرب ، والولاية ، والمحبة ، والنصرة، والتوفيق .

الثالثة والأربعون : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل علىٰ الخيل في سبيل اللَّه ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل اللَّه عز وجل .

الرابعة والأربعون : أن الذكر رأس الشكر ، فما شكر اللَّه تعالي من لم يذكرة .

الخامسة والأربعون : أن أكرم الخلق علي اللَّه تعالىٰ من المتقين من لا يزال لسانه رطبًا بذكره .

السادسة والأربعون : أن في القلب قسوة لا يذيبها إلا الذكر .

السابعة والأربعون : أن الذكر شفاء القلب ودواؤه .

قال مكحول : ذكر اللَّه تعالىٰ شفاء ، وذكر الناس داء .

إذا مرضنا تداوَيْنا بذكركُمُ فنترك الذكر أحيانًا فننتكسُ

الثامنة والأربعون : أن الذكر أصل موالاة اللَّه عز وجل ورأسها .

قال حسّان بن عطية : ما عادىٰ عبد ربه بشر أشد عليه من أن يكره ذكره أوْ من يذكره .

التاسعة والأربعون : الذكر جلاّب للنعم ، رافع للنقم .

الخمسون : أن الذكر يوجب صلاة اللَّه - عز وجل - وملائكته على الذاكر، ومن صلى اللَّه - تعالي - عليه وملائكته ، فقد أفلح كل الفلاح .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾[١] .

الحادية والخمسون : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد اللَّه قال : خرج علينا رسول اللَّه ﷺ فقال : « **يا أيها الناس ! ارتعوا في رياض الجنة** » . قلنا : يا رسول اللَّه ! وما رياض الجنة ؟ قال : « **مجالس الذكر** » ، ثم قال : « **اغدوا وروحوا واذكروا ، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند اللَّه ، فلينظر كيف منزلة اللَّه تعالى عنده ، فإن اللَّه تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه** »[٢] .

الثانية والخمسون : أن اللَّه عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته .

الثالثة والخمسون : أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك .

الرابعة والخمسون : أن جميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر اللَّه .

الخامسة والخمسون : أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكراً للَّه عز وجل، فأفضل الصوام أكثرهم ذكراً للَّه في صومهم .

السادسة والخمسون : أن إدامته تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها سواء كانت بدنية ،أو مالية؛ كحج التطوع ،كما في حديث«**ذهب أهل الدثور بالأجور...**» .

---

(١) سورة الأحزاب الآيات (٤١ - ٤٣) .

(٢) حسن بشواهده .

السابعة والخمسون : أن ذكر اللَّه من أكبر العون على طاعته ، فإنه يحببها للعبد ، ويسهلها عليه ، ويلذذها له .

الثامنة والخمسون : أن ذكر اللَّه - عز وجل - يُسهِّل الصعب ، ويُيَسِّرالعسير ، ويخفف المشاق ، ويفرّج الغم والهم .

التاسعة والخمسون : أن ذكر اللَّه عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن .

الستون : أن الذكر يعطي الذاكر قوة ، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله بدونه .

وقد علّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًا - رضي اللَّه تعالى عنهما - أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثًا وثلاثين ، ويحمدا ثلاثًا وثلاثين ، ويكبر أربعًاوثلاثين ، لما سألته الخادم ، وَشَكَتْ إليه ما تقاسيه من الطحن والسعي والخدمة فعلّمها ذلك وقال : « **إنه خير لكما من خادم** »(١) .

الحادية والستون : أن عمّال الآخرة كلهم في مضمار السباق ، والذاكرون هم أسبقهم في ذلك المضمار .

الثانية والستون : أن الذكر سبب لتصديق الرب عبده ، فإنه أخبر عن اللَّه تعالى بأوصاف كماله ، ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدّقه ربه، ومن صدّقه اللَّه تعالى لم يحشر مع الكاذبين ، ورُجي له أن يحشر مع الصادقين .

روى أبو إسحاق عن الأغرّ أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنهما - أنهما شهدا على رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « **إذا قال العبد : لا إله إلا اللّه واللّه أكبر** » **قال** : « **يقول اللّه تبارك وتعالى : صدق**

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٧١ ـ فتح) ، ومسلم (١٧/ ٤٥ نووي) .

عبدي لا إله إلا أنا ، وأنا أكبر .

وإذا قال : لا إله إلا اللّه وحده .

قال : صدق عبدي ، لاإله إلا أنا وحدي .

وإذا قال : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له .

قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا ولا شريك لي .

وإذا قال : لا إله إلا اللّه ، له الملك ، وله الحمد .

قال : صدق عبدي ، لا إله إلا إنا ، لي الملك، ولى الحمد .

وإذا قال : لا إله إلا اللّه ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

قال : صدق عبدي ، لا إله إلا أنا ، ولاحول ولا قوة إلا بي » .

قال أبو إسحاق : ثم قال الأغرّ شيئًا لم أفهمه ، قلت : لأبي جعفر : ما قال ؟ قال : « من رزقهن عند موته ؛ لم تمسَّه النار »[(١)] .

الثالثة والستون : أن دور الجنة تُبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء .

الرابعة والستون : أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم .

الخامسة والستون : أن الملائكة تستغفر للذاكر .

السادسة والستون : أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر اللّه عليها .

السابعة والستون : أن كثرة ذكر اللّه أمان من النفاق ، فإن المنافقين قليلو الذكر للّه عز وجل قال تعالى في شأنهم : ﴿ **وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ**

---

(١) أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان . وهو صحيح .

(٢) سورة النساء الآية (١٤٢) .

قَلِيلاً ﴾(٢) .

الثامنة والستون : أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء .

قال مالك بن دينار : ما تلذّذ المتلذذون بمثل ذكر اللَّه عز وجل .

التاسعة والستون : أنه يكسو العبد نضرة في الدنيا ، ونوراً في الآخرة .

السبعون : أن في دوام الذكرفي الطريق ، والبيت ، والحضر ، والسفر ، والبقاع ، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة ، فإن البقعة ، والدار والجبل ، والأرض ، تشهد للذاكر يوم القيامة .

والذاكر للَّه عز وجل في سائر البقاع مكثر شهوده ، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة ، يوم قيام الأشهاد ، وأداء الشهادات فيفرح ويغتبط بشهادتهم »(١) .

ونختم بحديثين :

عن النعمان بن بشير مرفوعًا : « في التسبيحة والتحميدة والتهليلة يتعاطفن حول العرش ، لهن دويّ كدويّ النحل ، يذكرن بصاحبهن ، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمن ما يذكر به »(٢) .

● وأخرج أبوأحمد العسال بإسناد صحيح عن ابن مسعود أنه قال :

« من قال : سبحان اللَّه والحمد للَّه واللَّه أكبر ، تلقّاهن مَلَك فعرج بهن إلى اللَّه عز وجل ، فلا يمرّ بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن عز وجل »(٣) .

---

(١) ملخصًا من « الوابل الصيب » لشيخ الإسلام ابن قيم الجوزية .

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في «مختصر العلو » (ص٩٦) .

(٣) « مختصر العلو » (ص١٠٤) .

سادات الذاكرين

سيد القرّاء أبيّ بن كعب :

صَحّ من طرق عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ قال : « **أرحم أمتي أبو بكر ... وأقرؤهم أبيّ** »(١) .

قال الذهبي في « معرفة القرّاء الكبار » أبيّ أقرأ من أبي بكر ومن عمر .

وعن أبي المهلب قال : كان أبيّ يختم القرآن في ثمان ، قال الذهبي : إسناده صحيح . و لما مات أبيّ قال عمر : مات اليوم سيد المسلمين .

ذو النورين : عثمان بن عفان ـ رضى اللّه عنه ـ :

قال عبد الرحمن بن عثمان التيمي ـ رحمه اللّه ـ : قلت : لأغلبن الليلة علي المقام ، فسبقت إليه ، فبينا أنا قائم أصلي إذْ وضع رجل يده علي ظهري ، فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان ـ رحمة اللّه عليه ـ وهو خليفة ، فتنحيت عنه ، فقام فما برح قائمًا حتىٰ فرغ من القرآن في ركعة لم يزد عليها .

فلما انصرفت قلت : يا أمير المؤمنين ، إنما صليت ركعة ؟

قال : أجل هي وتري »(٢) .

- وقال سليمان بن يسار ـ رحمه اللّه ـ :

قام عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ بعد العشاء فقرأ القرآن كله في

---

(١) صحيح : رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد والبغوي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، والطحاوي في « المشكل » ، وأبونعيم وابن سعد.

(٢) صحيح : أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (١٢٧٦) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (٣/ ٢٤) ، وابن سعد في « طبقاته » (٣/ ٧٥) ، والبيهقي في « سننه الكبرىٰ » ، وابن عساكر، وأبو نعيم في « الحلية » .

ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها[١] .

ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ :

عن أبي بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قالا : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل ، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد** »[٢] .

قال النووي في « التبيان » : « وأما الذين ختموا في الأسبوع فكثيرون : نُقل عن عثمان بن عفان ، وعبد اللَّه بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ـ رضي اللَّه عنهم ـ » .

قال ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ « ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون » وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا ، حليمًا حكيمًا ، سكينًا ، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا ، ولا غافلاً ، ولا صخّابًا ، ولا صيّاحًا ، ولا حديدًا »[٣] .

معاذ بن جبل : مقدام العلماء :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأبيّ ، ومعاذ ابن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة** »[٤] .

في مرض موتـــه قال ـ رضي اللَّه عنه ـ « اختنق خنقك ، فوعزتك إني أحبك . . . اللَّهم إني كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك . . . اللَّهم إنك

---

(١) صحيح : أخرجه ابن المبارك ، وابن سعد ، و ابن عساكر .

(٢) صحيح : رواه أحمد وابن ماجه والحاكم في « المستدرك » ، ووافقه الذهبي وتابعه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٦١) .

(٣) « الفوائد » (ص١٩٥) لابن القيم .

(٤) رواه البخاري والترمذي وأبونعيم في « الحلية » .

تعلم أني ما كنت أحب البقاء في الدنيا لكرْي الأنهار ، ولا لغرس الأشجار، وإنما لمكابدة الساعات ، وظمأ الهواجر ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

قال ـ رضي اللَّه عنه ـ : ما عمل آدمي عملاً أنجىٰ له من عذاب اللَّه من ذكر اللَّــه ، قالوا : يا أبا عبد الرحمن ، ولا الجهـــاد في سبـيل اللَّه ؟ قال: ولا الجهاد في سبيل اللَّه ، إلاّ أن يضـرب بسـيفــه حتي ينقطع ؛ لأن اللَّه تعالي يقول في كتابه : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [١] .

أبو الدرداء يسبح كل يوم مائة ألف :

عن أبي حَلْبس : قيل لأبي الدرداء ، وكان لا يفتر من الذكر : كم تسبّح في كل يوم ؟ قال : مائة ألف ، إلا أن تخطئ الأصابع [٢] .

تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة :

عن ابن سيرين ، أن تميمًا الداري كان يقرأ القرآن في ركعة [٣] .

وعن أبي المهلب : كان تميم الداري يختم القرآن في سبع [٤] .

وعن مسروق : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري، صلّىٰ ليلة حتىٰ أصبح ، أو كاد ، يقرأ آية ، يرددها ويبكي﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٥] » [٦] .

---

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٥) .

(٢) إسناده صحيح : أخرجه ابن سعد في « الطبقات» (٣/ ٥٠٠) .

(٣) « السير » (٢/ ٤٤٥) ، و« تهذيب ابن عساكر » (٣/ ٣٥٩) .

(٤) إسناده صحيح : أخرجه ابن سعد (٣/ ٥٠٠) .

(٥) سورة الجاثية الآية (٢١) .

(٦) رجاله ثقات : أخرجه الطبراني ، والذهبي في « السير » (٢/ ٤٤٥) .

أبو هريرة يسبح كل يوم اثنتى عشر ألف تسبيحة :

عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشر ألف تسبيحة[١].

أبو مسلم الخولاني يكثر من ذكر الله حتى يقال أنه مجنون :

كان أبو مسلم الخولاني يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان ، ويقول : « اذكر اللَّه حتى يرى الجاهل أنك مجنون »[٢].

الإمام سليم بن عتر وخبره العجيب في ختم القرآن :

قاضي مصر وواعظها وقاصّها وعابدها ، وكان يدعى الناسك لشدة تألهه .

عن الحارث بن يزيد : أن سُلَيم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات[٣].

أبو العالية :

قال أبو خلدة خالد بن دينار : سمعت أبا العالية يقول : كنا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب ، ومنا من يخدم أهله ، فكنا نختم كل ليلة ، فشقّ علينا حتى شكا بعضنا إلى بعض ، فلقينا أصحاب رسول اللَّه ﷺ فعلّمونا أن نختم كل جمعة ، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا »[٤].

بل أنتم السادة وملوك الآخرة ، ونحن عبيد شهواتنا وبطوننا .

قال أبوبكر بن أبي داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية .

---

(١) « السير » (٢/ ٦١٠) ، و« تاريخ دمشق » .

(٢) « تاريخ دمشق » لابن عساكر (٩/ ١٧ب) .

(٣) « السير » (٤/ ١٣٢) .

(٤) « طبقات ابن سعد » (٧/ ١١٣) ، و« السير » (٤/ ٢٠٩) .

سعيد بن جبير :

عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير أنه كان يختم في كل ليلتين[١] .

عروة بن الزبير :

قال ابن شوذب : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل »[٢] .

منصور بن زاذان يختم فى اليوم مرتين :

قال يزيد بن هارون : كان منصور يختم في اليوم مرتين ويصلي الليل كله .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يبلّ عمامته من دموع عينيه .

رحم اللَّه ابن زاذان ، المتيسر له قراءة القرآن[٣] .

• قال الأوزاعي : كان حسّان بن عطية إذا صلى العصر يذكراللَّه تعالى في المسجد حتى تغيب الشمس[٤] .

• الإمام حمزة بن حبيب الزّيات ، القيّم بكتاب اللَّه ، العابد الخاشع القانت للَّه يقول : نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري .

• والإمام السيد الذي خالط القرآن لحمه ودمه أبوجعفر القارئ ، يزيد ابن القعقاع أحد القرّاء العشرة .

---

(١) « حلية الأولياء » (٤/ ٢٧٣) و« طبقات ابن سعد » (٦/ ٢٥٩) ، و« الزهد » لأحمد (٢٣٧٠) و«السير» (٤/ ٣٢٥) .

(٢) ابن عساكر (١١/ ٢٨٦) ب ، و« الحلية » (٢/ ١٧٨ ـ ١٨٠) ، و« السير » (٤/ ٤٢٦) .

(٣) « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٤٤١) .

(٤) « السير » (٥/ ٤٦٧) .

عن نافع قال : لما غُسِّل أبوجعفر القارئ ، نظروا ما بين نحره إلىٰ فؤاده مثل ورقة المصحف ، فما شك مَنْ حضره أنه نور القرآن - رحمه اللَّه -[(١)] .

شيخ الإسلام أبوبكر بن عيّاش يختم القرآن ثمانية عشر ألف ختمة :

قال الذهبي : قد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة .

قال يحيىٰ اليماني : لما حضرت أبا بكرالوفاة بكت أخته ، فقال لها : ما يبكيك ؟ انظري إلىٰ تلك الزاوية ، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة .

أحاديثُ لو صِيغتْ لألهتْ بُحسنها عن الوَشْي أَوْ شُمّتْ لأغنت عن المسكِ

قال النووي في « شرح مسلم » (١/ ٧٩) :

« روينا عنه أنه قال لابنته عند موته ، وقد بكت : يا بنيّة ، لا تبكي ، أتخافين أن يعذبني اللَّه تعالىٰ ، وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة ؟! » .

● وسأل كرز بن وبرة ربه أن يقوىٰ حتىٰ يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات[(٢)] .

● وثابت البناني قال عنه شعبة : كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة ، ويصوم الدهر[(٣)] .

ومن ختم القرآن في يوم وليلة : واصل بن عبد الرحمن البصري ،

---

(١) « معرفة القراء الكبار » للحافظ الذهبي (١/ ٧٥-٧٦) .
(٢) « السير » (٦/ ٨٥) .
(٣) « حلية الأولياء » (٢/ ٢١٩) .

ووكيع بن الجراح ، والحسن بن صالح .

وأمير المؤمنين في الحديث يحيىٰ بن سعيد القطان قال عنه يحيىٰ بن معين : « أقام يحيىٰ بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة »[١] .

● والإمام عبد اللَّه بن إدريس الأودي قال عنه الإمام أحمد : كان ابن إدريس نسيج وحده .

قال الإمام النووي عنه : « روينا عنه أنه قال لبنته حين بكت علىٰ حضور موته : لا تبكي ؛ فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة» .

● والإمام عبد الرحمن بن القاسم إمام مصر وصاحب الإمام مالك :

قال عنه أسد بن الفرات : كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين ، قال : فنزل بي حين جئت إليه عن ختمة ؛ رغبة في إحياء العلم »[٢] .

ناصرالسنة الإمام الشافعي يختم كل يوم ختمة ، وفي رمضان ستين ختمة :

قال الذهبي : « قال الربيع بن سليمان ـ من طريقين عنه ، بل أكثر ـ كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة »[٣] .

وقال الحميدي : « كان الشافعي يختم القرآن كل يوم ختمة »[٤] .

همُ الرجالُ وعيبٌ أَنْ يُقالَ لِمنْ ... لم يتصفْ بمعاني وَصْفِهِمْ رَجُلُ

* * *

(١) « سير أعلام النبلاء » (٩/ ١٧٩) .
(٢) « السير » (٩/ ١٢١) .
(٣) « السير » (١٠/ ٣٥) ، و« مناقب الرازي » (ص١٢٧) ، و« توالي التأسيس » (ص٦٨) .
(٤) « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي (١/ ٥٤) .

• أما إمام أهل السنة ابن حنبل ، فقد قال عنه جعفر بن أبي هاشم : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ختمت القرآن في يوم ، فعددت موضع الصبر ، فإذا هو نيف وتسعون[١] .

حديث ابن المديني شيخ البخاري عن بشر الحافي وعبد الرحمن بن مهدي :

قال الإمام علي بن المديني شيخ البخاري : حفر بشر قبره ، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن[٢] .

وقال علي : كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن[٣] .

الجنيد سيد الطائفة ودرره عن الذكر :

قال ـ رحمه اللَّه ـ بعد أن ذكر أهل المعرفة باللَّه ، وما يراعونه من الأوراد، والعبادات بعدما ألطفهم اللَّه به من الكرامات : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك .

وقال ـ رحمه اللَّه ـ : إن اللَّه عز وجل يخلص إلى القلوب من بِرِّه حسبما خلصت القلوب به إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك ؟!

وقال ـ رحمه اللَّه ـ لو أقبل صادق على اللَّه ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله .

وقال ـ رحمه اللَّه ـ : من استخلصه الحق بمفرد ذكره وصافاه ، يكون له وليًا منتخبًا مكرمًا مواصلاً ، يورثه غرائب الأنباء ، ويزيده في التقريب زلفى، ويثبته في محاضر النجوى ، ويصطنعه للاصطفاء ، ويرفعه إلى الغاية القصوى ، ويبلّغه في الرفعة إلى المنتهى ، ويُشرف به من ذِروة الذرا

---

(١) « مناقب الإمام أحمد » (ص٣٥٨ـ٣٥٩) .
(٢) « السير » (٨/ ٣٦٠) .
(٣) « السير » (٩/ ٢٠٣) .

على مواطن الرشد والهدى » .

قال أبو بكر العطوي : كنت عند الجنيد حين مات ، فختم القرآن ، ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آية ، ثم مات ـ رحمه اللَّه ـ [١] .

● وعطاء بن السائب قال عنه الإمام أحمد : « ثقة ثقة ، رجل صالح ، ومن سمع منه قديمًا كان صحيحًا ، وكان يختم كل ليلة » .

● وممن اشتهر بختم القرآن في أقصر مدة : بكر بن سهل بن إسماعيل الإمام المفسّر المقرئ ، وأبو قبيصة الضبي الإمام الخيّر .

● والكتاني أبو بكرمحمد بن علي بن جعفر قال عنه الذهبي : « يُقال : ختم الكتاني في الطواف اثنتي عشرة ألف ختمة ، وكان من الأولياء »[٢] .

الإمام القدوة شيخ نيسابور أحمد بن حرب بن فيروز :

قال زكريا بن دَلَّوَيْه : كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجام ليُحفي شاربه ، يُسبّح ، فيقول له الحجّام : اسكت ساعة ، فيقول : اعمل أنت عملك ، وربما قطع من شفته وهولا يعلم .

جعفر بن الحسن الدّرزيجاني المقرئ :

قال عنه الحافظ ابن رجب : «كان مداومًا على الصيام والتهجد والقيام، له ختمات كثيرة جداً ، كل ختمة منها في ركعة ، توفي في الصلاة ساجدًا»[٣] .

أبو الحسن الباهلي من شدة اشتغاله باللَّه مثل مجنون أو واله :

قال عنه أبو إسحاق الإسفراييني : أنا في جانب شيخنا أبي الحسن

---

(١) « الحلية » (١٠/ ٢٦٤) .
(٢) « السير » (١٤/ ٥٣٥) .
(٣) « ذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب (١/ ١١٠) .

الباهلي كقطرة في بحر .

وقال ابن الباقلاني : كان الباهلي من شدة اشتغاله باللَّه مثل مجنون أو واله[١] .

أحمد بن رضوان بن محمد صاحب « الواضح في القراءات العشر » :

قال عنه الخطيب البغدادي : كان أحمد بن رضوان أحد القرّاء المذكورين بإتقان الروايات ، ، له في ذلك تصانيف ، توفي وهو شاب ، وقد كان الناس يقرءون عليه في حياة الحمامي لعلمه ، حضرته ليلة في الجامع ، فقرأ فيها ختمتين قبل أن يطلع الفجر »[٢] .

شيخ الإسلام ابن تيمية وخبره العجب :

يقول عنه تلميذه ابن القيم : « قال لي مرة : لا أترك الذكر إلا بنيّة إحمام نفسي وإراحتها ، لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر »[٣] .

وقال ـ رحمه اللَّه ـ : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رُحْت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

ولما سجن بالقلعة وصار داخل سورها ؛ نظر إليه وقال : ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾ [٤] الآية .

وكان يقول : لو بذَلْتُ ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شكر هذه النعمة . وما هذا إلا لتفرغه لتلاوة القرآن فقد « ختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ـ ثمانين أو إحدىٰ وثمانين ختمة انتهىٰ في آخر ختمة إلىٰ آخر

---

(١) « سير أعلام النبلاء » (١٦/ / ٣٠٤) .

(٢) « تاريخ بغداد » للخطيب (٤/ ١٦١) .

(٣) « الوابل الصيب » (ص٨٤) .

(٤) سورة الحديد الآية (١٣) .

اقتربت الساعة ﴿ **إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ ، ثم كملت عليه بعد وفاته وهو مسجىً »[١] .

إن للَّه عبادًا تُعْلَى قلوبهم بالأذكار ، كما تُعلى الأطيار في الأوكار لو فتشت منهم القلوب ، لما وجدت فيها غير حبِّ المحبوب .

ذكرنا وما كنا لننسى فنذكرُ ... ولكنْ نسيمُ القرب يبدو فيظهَرُ

فأحيا به عنـي وأحيـا به له ... إذ الحق عنـه مُعْبِّرٌ ومُعَبَّـرُ

ابن المؤذن يختم في رمضان مائة ختمة :

محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي أبو عبد اللَّه الحَلْفاوي التونسي نزيل غرناطة يعرف بابن المؤذن .

كان صاحب مقامات وكرامات ، حسن الصلاة جدًا ، وكان يختم في رمضان مائة ختمة[٢] .

ابن عياش الزاهد يختم كل يوم نصف ختمة :

أحمد بن محمد بن الشهاب أبو العباس الجوخي الدمشقي المقرئ . . . عني بالقراءات وانتفع به جمع من أهل الحجاز واليمن .

قال عنه السخاوي في « الضوء اللامع » (٢/ ٢٠٣) : « كان بصيرًا بالقراءات دينًا خيّرًا غاية في الزهد في الدنيا . . . تلاوته كل يوم نصف ختمة .

الأرمنازي لا يفتر عن تلاوة القرآن :

إبراهيم بن أبي الوفاء بن أبي بكر الأرمنازيّ ثم الحلبي الشافعي .

---

(١) « العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية » لابن عبد الهادي (ص٣٦٨) .
(٢) « الدرر الكامنة » لابن حجر (٤/ ٣٠٢ـ٣٠٣) .

قال ابن الحنبلي : واتفق له أنه قرأ في طريق الحاج ذهابًا وإيابًا وفي إقامته بمصر قدر شهرين ما يزيد على ثلثمائة وخمسين ختمة .

قيل : كان راتبه في الإقامة مع قضاء مصالحه في اليوم والليلة ختمة وبدونه ختمة ونصفًا ، وكان يمشي في الأسواق فلا يفتر عن التلاوة[١] .

جلال الدين البصرويّ القاضي ليله ونهاره مع القرآن :

محمد بن علي بن يوسف خطيب الجامع الأموي .

كان مواظبًا على تلاوة كتاب اللَّه راكبًا وماشيًا .

قال عنه الشيخ الصالح عبد القادر بن سوار : كان لا يفتر من قراءة القرآن ليلاً ولا نهاراً ، وكان كثيراً ما تتفق له التلاوة وهو في الخلاء ، فقيل له في ذلك فقال : إن القرآن يجري على لساني اتفاقًا من غير قصد[٢] .

شيخ الإسلام تقي الدين البلاطنسي يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين :

شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطنسي : « كان يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين ، وأكبّ في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبة لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن»[٣] .

الشيخ الفاضل : شمس الدين البابلي :

محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي ، كان كثير

---

(١) « الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة » لنجم الدين الغزي (ص١/ ١٠٦) .
(٢) « الكواكب السائرة » (٢/ ٤٧ـ٤٨) .
(٣) « الكواكب السائرة » (٢/ ٨٧ـ٨٩) .

العبادة يواظب على قراءة القرآن سرًا وجهرًا ، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة ، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن »[١] .

أخي : الديك يحن إلى سماع القرآن فأين قلبك ؟! :

كان للشيخ الفقية شرف الدين العتياوي ديك ، فكان إذا قعد يقرأ القرآن يأتي ديك عندهم فيقف بين يدي الشيخ يرفع رجلاً ويضع أخرى فلا يبرح حتى يفرغ الشيخ من قراءته[١] .

قم فقــد صاحــت الديــوك وحنّت لا تكـون الديــوك أطـرب منــا

عليك بذكر اللّه فهـو دواء الجنـون

ومن حديثي بكم قالـــوا به مرض فقلت : لا أذهب اللّه عني ذلك المرض

وأحلى ما نختم به ومسك القول حديث أبي سعيد الخدري ، وبصحّته طابت أيامنا ، وأقسم باللّه أني فرحت بصحة هذا الحديث أشد من فرحي بملك الأرض بأسرها :

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **أكثروا ذكر اللّه حتى يقولوا مجنون** »[٢] .

ورجل ذكر الله خاليًا ، ففاضت عيناه

قال الحافظ ابن حجر : (**ذكر اللّه**) : أي بقلبه من التذكر ، أو بلسانه من الذكر .

---

(١) « خلاصة الأثر » (٤/ ٣٩-٤٢) .
(٢) « الكواكب السائرة » (٣/ ٢٢٢-٢٢٣) .
(٣) صحيح : رواه أحمد ، وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي ، وصححه الحاكم والسيوطي، وقد اقتصر ابن حجر في أماليه على كونه حسنًا وصححه الألباني في «الصحيحة» المجلد السادس.

(**خاليًا**) : أي من الخلو ، لأنه يكون حينئذ أبعد من الرياء ، والمراد خاليًا من الالتفات إلىٰ غير اللَّه ولو كان في ملأ ، ويؤيده رواية البيهقي « ذكر اللَّه بين يديه » ، ويؤيد الأول رواية ابن المبارك وحماد بن زيد : « ذكر اللَّه في الخلاء » ، أي في موضع خال ، وهي أصح .

قوله : (**ففاضت عيناه**) : أي فاضت الدموع من عينيه ،و أسند الفيض إلىٰ العين كأنها هي التي فاضت .

قال القرطبي : وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما يكشف له : ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية اللَّه ، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه ، قلت : قد خص في بعض الروايات بالأول[1] .

أخي : إن الخائفين قوم ذلت ـ واللَّه ـ منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتىٰ حسبهم الجاهل مرضىٰ ، وهم ـ واللَّه ـ أصحاب القلوب ، قد كاتبوا اللَّه بدموعهم وهم ينتظرون رد الجواب .

صحائفنا إشارتنا وأكثر رسلنا الحرقُ
لأن الكتب قد تُقرا بغير الدمع ما نثقُ

واللَّه لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديداً ، وجرىٰ عليهم ما جرىٰ علىٰ من كان قبلهم ، واللَّه ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار .

« كلما أذهب الأعمار طلوعهم وغربوهم ، سالت من الأجفان جزعًا غروبهم ، وكلما لاحت في مرآة الفكر ذنوبهم تجافت عن المضاجع خوفًا

---

(١) « فتح الباري » (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣) .

جنوبهم ، وكلما نظروا فساءهم مكتوبهم وجلت قلوبهم » .

أموات عن الدنيا ما دُفنوا ، وأغمضوا عنها عيونهم وحزنوا ، باعوها بما يبقىٰ فلا واللَّه ما غُبنوا ، تاللَّه لقد حصل مطلوبهم ، ﴿ **إذا ذكر اللَّه وجلت قلوبهم** ﴾ .

حبسوا النفوس في سجن المحاسبة ،وبسطوا عليها ألسن المعاتبة ، ومدوا نحوها أكف المعاقبة ، فارتفعت بالمعاتبة عيوبهم ، ﴿ **إذا ذكر اللَّه وجلت قلوبهم** ﴾[1] .

إذا جنهم الليل فقيام علىٰ أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجري دموعهم علىٰ خدودهم ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم ، قد باتوا للَّه سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وأقدامهم ، فإذا أصبحوا ذكروا اللَّه عز وجل ، فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريح ، وهملت أعينهم حتىٰ تبل ثيابهم .

لسان حالهم قول القائل : « يا كم يا ليل يا نهار تحطان من أجلي وأنا غافل عما يراد بي .

إذا ما الليل أظلم كابـــدوه فيســـفرُ عنهمُ وهم ركـــوعُ

أطار الخوف نومهمُ فقامـــوا وأهل الأمن فى الدنيا هجـوعُ

هم واللَّه كما قال الحسن : « إن للَّه عباداً كمن رأىٰ أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، ينظر الناظر إليهم فيحسبهم مرضىٰ » .

قال فيهم شميط : « أتاهم من اللَّه وعيد وقذهم[2] ، فناموا علىٰ

(١) « التبصرة » (١/ ٣٩٤-٣٩٥) .
(٢) وقذهم : أي أمرضهم مرضاً شديداً .

خوف، وأكلوا على تنغيص».

قال السري: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى.

لما خفيت العواقب عليهم، فزعوا إلى القلق، واستراحوا إلى البكاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٣].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرًا ولضحكتم قليلاً**»[٤].

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحُق لها أن تئط**[٥]**، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات**[٦] **تجأرون إلى الله**»[٧].

---

(١) سورة الأنفال الآية (٢).

(٢) سورة الإسراء الآية (١٠٧-١٠٩).

(٣) سورة النجم الآية (٥٩-٦٠).

(٤) رواه البخاري.

(٥) تئط: أي تصوت، من الأطيط، وهو صوت الأقتاب.

(٦) الصحاري.

(٧) صحيح: رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

قال أبو ذر : يا ليتني كنت شجرة تعضد .

وعن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال : قال أبو بكر : يا رسول اللَّه ! قد شبت ؟ قال : « **شيبتني ، هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون** »، **وإذا الشمس كورت** »[١] .

وعن أم العلاء الأنصارية قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **واللّه لا أدري وأنا رسول اللّه ما يفعل بي ولا بكم** » . وقال : « **لن ينجي أحدا منكم عمله ، ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمته** »[٢] .

وعن عبد اللَّه بن الشخير - رضي اللَّه عنه - قال : « أتيت رسول اللَّه ﷺ وهو يصلي ، وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء »[٣] .

وعن عطاء قال : دخلت أناوعبيد بن عمير على عائشة - رضي اللَّه عنها - فقال عبيد بن عمير : حدثينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول اللَّه ﷺ ، فبكت وقالت : قام ليلة من الليالي فقال : «**يا عائشة ذريني أتعبدُ لربي** » ، قالت : قلت : واللّه إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض ، وجاء بلال يؤذن بالصلاة ، فلما رآه يبكي ، قال: يا رسول اللّه تبكي وقد غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً ، لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ... ﴾ الآية** »[٤] .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي والحاكم عن ابن عباس ، وابن مردويه عن سعد ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٧) .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة .

(٣) صحيح : راه أبو داود ، والترمذي في « الشمائل » ، وقال النووي : إسناده صحيح ، وقال الألباني : إسناده صحيح .

(٤) صحيح : رواه أبو الشيخ في « أخلاق النبي ﷺ » وابن حبان ، وصححه الألباني .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **عينان لا تريان النار : عين بكت وجلاً من خشية اللّه، وعين باتت تكلأ في سبيل اللّه** »[(١)] .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **عينان لا تمسهما النار أبداً : عين بكت من خشية اللّه ، وعين باتت تحرس في سبيل اللّه** »[(٢)] .

وقال ﷺ : « **حُرم على عينين أن تنالهما النار : عين بكت من خشية اللّه ، وعين باتت تحرس الإسلام وأهله من أهل الكفر** »[(٣)] .

وقال رسول اللّه ﷺ لجبريل عليه السلام :

« **ما لي لم أر ميكائيل ضاحكاً قط ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار** »[(٤)] .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل** »[(٥)] .

وقال ﷺ : « **لا يلج النار رجل بكى من خشية اللّه حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل اللّه ودخان جهنم في منخري مسلم أبداً** »[(٦)] .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الأوسط » عن أنس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٣٩٩٠) .

(٢) صحيح : رواه أبي يعلى في «مسنده » والضياء عن أنس ،و صححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٩٩٢).

(٣) حسن : رواه الحاكم والبيهقي في « شعب الإيمان » ، و حسنه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٣١٣١) .

(٤) حسن : أخرجه أحمد ، وابن أبي الدنيا في « صفه النار » ، و « الرقة والبكاء » له أيضاً ، وحسنه الألباني في « السلسلة الصحيحة » رقم (٢٥١١) .

(٥) صحيح : أخرجه الضياء عن الزبير ، وصححه الألباني في « الصحيح الجامع » رقم (٥٨٩٤) ، و«الصحيحة» رقم (٢٣١٣) .

(٦) صحيح : رواه أحمد والترمذي والنسائي والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٧٦٥٥) .

ورضي اللَّه عن الصديقة بنت الصديق تقول لرسول اللَّه في مرض موته : « إن أبا بكر رجل أسيف ، إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة »[١] .

وفي رواية : « إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء»[٢] .

وعن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص قال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولو تعلمون حق العلم ، لصرخ أحدكم حتى ينقطع صوته ، ولسجد حتى ينقطع صلبه »[٣] .

وعن ابن أبي مليكة قال : مر رجل على عبد اللَّه بن عمرو وهوساجد في الحجر وهي يبكي ، فقال : أتعجب أن أبكي من خشية اللَّه، وهذا القمر يبكي من خشية اللَّه ؟ قال : ونظر إلى القمر حين شرف أن يغيب» .

وعن ثوبان مرفوعًا : « **طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته** »[٤] .

وعن مجاهد : أن نبي اللَّه داود عليه السلام بكى من خطيئته حتى هاج ما حوله .

وقال مجاهد : كان داود عليه السلام يؤتى بالإناء ليشرب ، فما يشرب إلا ثلثه أو نصفه ، ثم يذكر خطيئته ، فينتحب النحبة تكاد مفاصله يزول بعضها من بعض ، ثم ما يتمه حتى يملأه من دموعه »[٥] .

---

(١) رواه البخاري ـ كتاب الأذان باب من أسمع الناس تكبير الإمام .
(٢) البخاري كتاب الأذان باب إذا بكى الإمام في الصلاة .
(٣) إسناده صحيح : أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ، وهناد والمروزي في « زيادات زهد ابن المبارك » ووكيع في « الزهد » وصححه الحاكم ووافقة الذهبي .
(٤) حسن : رواه الطبراني في « الصغير » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٩٢٩) .
(٥) « الرقة والبكاء » (ص٢٤٧) .

وعن إسماعيل بن عبيد قال : كان داود إذا عوتب في كثرة البكاء قال : دعوني أبكي قبل يوم البكاء ، قبل احتراق العظام ، واشتعال اللحىٰ ، قبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[(١)] .

وقال وهيب بن الورد : لما عاتب اللَّه نوحًا في ابنه ، فأنزل عليه : ﴿ **إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾ بكىٰ ثلثمائة عام ، حتىٰ صار تحت عينه أمثال الجداول من البكاء »[(٢)] .

قال مالك بن دينار : كان داود إذا ذكر الخطيئة في الليل ، خرج حتىٰ ينظر إلىٰ السماء ، ثم يبكي ويقول : إليك رفعت رأسي يا ساكن السماء نظر العبيد إلىٰ أربابها يا عامر السماء ، ثم لا يزال يبكي حتىٰ يصبح .

قال يزيد الرقاشي : « إنما سمي نوحًا ﷺ لأنه كان نوّاحًا »[(٣)] .

وعن مجاهد قال : كان يحيىٰ بن زكريا يأكل العشب ، وإن كان ليبكي من خشية اللَّه ما لو كان القار علىٰ عينه لخرقه ، وكانت الدموع قد اتخذت مجرىٰ في وجهه .

وعن وهيب بن الورد قال : كان يحيىٰ بن زكريا له خطان في وجهه من البكاء .

فقال له أبوه زكريا : إني إنما سألت اللَّه ولدًا تقر به عيني ، فقال : يا أبه ! إن جبريل أخبرني إن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكّاء .

كان يحيىٰ عليه السلام يبكي حتىٰ رق جلد خده ، هذا وقد كان علىٰ الجادة فكيف بمن ضل ؟!

---

(١) « الزهد » للإمام أحمد (١/ ١٣٥) ، و« الرقة والبكاء » (ص٢٤٧) .
(٢) « الرقة والبكاء » (ص٢٣١) .
(٣) « حلية الأولياء » (٣/ ٥١) ، و« الرقة والبكاء » (ص٢٣١) .

وعجبًا من بكائه ، وما ثم مآثم فكيف بمن أغرقته الذنوب .

أخي : نُـح نَـوح نـوح تحيا حياة يحيىٰ .

لا تحبسـن ماء العيـون فإنه لك يا لديـغ هـواهم تريـاق

قال خالد بن معدان : « إن الدمعة لتطفئ البحور من النيران ، فإن سالت علىٰ خد باكيها لم ير ذلك الوجه النار ، وما بكىٰ عبد من خشية اللَّه إلا خشعت لذلك جوارحه ، وكان مكتوبًا في الملأ الأعلىٰ باسمه واسم أبيه، منوراً قلبه بذكر اللَّه » .

وقال رجل للحسن أوصني : قال : رطب لسانك بذكر اللَّه ، ونّد جفونك بالدموع من خشية اللَّه ، فقل من طلبت لديه خيراً فلم تدركه .

ووعظ مالك بن دينار ، فتكلم ، وبكىٰ حوشب بن مسلم، فضرب مالك بيديه علىٰ منكبه فقال : إبك يا أبا بشر ، فإنه بلغني أن العبد لا يزال يبكي حتىٰ يرحمه سيده فيعتقه من النار .

وقال عمر بن ذر : ما رأيت باكيًا قط إلا خُيل إليّ أن الرحمة قد تنزلت عليه .

وكان عبد الواحد بن زيد يقول : يا إخوتاه ! ألا تبكون خوفًا من النار؟ ألا إنه من بكىٰ خوفًا من النار أعاذه اللَّه منها ، يا إخوتاه ! ألا تبكون شوقًا إلىٰ اللَّه؟ ألا إنه من بكىٰ شوقًا إلىٰ سيده لم يحرمه النظر إليه ، يا إخوتاه! ألا تبكون خوفًا من النار ؟ ألا إنه من بكىٰ خوفًا من العطش يوم القيامة ، ألا إنه من بكىٰ خوفًا من ذلك سقي علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة ، يا إخوتاه ! ألا تبكون ؟ بلىٰ ، فابكوا علىٰ الماء البارد أيام الدنيا لعله أن يسقيكموه في حضائر القدس مع خير الندماء والأصحاب من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

ثم جعل يبكي حتىٰ غشي عليه[١] .

وقال عمر بن عبد العزيز لأبي الجودىٰ الحارث بن عمير : يا أبا الجودىٰ اغتنم الدمعة تسيلها علىٰ خدك للَّه[٢] .

وقال سفيان بن عيينة : البكاء من مفاتيح التوبة ألا ترىٰ أنه يرق فيندم .

وقال حمــزة الأعمىٰ : ذهبت أمي إلىٰ الحسن البصري فقالت : يا أبا سعيد ! ابني هذا قد أحببت أن يلزمك ، فلعل اللَّه أن ينفعه بك ، قال : فكنت أختلف إليه ، فقال لي يومًا : يا بني الزم الحزن علىٰ خير الآخرة لعله أن يوصلك إليه ، وابك في ساعات الخلوة لعل مولاك يتطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين .

قال : وكنت أدخل عليه منزله وهو يبكي ، وأتيته مع الناس وهو يبكي ، وربما جئت وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه .

فقلت له يومــًا : يا أبا سعيد إنك لتكثر من البكاء ! فبكىٰ ، ثم قال : يا بني فما يصنع المؤمن إذا لم يبك .

يا بني إن البكاء داع إلىٰ الرحمة ، فإن استطعت أن لا تكون إلا باكيًا فافعل لعله يراك علىٰ حالة فيرحمك بها ، فإذا أنت قد نجوت من النار .

قال المفضل بن مهلهل : بلغني أن العبد إذا بكىٰ من خشية اللَّه ملئت جوارحه نورًا ، فاستبشرت ببكائه ، وتداعت بعضها بعضًا : ما هذا النور ؟ ويقال لها : هذا غشيكم من نور البكاء[٣] .

يا كثيف الطبع ، بيض الحمام يفرق من صوت الرعد ولا حس لهم فميت أنت ؟!

---

(١) « صفة الصفوة » (٣/ ٣٢٢) .

(٢) « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي (ص١٧٠) .

(٣) «الرقة والبكاء » (٥٤) .

وهذه الصواعق حولك ، أعمالك أعمى لك ، أفعالك أفعى لك .

يا غاديًا في غفلة ورائحـا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفا يستنطق اللّٰه به الجوارحـا

للّٰه در أصحاب السرائر :

قال زين القراء محمد بن واسع : لقد أدركت رجالاً ، كان الرجل يكون رأسه ورأس امرأته على وسادة واحدة ، قد بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ، ولقد أدركت رجالاً كان أحدهم يقوم في الصف فتسيل دموعه على خديه ، لا يشعر به الذي جنبه(١) .

وقال ـ رحمه اللّٰه ـ : «إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة ، ومعه امرأته ما تعلم به »(٢) .

وكان حسان بن أبي سنان يحضر مسجد مالك بن دينار ، فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبل ما بين يديه ، لايسمع له صوت(٣) .

وجاء ثابت البناني إلى محمد بن واسع يعوده فسلم يحيى البكاء على ثابت ، فقال : من أنت ؟ فقال له رجل : هذا أبومسلم ، هذا يحيى فقال : من أبو مسلم ؟ قالوا : يحيى البكاء ، قال : إن شر أيامكم يوم عرفتم بالبكاء ونسبتم إليه(٤) .

وحدث الحسن يومًا ، أووعظ ، فنحب رجل في مجلسه ، فقال الحسن : إن كان للّٰه فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير اللّٰه هلكت .

---

(١) « حلية الأولياء » (٢/ ص٣٤٧) ، و« الرقة والبكاء » (ص١٣٥) .
(٢) « حلية الأولياء » (٢/ ٣٤٧) .
(٣) « صفة الصفوة » (٣/ ٣٣٩) .
(٤) « الرقة والبكاء » (ص١٣٤) .

وبكى أيوب السختياني مرة فأخذ بأنفه وقال : إن هذه الزكمة ربما عرضت ، وبكى مرة أخرى فاستكنى[١] بكاءه ، فقال : إن الشيخ إذا كبر مج .

وكان - رحمه الله - يرق ، فيستدمع ، فيحب أن يخفي ذلك على أصحابه فيمسك على أنفه كأنه رجل مزكوم ، فإذا خشي أن تظبه عبرته قام[٢] .

قال هشام بن حسان الأزدي : ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة[٣] .

كان ابن سيرين يتحدث بالنهار ويضحك ، فإذا جاء الليل فكأنه قتل أهل القرية .

نهاري نهار الناس حتى إذا بـدا الليل هزتني إليك المضاجـع
أقضي نهاري بالحديث وبالمنـى ويجمعني والهم بالليل جامع

كان خوفهم من الرياء يوجب مدافعة النهار ، فإذا خلوا بالحبيب لم يصبر الشوق .

أحن بأطراف النهـار صبابـة وفي الليل يدعوني الهوى فأجيب
وأيامنـا تفـنى وشـوقي زائـد كأن زمـان الشـوق ليس يغيب

قال الحسن البصري : إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها ، فإذا خشي أن تسبقه قام[٤] .

---

(١) أي كنى عنه يقصد إخفائه .
(٢) « الرقة والبكاء » (ص١٣٤).
(٣) « التبيان في آداب حملة القرآن » (ص٨٧) ، تحقيق بشير محمد عيون / مكتبة المؤيد .
(٤) « الزهد » لأحمد بن حنبل (ص٢٦٢) .

وكان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا ، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله[١] .

وانظر إلى نور مرْو وحافظ الدنيا شيخ الإسلام عبد اللّه بن المبارك .

عن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك ، فكثيراً ما كان يخطر ببالي ، فأقول في نفسي : بأي شيء فضل هذا الرجل علينا ، حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة ؟ إن كان يصلي إنا نصلي ، وإن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو فإنا لنغزوا ، وإن كان يحج إنا لنحج !

قال : فكنا في بعض سيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت ، إذ طفئ السراج ، ثم جاء بالسراج ، فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت في نفسي : بهذه الخشية فضل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى ظلمة ذكر القيامة[٢] .

يا عـــاذل الأوّاب دعــه فإنـــه يطوي على الزفرات غير حشاكا

لوكان قلبك قلـــبه مـا لمتـــه حاشـــاك مما عـــنده حاشـــكا

نعم إذا رأيتم باكيًا فارحموه ، وإذا شاهدتم قلقًا فاعذروه ، لا تعجبوا من واجد ما لم تجدوه .

أيها السكران بالآمال . . . أغفلة شاملة ودموع جامدة ، أينفعك حين الموت جري الدموع ؟!

قد قيّد الطرد قدميك ، وغلّ الإبعاد يديك ، أفما لك عين تبكي عليك؟!

وفي نظر الصادي إلى الماء حسرة إذا كان ممنـــوعًا سبيل الموارد

---

(١) « الزهد » لأحمد (ص٣٥٨) .

(٢) « صفة الصفوة » (٤/ ١٢١) .

أخي : فوران قدر القلب ، من قدر شدة الإيقاد كان يسمع لصدر الخليل أزيز من بعيد خوفًا من اللَّه تعالىٰ . . . وكذلك نبينا ﷺ فكيف حالك يا من تضحك عند المعاصي ؟

رقدت ولم تــــرث للســــاهر وليــــل المحــب بلا آخــر
ولم تــــدر بعد ذهاب الرقــاد مافعــل الدمــع بالنــاظـر

قال أحمد بن أبي الحواري : رأيت شابًا قد انحدر عن مقبرة فقلت : من أين ؟ قال : من هذه القافلة النازلة ، قلت : وإلىٰ أين ؟ قال : أتزود لألحقها . قلت : فأي شيء قالوا ، أي شيء قلت لهم ؟ قلت : متىٰ ترحلون ؟

فقالوا : حتىٰ تقدمون .

وكم من عبــرة أصبحــت فيــها يلين لها الحديد وأنت قــاس
إلى كــم والمعــاد إلى قــريــب تذكّر بالمعــاد وأنت نــاس[(١)]

مع البكائين :

كان في وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء .

قال علقمة بن وقاص : صليت خلف عمر بن الخطاب ، فقرأ سورة يوسف ، فكان إذا أتىٰ علىٰ ذكر يوسف ، سمعت نشيجه من وراء الصفوف[(٢)] .

• وكان مجرىٰ الدموع من ابن عباس مثل الشراك البالي من الدموع[(٣)] .

---

(١) « المدهش » لابن الجوزي (ص٣٥٧) .
(٢) « المصنف » لابن أبي شيبة (١٤/ ٨) .
(٣) « المصنف » لابن أبي شيبة (١٤/ ٥) ، « حلية الأولياء » (٢/ ٣٠٧) ، و« الرقة والبكاء » (١٥٩) .

ألا من لعين بكاهـا على الحمـى تجف ضروع المزن وهي حلوب
بكت وغدير الحي طام وأصبحـت عليه العطاش الحائمـات تلوب
وما كنت أدري أن عينـا ركيتـي ولا أن مـاء الماقين شـروب

أم المؤمنين عائشة ـ رضى اللّه عنها ـ :

قال القاسم بن محمد : وكنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ . فأسلم عليها ، فغدوت يوما فإذا هي قائمة تسبح[(١)] ، وتقرأ ﴿ **فمن اللّه علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ وتدعو وتبكي وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، ثم رجعت فإذا هي قائمة تصلي وتبكي[(٢)] .

وكان الربيع بن خثيم يبكي حتي تبل لحيته من دموعه ثم يقول : أدركنا أقواماً كنا في جنوبهم لصوصاً[(٣)] .

تهيم إذا ريـح الصبا نسمت لها وتبكي إذا الورقاء في الغصن غنّت
إذا جـذبـت الصبح اللثام تأوهت وإن نشر الليـل الجنـــاح أرنت

وثابت البناني الرباني :ـ

اشتكى ـ رحمه اللّه ـ عينه ، فقال الطبيب : اضمن لي خصلة تبرأ عينـك . فقال : وما هي ؟ قال : لا تبك . قال : وما خير في عين لا تبكي[(٤)] .

---

(١) أي تصلي .
(٢) « السمط الثمين » (ص٩٠) .
(٣) « صفة الصفوة » (٣/ ٦٨) .
(٤) « الرقة والبكاء » (ص١٥٦) .

قال حماد بن زيد :

رأيت ثابتًا البناني يبكي حتىٰ تختلف أضلاعه .

نزق البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار

من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عينا للدموع تعارُ

وأشج بني أمية ونجيبها ، صاحب النحيب والأزيز عمر بن عبد العزيز:

قال عنه عبد الأعلىٰ بن أبي عبد اللَّه العنزي : «رأيت عمر بن عبد العزيز خرج يوم الجمعة في ثياب دسمة ، ووراءه حبشي يمشي . فلما انتهىٰ إلىٰ الناس رجع الحبشي فكان عمر إذا انتهىٰ إلىٰ الرجلين قال : هكذا رحمكما اللَّه ، حتىٰ صعد المنبر فخطب فقرأ : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ فقال : وما شأن الشمس ؟ ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ﴿ **وإذا الجحيم سعرت** ، **وإذا الجنة أزلفت** ﴾ فبكىٰ ، وبكىٰ أهل المسجد ، وارتج المسجد بالبكاء حتىٰ رأيت أن حيطان المسجد تبكي معه»[1] .

وقال زيد بن أسلم : كان عمر بن عبد العزيز قد بكىٰ حتىٰ أثّرت الدموع بوجهه .

وقال زياد مولىٰ ابن عياش : لو رأيتني ودخلت علىٰ عمر بن عبد العزيز في ليلة شاتية ، وفي بيته كانون ، وعمر علىٰ كتابه ، فجلست أصطلي علىٰ الكانون ، فلما فرغ من كتابه ، مشىٰ إليّ عمر حتىٰ جلس معي علىٰ الكانون، وهو خليفة فقال : زياد بن أبي زياد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : قُصّ عليّ .

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص٩٠ـ٩١) .

قلت : ما أنا بقاصّ .

قال : فتكلم .

قال : قلت : زياد ؟ وماله ؟ لا ينفعه من دخل الجنة إذا أدخل النار ، ولا يضره غدا من دخل النار إذا دخل الجنة .

قال : صدقت والله ، ما نفعك من دخل الجنة إذا دخلت النار ، ولا يضرك من دخل النار إذا دخلت الجنة .

قال : فلقد رأيت عمر يبكي حتى أطفأ الجمر الذي في الكانون .

وقالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم : يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون الناس من هو أكثر صلاة وصوما من عمر فأما أن أكون رأيت رجلا أشد فرقاً من - ربه عزوجل - من عمر فإني لم أره ، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى نفسه في مسجده فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه ثم ينتبه فيدعو ويبكي حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح(١) .

وكانت له - رحمه الله - درّاعة من شعر ، وغل ، وكان له بيت في جوف بيت يصل فيه لا يدخل فيه أحد ، فإذا كان في آخر الليل فتح ذلك السفط ، ولبس تلك الدراعة ، ووضع الغل في عنقه فلا يزال يناجي ربه ويبكي حتى يطلع الفجر(٢) .

سيد البكائين : الحسن البصري :

للّه در أم ضيغم حين تقول عن الحسن وأصحابه : ذهب الحسن وأصحابه بالحزن ، كان الحسن إذا جاء فكأنما قدم من دفن حميم له ، وإذا جلس فكأنما هو أسير يستعد لضرب عنقه ، وإذا بكى

(١) « الزهد » لابن حنبل (ص٢٩٩) ، و« الحلية » (٥/ ٢٦٠) .
(٢) « حلية الأولياء » (٥/ ٢٩١) .

فكأنما النار لم تُخلق إلا له .

قال الربيع بن صبيح : ما دخلت على الحسن إلا أصبته مستلقيًا يبكي .

وقال يونس بن عبيد : كنا ندخل على الحسن ، فيبكي حتى نرحمه .

وقال منصور بن زاذان : كان الحسن ربما بكى حتى نرق له .

وقال عبيد اللَّه بن العَيزار : « ما رأيت الحسن إلا صارًا بين عينيه ، عليه كآبة كأنه رجل أصيب بمصيبة ، فإن ذكر الآخرة ، أو ذُكرت بين يديه جاءت عيناه بأربع[(١)] »[(٢)] .

وقال يحيى بن دينار : كان الحسن إذا تكلم شفى النفوس من إسبال الدموع[(٣)] .

وقال عبد الواحد بن زيد : لو رأيت الحسن إذا أقبل لبكيت لرؤيته من قبل أن يتكلم .

ومن ذا الذي كان يرى الحسن فلا يبكي ؟ ومن كان يقدر يملك نفسه عن البكاء عند رؤيته ؟ ثم بكى عبد الواحد بكاءً شديدًا[(٤)] .

. . . ورحم اللَّه الحسن ، تنفس مرة تنفسًا شديدًا ، ثم بكى حتى رعدت منكباه ، ثم قال : لو أن بالقلوب حياة ، لو أن بالقلوب صلاحًا ، لبكيتم من ليلة صبيحتها يوم القيامة ، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما أسمع الخلائق بيوم قط أكثر فيه عورة بادية ، ولا عين باكية من يوم القيامة »[(٥)] .

---

(١) كناية عن كثرة الدموع .

(٢) « الرقة والبكاء » (ص١٦٨) .

(٣) « الرقة والبكاء » (ص١٧٠) .

(٤) « الرقة والبكاء » (ص١٧١) .

(٥) « الرقة والبكاء » (ص٢١٢) .

للَّه در الحسن . . . واللَّه لهو وأصحابه أولىٰ الناس بقول عبد اللَّه بن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهمُ ركوعُ
أطار الخوف نومهمُ فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنفرج الضلوعُ
وخرس بالنهار لطول صمت عليهم من سكينتهم خشوعُ[1]

يزيد بن مرثد :

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : قلت ليزيد بن مرثد : ما لي لا أرىٰ عينك تجف ؟

قال : وما مسألتك عنه ؟

قلت : عسىٰ اللَّه أن ينفعني به .

قال : يا أخي ، إن اللَّه قد توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار . واللَّه لو لم يتوعدني أن يسجنني في النار إلا في الحّمام لكنت حريّا أن لا تجف لي عين ، واللَّه إن ذلك ليعرض لي حين أسكن إلىٰ أهلي فيحول بيني وبين ما أريد ، وإنه ليوضع الطعام بين يدي فيعرض لي فيحول بيني وبين أكله ، حتىٰ تبكي امرأتي ، ويبكي صبياننا ، لا يدرون ما أبكاني[2] .

والخائف الجأر مالك بن دينار :

يقول عنه جعفر بن سليمان الضبعي : « سمعت مالك بن دينار يقول : «يا إخواتاه ! واللَّه لو ملكت البكاء لبكيت أيام الدنيا » .

(١) « التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي » (ص٤٩٣) .
(٢) « حلية الأولياء » (٥/ ١٦٤) ، و« تهذيب الكمال » (٣٢/ ٢٤١) .

قال : وكان قد بكىٰ حتىٰ اسودّ طريق الدموع في خده »[١] .

وقال صدقة الدقيقي : قال مالك بن دينار : « لو ملكت البكاء لبكيت أيام الدنيا ولولا أن يقول الناس : مجنون لوضعت التراب علىٰ رأسي ، ثم نُحْتُ علىٰ نفسي في الطرق والأحياء حتىٰ تأتيني منيتي ، ثم بكىٰ »[٢] .

وعن الحارث بن سعيد قال : « كنا عن مالك بن دينار ، وعنده قارئ يقرأ ، فقرأ : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ فجعل مالك ينتفض ، وأهل المجلس يبكون ويصرخون ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ هذه الآية ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره** ﴾ فجعل مالك واللَّه يبكي ويشهق حتىٰ غُشي عليه فحُمِل من بين القوم صريعًا »[٣] .

وزين القرّاء محمد بن واسع :

قال عنه سعيد بن الفضيل مولىٰ بني زهرة : « كان محمد بن واسع نازلاً في العُلو وكان قوم يسكنون في داره في السُّفل ، قال : فحدثني بعضهم قال : كان يبكي عامة الليل لا يكاد يفتر ، قال : ثم يصبح ، فإنما يكشر[٤] وجوه أصحابه[٥] .

وقال عنبسة الخواص : بلغني أن محمد بن واسع كان يجعل : ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ وردًا ، يرددها ويبكي[٦] .

* * *

(١) « الرقة والبكاء » (ص١٦٠) .
(٢) « الرقة والبكاء » (ص١٨٤٩) .
(٣) « الرقة والبكاء » (ص٨٨) ، و« صفة الصفوة » (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٠) .
(٤) أي يبتسم .
(٥) « الرقة والبكاء » (ص١٦٦) .
(٦) « الرقاة والبكاء » (ص٢٨٠) .

أما حسان بن أبي سنان :

فكان يحضر مسجد مالك بن دينار فإذا تكلم مالك بكى حسان حتى يبُل ما بين يديه ، لا يُسمع له صوت[1] .

والفضيل بن عياض :

قال عنه ابنه : كان الفضيل قد ألف البكاء ، حتى ربما بكى في نومه حتى يسمعه أهل الدار[2] .

وقال الصلت بن حكيم : قرأ لنا قارئ بمكة : ﴿ **وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ** ﴾[3] ، ونحن على باب فضيل ، فجعلنا نسمع نشيجه من العلو[4] .

قال إسحاق بن إبراهيم : ما رأيت أحدًا أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل .

وقال عنه عبد اللَّه بن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .

وأمير المؤمنين في الحديث سفيان الثوري :

كان يبكي حتى يبول الدم خوفًا من ربه ، قال عنه عبد الرحمن بن مهدي : ما عاشرت رجلاً أرق من سفيان الثوري وكنت أرمقه الليلة ، فما كان ينام إلا أول الليل ، ثم ينتفض فزعًا مرعوبًا ينادي : النار النار ، شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه : « اللَّهم إنك عالم بحاجتي غير معلم ، ما أطلب إلا فكاك رقبتي من النار ، لو كان لي عذر في التخلي ما أقمت مع الناس طرفة عين » ثم

---

(1) « صفة الصفوة » (3/ 339) .

(2) « الرقة والبكاء » (ص167) .

(3) سورة ق الآية (19) .

(4) « الرقة والبكاء » (ص86) .

يقبــل علىٰ صلاتـه ، وكان البكـاء يمنعه من القراءة حتىٰ إن كنتُ لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكاءه .

قال خالد بن الصقر السدوسي : كان أبي خاصًا لسفيان الثوري ، قال أبي : فأستأذنت علىٰ سفيان في نحر الظهر[(١)] فأذنت لي امرأة ، فدخلت عليه وهو يقول : ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم** ﴾ ، ثم يقول : بلىٰ يا رب ، بلىٰ يا رب ! ويتعجب ، وينظر إلىٰ سقف البيت ودموعه تسيل ، فمكث جالسًا كم شاء اللَّه ، ثم أقبل إليّ ، فجلس معي ، فقال : مذ كم أنت ههنا ؟ ما شعرت بمكانك[(٢)] .

أما الحسن بن صالح :

كان ـ رحمه اللَّه ـ إذا نظر إلىٰ جنازة أرسل عينيه بأربع ، قال الفضل بن دُكين : دخلنا مع الحسن بن صالح مرة نعود مريضًا فنظرت إليه يبكي حتىٰ جرت دموعه علىٰ لحيته وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول بعد طلوع الفجر : واهوالاه ! فلو كان هولاً واحد لكفىٰ ، ولكنها أهوال شتىٰ[(٣)] .

ومنصور بن المعتمر:

قال أبو بكر بن عياش : بكىٰ منصور حتىٰ جردت[(٤)] عيناه ، وكان يقوم الليل ويصوم النهار فكانت أمه ترىٰ بكاءه وما يصنع بنفسه ، فتقول له : يا بني ! لو كنت قتلت قتيلاً لما زدت علىٰ هذا »[(٥)] .

---

(١) نحر الظهر : حين تبلغ الشمس منتهاها من الإيقاع .
(٢) « الرقة والبكاء » (ص٢٠٧) .
(٣) « الرقة والبكاء » (ص٢٠٦ ، ٢٠٧) .
(٤) أي خلت من الشعر ـ يعني أهدابهما .
(٥) « صفة الصفوة » (٣/ ١١٤) ، و« الرقة والبكاء » (ص١٠٥) .

وعطاء السلمي :

قيل له ما تشتهي ؟ قال : أشتهي أن أبكي حتى لا أقدر على أن أبكي ! فكان يبكي الليل والنهار ، وكانت دموعه الدهر سائلة على وجهه[١] .

قال صالح المري : قلت لعطاء السليمي : ما تشتهي ؟ فبكى ، ثم قال : أشتهي واللَّه يا أبا بشر أن أكون رمادًا لا تجتمع منه سُفة[٢] أبدًا لا في الدنيا ولا في الآخرة[٣] .

قال صالح : فأبكاني واللَّه ، وعلمت أنه إنما أراد النجاة من عسر يوم الحساب .

وقال سرار العنزي : ما رأيت عطاء السليمي قط إلا وعيناه تفيضان ! ، وما كنت أشبه عطاء إذا رأيته إلا بالمرأة الثكلى ، وكأن عطاء لم يكن من أهل الدنيا[٤] .

قال سرار : قالت لي امرأة عطاء السليمي : عاتِب عطاءً في كثرة البكاء ، فعاتبته فقال لي : يا سرار ! كيف تعاتبني في شيء ليس هو إلي ، إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب اللَّه وعقابه تمثلت لي نفسي بهم ، فكيف تغل يدها إلى عنقها وتسحب إلى النار ، ألا تصيح وتبكي ؟! وكيف لنفس تعذب ألا تبكي ؟ ويحك يا سرار ، ما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم اللَّه ، قال : فسكت عنه[٥] .

---

(١) « صفة الصفوة » (٣/ ٣٢٩) .

(٢) هي القبضة من كل ما يسف .

(٣) « صفة الصفوة » (٣/ ٣٣٠) .

(٤) « حلية الأولياء » (٦/ ٢٢٠) ، « صفة الصفوة » (٣/ ٣٣٠) .

(٥) « الرقة والبكاء » (ص١٨٣) .

وعتبة الغلام :

قال سرار العنزي : بكى عتبة الغلام في مجلس عبد الواحد بن زيد تسع سنين لا يفتر ، بكاءً من حين يبدأ عبد الواحد في الموعظة إلى أن يقوم ، لايكاد يسكت ، فقيل لعبد الواحد إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة ، قال فأصنع ماذا ؟ يبكي عتبة على نفسه وأنهاه أنا ؟ لبئس واعظ قوم أنا ؟ .

وقال سالم النحيف : رمقت عتبة ذات يوم بساحل البحر ، فما زاد ليلته تلك حتى أصبح على هذه الكلمات وهوقائم يقول : « إن تعذبني فإني لك محب وإن ترحمني فإني لك محب » ، فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجر »[(١)] .

رحمك الله يا عتبة يا شبيه الحسن في الحزن .

كان ـ رحمه الله ـ يبكي حتى تمتلئ راحته بدموع عينيه ، ثم يمسح بها وجهه ورقبته ويقول : إلهي وسيدي ، لا تخزني يوم يقوم الحساب ، وكان إذا سمع النداء بكى .

وكان سعيد بن السائب الطائفي:

لا تكاد تجف له دمعة ! إنما دموعه جارية دهره ! إن صلى فهو يبكي ، وإن طاف فهو يبكي وإن جلس يقرأ في المصحف فهو يبكي ، وإن لقيته في طريق فهو يبكي !

فعاتبه رجل على ذاك ، فبكى ثم قال : إنما ينبغي أن تعذلني وتعاتبني على التقصير والتفريط ، فإنهما قد استوليا عليّ[(٢)] .

ومسعر بن كدام :

كان إذا دخل بكى ، وإن خرج بكى ، وإن صلى بكى ، وإن جلس بكى .

بكى مسعر ، فبكت أمه ، فقال لها مسعر : ما يبكيك يا أمه ؟

---

(١) « حلية الأولياء » (٦/ ٢٥٣) ، « صفة الصفوة » (٣/ ٣٧١) ، « الرقة والبكاء » (ص١٦٧) .
(٢) « تهذيب الكمال » (١٠/ ٤٥٩) ، « الرقة والبكاء » (ص١٧١ ـ ١٧٢) .

قالت : يا بني رأيتك تبكي فبكيت .

قال : يا أمه لمثل ما نهجم عليه غداً فليطل البكاء .

قالت : وما ذاك يا بني ؟ قال : القيامة وما فيها ! ثم غلبه البكاء ، فقام وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول : لولا أمي ما فارقت المسجد إلا لما لابد منه [(١)] .

وكان ميسرة القيسي يبكي حتىٰ يغمىٰ عليه ، فيقال له : لو رفقت بنفسك؟ فيقول : إنما أتيت من الرفق بها . واللَّه لا أرفق بها أبداً والقيامة أمامها ، حتىٰ أعلم ما لها عند ربها من خير وشر ، وكان قد عمش من طول البكاء [(٢)] .

وتكلم عمر بن ذر فذكر رواجف القيامة وزلازلها وأهوالها ، وشدة الأمر يومئذ هناك ، واستبكىٰ ابن ذر ، وبكىٰ الناس يومئذ بكاءاً شديداً . فوثب وراد العجلي ، فجعل يبكي ويصرخ ويضطرب ، حتىٰ هدأ . ثم حمل من بين القوم صريعًا . فجعل ابن ذر يبكي ويقول : يا أيها الناس ما أخو بني عجل بأولىٰ بالخوف من اللَّه منا ومنكم ، وما منا أحد إلا علىٰ مثل حاله بين خوف ورجاء . وإنا فيما ندبنا اللَّه إليه من طاعته لمشتركون جميعًا ، فما الذي قصر بنا وأسرع به وكلم قلبه حتىٰ أبكاه فأخرجه إلىٰ ما رأيتم من مخافة اللَّه ، وكلنا قد سمع الموعظة وفهم التذكرة ، فلم يكن من أحد سواه لذلك حركة ولم تنبض من أحد منا في ذلك خالجة . واللَّه إن هذا يا أخا بني عجل إلا من صفاء قلبك ، وتراكم الذنوب علىٰ قلوبنا ، وما أرانا نؤتىٰ إلا من أنفسنا ، ثم بكىٰ ابن ذر وقرأ هذه الآية ﴿ **إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ** ﴾ [(٣)] .

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص١٨١) ، « صفة الصفوة » (٣/ ١٣٠) .

(٢) « الرقة والبكاء » (ص١٨٤) .

(٣) سورة إبراهيم الآية (١١) .

قال عمر بن ذر : قال أبي : كنت أرىٰ ورّادًا العجلي يأتي المسجد مقنع الرأس فيعتزل ناحية ، فلا يزال مصليًا وداعيًا وباكيًا ما شاء اللَّه من النهار ، ثم يخرج ، ثم يعود فيصلي الظهر فهو كذلك بين صلاة ودعاء وبكاء حتىٰ يصلي العشاء ، ثم يخرج لا يكلم أحدًا ولا يجلس إلىٰ أحد .

فسألت عنه رجلاً من حيّه ووصفته له ، فقلت : شاب من صفته من هيئته، قال : بخ يا أبا عمر ! أتدري عمن تسأل ؟ ذاك ورّاد العجلي الذي عاهد اللَّه أن لا يضحك حتىٰ ينظر إلىٰ وجه رب العالمين !

قال أبي : فكنتُ إذا رأيته بعد هبته .

كان وراد إذا كان قريب من طلوع الفجر سجد ، ثم بكي ، ثم قال : مولاي! عبدك يحب الاتصال بطاعتك ، فأعنه عليها بتوفيقك أيها المنّان .

مولاي ! عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه علىٰ ذلك بمنك عليه أيها المنان .

مولاي! عبدك عظيم الرجاء لخيرك ، فلا تقطع رجاءه يوم يفرح بخيرك الفائزون ، فلا يزال علىٰ هذا ونحوه حتىٰ يصبح(١) .

فماذا كان من أمر هذا الرباني : لما مات ـ رحمه اللَّه ـ ، حملوه إلىٰ حفرته، نزلوا ليدْلُوه في حفرته فإذا القبر مفروش بالريحان ، فأخذ بعض القوم الذين نزلوا القبر من ذلك الريحان شيئًا ، فمكث سبعين يومًا طريًا لا يتغير ، يغدو الناس ويروحون ينظرون إليه وكثر في ذلك حتىٰ خاف الأمير أن يفتن الناس ، فأرسل إلىٰ الرجل فأخذ ذلك الريحان وفرّق الناس ففقده الأمير من منزله لا يدري كيف ذهب(٢) .

أما العبد الصالح أبو محمد المغيرة الخزاز فكان إذا تكلم بكىٰ وأبكىٰ ،

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص١٩٢) ، و« صفة الصفوة » (٣/ ١٦١ ـ ١٦٢) .

(٢) « صفة الصفوة » (٣/ ١٦٢) .

فقال : يا إخوتاه : ابكواوبكّوا هذه الأعين والقلوب فإن الحزين غداً مسرور والباكي ضاحك والخائف آمن ، وطويل السغب في الدنيا طويل الشبع في الآخرة وطويل الظمأ طويل الري عند اللَّه ألا فتخّيروا واختاروا، واتقوا أن تغبنوا فتهلكوا، ثم يبكي - رحمه اللَّه - ويبكي الناس[1] .

وبهيم العجلي - رحمه اللَّه - : كان يقول : « وعزتك إلهي ما بكىٰ الباكون إليك فخيّبتهم من فضلك ، بل ظن أوليائك بك أحسن الظنون ورجاؤهم لك أحسن الرجاء ، ثم يبكي حتىٰ يبل لحيته بالدموع[2] .

قال ابن السماك عن عمر بن ذر المرهبى : رأيت ابن ذر يبكي من أول الليل إلىٰ آخره ، متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : إليك أنضيت المُطىٰ ، وإليك تجشمت قطع المفاوز ، حتىٰ أنخت بفنائك ، رجاء كرامتك وجزيل ثوابك ، ويبكي حتىٰ يصبح .

والبكّاء التقي يزيد الرقاشي :

يقول عنه هشام بن حسان : بكىٰ يزيد الرقاشي أربعين عاماً حتىٰ تساقطت أشفاره وأظلمت عيناه وتغّيرت مجاري دموعه[3] .

وكان - رحمه اللَّه - يبكي حتىٰ يسقط ، ثم يفيق ، فيبكي حتىٰ يسقط ، ثم يفيق ، فيبكي حتىٰ يسقط ، فيُحمل مغشياً عليه إلىٰ أهله .

وكان يقول في كلامه : إخوتاه ! ابكوا قبل يوم البكاء ، ونوحوا قبل يوم النياحة وتوبوا قبل انقطاع التوبة ، إنما سُمي نوحاً ﷺ لأنه كان نوّاحاً فنوحوا معاشر الكهول والشباب علىٰ أنفسكم .

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص٢٠٠) .

(٢) « الرقة والبكاء » (ص٢٠١) .

(٣) « تهذيب الكمال » للمذي (٣٢/ ٧١-٧٢) ، والأشفار : جمع شفر وهو شعر الجفن .

وكان يتكلم والدموع جارية على لحيته وخديه(١) .

قالوا : ليزيد ـ رحمه الله ـ ما تسأم من كثرة البكاء ؟

فبكى ثم قال : وهل يشبع المرضع من الغذاء ؟ والله لوددت أني أبكي بعد الدموع الدماء ، وبعد الدماء الصديد أيام الدنيا فإنه بلغنا أن أهل النار يبكون الدماء إذا نفذت الدموع ، حتى لو أرسلت فيها السفن لجرت فما حق امرئ لا يبكي على نفسه في الدنيا وينوح عليها .

وكان يقول : ابك يا يزيد على نفسك قبل حين البكاء . . . يا يزيد من يصلي لك بعدك ؟ ومن يصوم يا يزيد ؟ ومن يضرع لك إلى ربك بعدك ؟ ومن يدعو فكان يعدّد على هذا ونحوه ويبكي ويقول : يا إخوتاه ! ابكوا وبكّوا أنفسكم ، فإن لم تجدوا بكاء فارحموا كل بكّاء(٢) .

قال إسماعيل بن ذكوان : كان يزيد الرقاشي إن دخل بيته بكى ، وإن شهد جنازة بكى وإن جلس إليه إخوانه بكى وأبكاهم .

فقال له ابنه يومًا : يا أبه ! كم تبكي ؟ فو الله لو كانت النار خلقت لك ما زدت على هذا البكاء ؟ فقال : ثكلتك أمك يا بني ! وهل خُلقت النار إلا لي، ولأصحابي ولإخواننا من الجن أما تقرأ يا بني : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ ﴾(٣) .

أما تقرأ يا بني ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلا تَنتَصِرَانِ ﴾ فجعل يقرأ عليه حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴾(٤) قال : فجعل يجول في الدار ويصرخ ويبكي حتى غُشي عليه .

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص١٦٨ ـ ١٦٩) .

(٢) صفة الصفوة » (٣/ ٢٩٠) ، « حلية الأولياء » (٣/ ٥١) ، و« الرقة والبكاء » لابن قدامة المقدسي ، و« الرقة والبكاء » لابن أبي الدنيا (ص١٧٨) .

(٣) سورة الرحمن الآية (٣١) .

(٤) سورة الرحمن الآيات (٣٥ : ٤٤) .

فقالت للفتىٰ أمه : يا بني ! ما أردت إلىٰ هذا من أبيك ؟

فقال : واللَّه إنما أردت أن أهون عليه لم أرد أن أزيده حتىٰ يقتل نفسه .

وكان يزيد ـ رحمه اللَّه ـ يبكي ويقول لأصحابه : ابكوا اليوم قبل الداهية الكبرىٰ ! ابكوا اليوم قبل أن تبكوا غداً ! ابكوا اليوم قبل يوم لا يغني فيه البكاء! ابكوا علىٰ التفريط أيام الدنيا ، ثم يبكي حتىٰ يرفع صريعًا من مجلسه[1] .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول : إذا أنت لم تبكي علىٰ ذنبك ، فمن يبكي لك عليه بعدك ؟! .

وأبو سليمان دويد اللبان :

كان يبكي عامة دهره وكان كثيراً ما يردد هذا الكلام : بكّوا الذنوب قبل محل بكائها ، وفرغوا القلوب إلا من شغل حسابها ، فحريّ إن كنتم كذلك أن تتركوا فوات ما قد فات لشؤم التفريط ، بالإنابة والمراجعة والإخلاص للرب الكريم .

• وكان يبكي ويقول : وجدناه أكرم مولىٰ لشر عبيد ، ثم يبكي ويبكي[2] .

قال عمر بن ذر : قلت لأسيد الضبي : قد أفسد البكاء عينيك ، قال : فمه ؟ قلت : لو قصرت قليلاً ، قال : ولمَ ؟ أأتاني أمان من اللَّه من دخول النار ؟ ثم غشي عليه[3] .

وقال عبد الرحمن بن مالك بن مغول : بكىٰ أسيد الضبي حتىٰ عمىٰ ، وكان إذا عوتب علىٰ البكاء ، بكىٰ وقال : الآن حين لأهدأن وكيف أهدأ

(١) « تهذيب الكمال » (٣٢/ ٧٢) .

(٢) « الرقة والبكاء » (ص١٤٤) .

(٣) « الرقة والبكاء » (ص١٤٩) .

وأنا أموت غدًا ؟ والله لأبكين ، ثم لأبكين ، ثم لأبكين ، فإن أدركت بالبكاء خيرًا فبمنّ الله عليّ وفضله ، وإن تكن الأخرىٰ ، فما بكائي في جنب ما ألقىٰ؟[١] .

• وكان أبو عمران الجوني يبكي ويقول : هَبْكَ تنجو، بعد كَمْ تنجو؟[٢] .

وقال رجل في ساحل بلاد الشام : لو بكىٰ العابدون علىٰ الشفقة حتىٰ لم يبق في أجسادهم جارحة إلا أدت ما فيها من الدم والورك[٣] دموعًا جارية وبقيت الأبدان يُبسًا خالية ، تردد فيها الأرواح إشفاقًا ووجلاً من يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، لكانوا محقوقين بذلك ، ثم غشي عليه[٤] .

وعبيدة بنت أبي كلاب لله درها :

قالت سلامة العابدة : بكت عبيدة بنت أبي كلاب أربعين سنة حتىٰ ذهب بصرها[٥] .

* * *

(١) « الرقة والبكاء » (ص١٥٣) .
(٢) « صفة الصفوة » (٣/ ٢٦٥) .
(٣) الدسم أو دسم اللحم ودهنه .
(٤) « صفة الصفوة » (٤/ ٣٧٢) .
(٥) « الرقة والبكاء » (ص١٥٤) .

وشاب يبكي رجاء الفرح والسرور :

بكىٰ شاب ببيت المقدس حتىٰ عمش من طول البكاء فقال له كلاب بن جُري : يا فتىٰ ! كم تكون العين سليمة علىٰ هذا ؟ فبكىٰ ، ثم قال : كما شاء ربي فلتكن ، وإن شاء سيدي فلتذهب ، فليست بأكرم عليَّ من بدني ! إنما أبكي رجاء الفرح والسرور في الآخرة ، وإن تكن الأخرىٰ فهو واللَّه شقاء الآخرة وحزن الأبد ، والأمر الذي كنت أخافه وأحذره علىٰ نفسي ، وإني أحتسب علىٰ اللَّه غفلتي عن نفسي ، وتقصيري في حظي ، ثم غشي عليه[١] .

لا أقصر عن الاجتهاد في نجائها :

وشاب آخر في بني عبد القيس يبكي الليل والنهار ، لا يكاد يفتر ، فقيل له : لو قصرت قليلاً ! قال : ولم أقصر وقد نُدبت إلىٰ الجد والاجتهاد؟ واللَّه لا أقصر عن الاجتهاد في نجائها أبدًا[٢] .

وأبو عبيدة الخواص يقول : قد كبرت فأعتقني :

كان ـ رحمه اللَّه ـ لا يستطيع أن يقرأ سورة القارعة ولا أن تقرأ عليه .

قال عنه عقيبة بن فضالة : سمعت أبا عبيدة الخواص بعدما كبر وهوآخذ بلحيته يقول : قد كبرت فأعتقني يا مولاي[٣] .

قال معلَّىٰ الوراق : كنا عند مالك بن دينار وهو يتكلم ، فجاء أبو عبيدة الخواص ، فأخرج من كمه حبل ليف جديد ، في طرفه عروتان ، فجعل عروة في عنقه ، وعروة في عنق مالك ، ثم قال : يا مالك ! عدّ أنَّا

---

(١) « صفة الصفوة » (٤/ ٢٤٧) .

(٢) « الرقة والبكاء » (ص١٦٣) .

(٣) « الرقة والبكاء » (ص٢٠٢) .

بين يدي اللَّه ، ما عسىٰ أن تقول ؟! فبكىٰ القوم جميعًا[١] .

أي رجل بكّاء كان ضيغم بن مالك ؟! :

بكىٰ ضيغم بن مالك ليلة من أول الليل إلىٰ آخره ، لم يسجد فيها سجدة، ولم يركع فيها ركعة ، فلما أصبح قال له الحكم بن نوح : يا أبا مالك قد طالت ليلتك لا مصليًا ولا داعيًا ؟! فبكىٰ ، ثم قال : لو يعلم الخلائق ماذا يستقبلون غدًا ما لذّوا بعيش أبدًا ، إني واللَّه لما رأيت الليل وهوله وشدة سواده، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك، وكل امرئ يومئذ تهمه نفسه ، لايغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا، ثم شهق، فلم يزل يضطرب ماشاء اللَّه ، ثم هدأ[٢] .

صفوان بن محرز البكاء :

كان ـ رحمه اللَّه ـ قد اتخذ لنفسه سربًا يبكي فيه [٣] .

قال عبد اللَّه بن رباح :كان صفوان بن محرز إذا قرأ هذه الآية ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ بكىٰ حتىٰ أقول اندق قضيض زوره[٤] .

قال ثابت البناني : قال صفوان بن محرز : كان لداود يوم يتأوه فيه فيقول: أوه من عذاب اللَّه : أوه من عذاب اللَّه قبل ألا تنفع أوه قال : فذكرها صفوان في مجلسه ذات يوم ، فغلبه البكاء فقام[٥] .

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص٢٠٢) .
(٢) « الرقة والبكاء »(ص٢٠٣ـ٢٠٤) .
(٣) « صفة الصفوة » (٣/ ٢٢٧ ، ٢٢٩) ، « تهذيب الكمال » (١٣/ ٢١٢ـ٢١٣) .
(٤) القضيض : الكبار ، وعند ابن كثير قضيب بدل قضيض ، وهو أوفق للمعني . والزور : ملتقىٰ أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت ، أو ما ارتفع من الصدر إلىٰ الكتفين ، انظر : «الرقة والبكاء» (ص٨٣) ، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٥٥)، « المصنف » لابن أبي شيبة (١٤/ ١٠) .
(٥) « حلية الأولياء » (٢/ ٢١٥) .

وقيل لصفوان عند طول بكائه وتذكر أحزانه : إن ذلك يورث العمى فقال : ذلك لها شهادة فبكى حتى عمي [١] .

بشر بن منصور :

قال عنه عبد الرحمن بن مهدي : ما رأيت أحدًا أقدّمه في الرقة والورع على بشر بن منصور .

قال الحكم بن نوح : كنت مع ضيغم بعبّادان ، فزاره بشر بن منصور ، فقال ضيغم : ويحك يا حكم ! انظر لنا بعض أصحابنا مِمَّنْ يقرأ فإن بشرًا يعجبه حسن الصوت .

فانطلقت ، فأتيتهم بإنسان فارسي حسن الصوت ، فقالوا لي : لاتقل له يقرأ حتى يهدأ أهل الدير .

فلما سكنت الرّجل ، وهدأ الناس ، قالوا له : خذ الآن .

فجعل واللَّه الفارسي يقرأ والقوم يبكون وينتحبون . . . ويصرخون كما تصرخ الثكلى فأما بشر فغُشي عليه تلك الليلة مرارًا .

وأما أبو مالك فجعل يقوم ويقعد ، ، حتى ظننت أن عقله قد ذهب !

قال : فبتنا واللَّه بأطيب ليلة وألذّ عيش .

فكان بشر يقول لي بعد : ويحك يا حكيم ! ما فعل الفارسي ؟! ويحك يا حكيم يقتل الناس ذلك الفارسي هكذا عيانا بصوته ![٢] .

مسلم أبوعبد اللَّه :

قال نصر : اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبوعبد اللَّه فقال رجل من الأزد :

---

(١) « صفة الصفوة » (٤/ ٩١) .

(٢) « الرقة والبكاء » (ص٩١ - ٩٢) .

ما للمحـــب ســوى إرادة حبــه إن المحـــب بكـــل برٍّ يضـــرع

قال : فبكىٰ مسلم حتىٰ خشيت واللَّه أن يموت(١) .

للَّه در من قال :

هنيئًا لمن أضحى وأنت حبيبـه ولو أن لوعات الغرام تذيبـــهُ
وطوبى لصب أنت ساكن سره ولو بـــان عنـــه إلفه وقريبـــه
وما ضرّ صـــبًا أن يبيـــت ومالـــه نصيب من الدنيا أنت طبيبـــه
فيا علة في الصـــدر أنت شفاؤها ويا مرضًا في القلب أنت طبيبه
عُبيدك في باب الرجا متضـــرع إذا لم تُجبه أنت من ذا يجيبـــه
بعيد عن الأوطان يبكـــي بذلّـــة وهل ذاق طعم الذل إلا غريبـــه
تصدق على من ضاع منه زمانه ولم يدر حتى لاح منه مشيبـــه
غدًا خاسرًا فالعار يكفيه والبكـا وقد آن من ضوء النهار مغيبـــه

ومن قال :

ألـــوذ بـبــاب من أدعــوه فـــردًا وآمــــل أن أقرّب من حبـيــبي
إذا نامت عيون النـــاس طـــرّا قرعت البـــاب بالقلب الكئيـــب

وللَّه در العابد البكاء حين يقول في مناجته ليلاً :

أترىٰ بكائي نافعي عندك، ومنقذ رقبتي من حكمك أتراك آخذًا من نفسي بحقك ، وموبخها علىٰ رءوس الأشهاد بما ضيعت من أمرك أوه لكشف سترك عني ، أوه لوقوفي بين يديك(٢) .

---

(١) « استنشاق نسيم الأنس » (ص٣٩) .
(٢) صفة الصفوة » (٤/ ٣٦٥) .

عابد من بني سعد :

قال أبو عاصم العبّاداني عن عابد من بني سعد : كان يصلي الليل والنهار لا يكاد يفتر ، فإذا كان السحر احتبى ، واستقبل البحر فجعل يبكي وينوح على نفسه ، قال : فإذا أحس بإنسان أمسك ، قال : فخرجت ذات ليلة إلى الساحل ، فإذا بصوته وإذا هو يبكي ويقول في بكائه .

ألا يا عين ويحك أسعديني بطوع الدمع في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي بخير الدهر في تلك العلالي(١)

وبكّاء يقول : ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم :

بكى أحد العباد من أهل البحرين في جوف الليل وهو على ساحل البحر وقال : قرة عيني وسرور قلبي ، ما الذي أسقطني من عينك يا مانح العصم ، ثم يبكي ويقول : « طوبى لقلوب ملأتها خشيتك ، واستولت عليها محبتك، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك ، والاجتهاد في خدمتك، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفًا لحلول سخطك ، ثم بكى وقال : يا إخوتاه ! ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة»(٢) .

* قال أبو جعفر الضرير قال لي صالح بن عبد الكريم :

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تحن متى عليها يسجدونا

قال : فجعلت أرددها عليه ، فبكى ، حتى قلت الآن تخرج نفسه(٣) .

---

(١) صفة الصفوة » (٤/ ٥٩) .
(٢) « صفة الصفوة » (٤/ ٧٣) .
(٣) « الرقة والبكاء » (ص١١٢) .

ومنهم من بكى عند سماع الأذان :

كان أبو عمران الجوني إذا سمع الأذان تغير لونه وفاضت عيناه[١] .

وكان منصور بن صفية الحجبي يبكي في وقت كل صلاة ، فكانوا يرون أنه يذكر الموت والقيامة عند الصلوات[٢] .

وعن الحسن : إذا أذن المؤذن لم تبعد دابة بر ولا بحر إلا أصغت واستمعت .

وعن سفيان : قال كان أبو خالد المؤذن يزيد إذا أذن بكى وربما صرخ الصرخة في إثر الأذان .

فقال له بعض أولياء الأمر : ما الذي يغشاك عند النداء ؟ فبكى ، ثم قال : إنني لأشبهه بالقيامة ، ثم غشي عليه .

قال سفيان : وسمعته يقول : لولا ما أؤمل من الفرج والراحة بعد الأذان لظننت أن نفسي ستخرج فرقًا من الموت ! .

قال سفيان : وذكروا عنه أنه كان يقول إذا فرغ من أذانه : انقطعت الرغائب دونك ، وكلّت الألسن إلا عن ذكرك ، وذهلت عقول أوليائك عن غيرك شوقًا واشتياقًا فأعط القوم إلهي أمنيتهم ، وأجب دعوتهم ، وتفضّل عليهم وعلينا بجودك يا كريم[٣] .

وقال قادم الديلمي : كنا عند فضيل بن عياض وهو في المسجد ، فأذن المؤذن ، فبكى حتي بلّ الحصى ، ثم قال : أشبهه بالنداء ، ثم بكى[٤] .

---

(١) « الرقة والبكاء » (ص١٢٣) .
(٢) تهذيب الكمال » (٢٨/ ٥٣٩) .
(٣) « الرقة والبكاء » (ص١٢٤) .
(٤) « الرقة والبكاء » (ص١٢٤) .

ومنهم من بكى عند قراءة القرآن :

عن نافع ، عن ابن عمر أنه كان إذا أتى على هذه الآية ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [(١)] ، بكى حتى يبل لحيته البكاء ويقول : بلى يا رب[(٢)] .

* **وكان طلق بن حبيب العنزي** : إذا قرأ بكى وأبكى ، وكان إذا قرأ لم يسمعه أحد إلا بكى من رقته وحسن صوته ، قال : وقالت له أمه : ما أحسن صوتك يا بني بالقرآن ، فليته لا يكون وبالاً عليك غداً في القيامة فبكى حتى غشي عليه[(٣)] .

قال عبد اللَّه بن المبارك في ذكر الخائفين الذاكرين :

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهمُ وهمُ ركوعُ
أطار الخوف نومهمُ فقاموا ... وأهل الأمن في الدنيا هجوعُ
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوعُ
وخرس بالنهار لطول صمت ... عليهم من سكينتهم خشوعُ

بكى أحد العباد بالليل وقال : « إن أقل ما ينبغي أن يكون لنفسي عندي أن أبكيها وأبكي عليها أيام الدنيا لعلمي بما يمر عليها غداً »[(٤)] .

وكانت عابدة من أحسن الناس عيناً فأخذت في البكاء فقيل لها : تذهب عيناك ؟

---

(١) سورة الحديد الآية (١٦) .

(٢) « مختصر قيام الليل » للمقريزي (ص١٤٣) .

(٣) « صفة الصفوة » (٤/ ٢٧) ، « تهذيب الكمال » (١٣/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣) ، « الرقة والبكاء » (ص٨٧) .

(٤) « صفة الصفوة » (٤/ ٣٨١) .

فقالت : إن يكن لي عند اللَّه خير فسيبدلني خيرًا منهما وإن تكن الأخرىٰ فواللَّه لا أحزن عليهما .

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

قال ابن المبارك عن البكائين الذاكرين :

وما فرشهم إلا أيامن أزرهم وما وسدهم إلا ملاء وأذرع
وما ليلهم فيهن إلا تخوف وما نومهم إلا عشاش مروعُ
وألوانهم صفر كأن وجوههم عليها جساد وهي بالورس[1] مشبعُ
نواحل قد أذرى بها الجهد والسرى إلى اللَّه في الظلماء والناس هجعُ
ويكون أحيانًا كأن عجيجهم إذا نوّم الناس الحنين المرجّعُ
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته وأعينهم من رهبة اللَّه تدمعُ[2]

بأبي هم وأمي لقد اتخذوا القرآن من الدنيا بدلا يقطعون به أيام الحياة ، فكأنهم قطعوا الدنيا إلىٰ الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا، فلوْ مثلتهم لعقلك في مواقفهم المحمودة ومجالسهم المشهودة وقد نشروا دواوين أعمالهم ، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة وحملوا ثقل أوزارهم علىٰ ظهورهم فنشجوا نشيجًا وتجاوبوا نحيبًا ، يعجون إلىٰ ربهم من مقام خوف وندم واعتراف، رهائن فاقة إلىٰ فضله ، وأُسارىٰ ذلّة لعظمته ، جرح طول الأسىٰ قلوبهم ، وطول البكاء عيونهم ، لكل باب رغبة إلىٰ اللَّه منهم يد قارعة يسألون من لاتضيق لديه المنادح ولايخيب عليه الراغبون .

(١) الورس : نبت أصفر يصبغ به .
(٢) « التخويف من النار » لابن رجب (ص٢٦ ، ٢٧) مكتبة الإيمان عابدين .

وأما البكاء شوقًا :

فقد كان عليّ بن سهل المدائني - رحمه اللَّه - يقوم إذا هدأت العيون فينادي بصوت له محزون : « يا من اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند لقاءه ندمًا ، ويا من سهت قلوب عباده عن الاشتياق إليه إذْ كانت أياديه إليهم قبل معرفتهم به » ، ثم يبكي حتى تبكي لبكائـه جيرته ، ثم ينادي : « ليت شعري سيدي ، إلى متى تحبسني ؟ ابعثني سيدي إلى حسن وعدك ، وأنت العليم أن الشوق قد برّح بي ، وطال عليّ الانتظار » ، ثم يخر مغشيًا عليه فلا يزال كذلك حتى يحرك للصلاة[(١)] .

فتح الموصلي : المشتاق البكاء :

قال - رحمه اللَّه - في يوم عيد أضحى : قد تقرب المتقربون إليك بقربانهم ، وأنا أتقرب إليك بطول حزني ، يا محبوب ! إلى كم تتركني في أزقة الدنيا محزونًا ؟! ، ثم غشي عليه ، وحمل فدفن بعد ثلاث - رحمه اللَّه تعالى - .

• وقال الضحاك بن مخلد : رأيت هشام بن حسان إذا ذكر الجنة أو النبي ﷺ بكى حتى تسيل دموعه[(٢)] .

• كان رجل من الموالي يقال له صهيب يسهر الليل ويبكي ، فعُوتب على ذلك ، وقالت له مولاته : أفسدت على نفسك ، فقال : إن صهيبًا إذا ذكر الجنة طال شوقه ، وإذا ذكر النار طار نومه .

ونختم بما قال الشاعر أحمد محمد الصديق :

---

(١) « الطريق إلى اللَّه الصدق » ، لأبي سعيد الخراز ، تحقيق دكتور عبد الحليم محمود (ص١٨) ، نشر دار الإنسان .

(٢) « تهذيب الكمال » للمزي (٣٠/ ١٩٢) .

عينان كلتاهما في الليـل ساهـرة وتحت ثوب الدجى والصمت تلتحفُ
في كل رعشة جفن منهما أَلَقٌ إلى السماء ونحو الخلـد منعطفُ
إحداهما في سبيـل الله قائمـة على الثغـور فـي جفـن الردى تقـفُ
وأختها في سكون الليل خاشعـة مقروحة الجفـن في المحـراب تعتكفُ
من خشية الله أو من فيض رحمته باتت ومدمعهـا في لوعـة يكـفُ
كأنها في بحار الشـوق سابحـة أو من رحيـق الهدى والطهرُ تغترفُ
بين الرجاء وبين الخـوف منـزلـة ينبيك عن سـرها المكنون من عرفوا
عينان هذا مع الرحمن شأنهمـا يأويهمـا منه في جنـاته كنـفُ(١)

* * *

(١) من قصيدة « عينان » ، من ديوان نداء الحق للشاعر أحمد محمد الصديق (ص١١١ , ١١٢)، دار الضياء الأردن .

من أنظـر معســـرًا

أو وضــــع عنـه

من أنظر معسرًا أو وضع عنه

للَّه درّ من نفّس عن مكروب كربته ، لهوأولى الناس بأن ينفس اللَّه كربته في الدنيا قبل الآخرة .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر ، يسّر اللّه عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ، ستره اللّه في الدنيا والآخرة ، واللّه في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه...**»[(١)] .

عن أبي اليسر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله اللّه في ظله** »[(٢)] .

بل هو أول من يستظل في ظل اللَّه يوم القيامة :

فلقد أخرجه الطبراني بلفظ : « **إن أول الناس ، يستظل في ظل اللّه يوم القيامة، لرجل أنظر معسرًا ، أو تصدّق عليه** » .

قال المناوي : « (**من أنظر معسرًا**) أي أمهل مديونًا فقيرًا قال الحرالي : وهي التأخير المرتقب نجازه ، (**أو وضع عنه**) أي حطّ عنه من دينه وفي رواية أبي نعيم أو وهب له أو وضع عنه (**أظله اللّه في ظله**) أي وقاه اللَّه من حر يوم القيامة على سبيل الكناية ، أو أظله في ظل عرشه حقيقة أو أدخله

---

(١) رواه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه مسلم في « الصحيح » كتاب الزهد والرقائق : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ، وابن ماجه ، وأحمد والبيهقي في « السنن الكبرى » ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، والطبراني في «المعجم الكبير » ، والحاكم في « المستدرك » ، وأبو نعيم في « الحلية » والقضاعي في « مسند الشهاب » ، والخطيب في « تلخيص المتشابه »، وعبد بن حميد ، والبغوي في « شرح السنة»، والدارمي في « السنن » ، وابن أبي الدنيا في « قضاء الحوائج » .

الجنة. . . وإنما استحق المنظر ذلك لأنه آثر المديون على نفسه وأراحه فأراحه اللَّه والجزاء من جنس العمل »[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من أنظر معسراً ، أو وضع له ، أظله اللَّه يوم القيامة تحت ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله** »[٢] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من أنظر معسراً ، فله بكل يوم مثله صدقة ، قبل أن يحلّ الديْن ، فإذا حلّ الديْن فأنظره فله بكل يوم مثلاه صدقة** »[٣] .

● قال المناوي في « فيض القدير » : « قال السبكي : وزّع أجره على الأيام يكثر بكثرتها ويقلّ بقلتها ، وسِرُّه ما يقاسيه المنظر من ألم الصبر مع تشوق القلب لماله فلذلك كان ينال كل يوم عوضًا جديداً ، وقد تعلّق بهذا مَن ذهب إلى أن إنظاره أفضل من إبرائه ، فإن أجره وإن كان أوفر لكنه ينتهي بنهايته .

● وعن أبي قتادة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**مَن نفّس عن غريمه أو محى عنه ، كان في ظل العرش يوم القيامة** »[١] .

قال اللَّه تعالى : ﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[٥] [٦] .

---

(١) « فيض القدير » (٦/ ٨٩).

(٢) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٩٨٣) .

(٣) صحيح : رواه أحمد والحاكم عن بريدة ، وصححه الألباني في « الإرواء» رقم (١٤٢٨) ، و«صحيح الجامع» رقم (٥٩٨٤) ، قال المناوي في « فيض القدير » (٦/ ٩٠) : « قال الحافظ العراقي : سنده ضعيف » ، وقال الذهبي في « المهذب » : إسناه صالح ، وقال الهيثمي : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٤) رواه أحمد ، ومسلم .

(٥) سورة البقرة الآية (٢٨٠) .

(٦) « تفسير ابن كثير » (١/ ٣١٣) ـ المكتبة القيمة .

للَّه شأن هذا الدين العظيم . . كان الحر يباع في الدْين . . . فإذا أعسر المدين كانوا يبيعونه . . فأتى الإسلام . . فكان من أمره ما أوجب اللَّه في هذه الآية ، بل ويستحثه على التصدق عليه ليكون أول من يظله اللَّه بظله .

قال ابن كثير : « يأمر اللَّه تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء فقال : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حلّ عليه الدْين : إما أن تقضي وإما أن تربي ، ثم يندب إلى الوضع عنه ، ويعد على ذلك الخير والثواب الجزيل فقال : ﴿ **وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ أي : وأن تتركوا رأس المال بالكلية وتضعوه عن المدين »[1] .

قال الفخر الرازي في تفسيره « مفاتيح الغيب » :

« النظرة : الاسم من الإنظار ، وهو الإمهال .

اختلفوا في حكم الإنظار مختَص بالربا أوعام في الكل ، فقال ابن عباس وشريح والضحاك والسدي وإبراهيم : الآية في الربا .

والقول الثاني : وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين أنها عامة في كل دْين . . . ولما ثبت وجوب الإنظار في هذه بحكم النص - الربا - ، ثبت وجوبه في سائر الصور ضرورة الاشتراك في المعنى ، وهو أن العاجز عن أداء المال لا يجوز تكليفه به ، وهذا قول أكثر الفقهاء كأبي حنيفة ومالك والشافعي - رضي ا اللَّه عنه - » .

قال ابن جرير الطبري : « إن الحكم الذي حكم اللَّه به : من إنظاره المعسر برأس مال المربي بعد بُطول الربا عنه ، حكم واجب لكل من كان عليه دْين لرجل قد حلّ عنه ، وهو بقضائه معسر في أنه مُنظر إلى ميسرته»[2] .

---

(١) « مفاتيح الغيب » للرازي (٣/ ٦٦٦ - ٦٦٧) .

(٢) « تفسير الطبري » (٦/ ٣٤) طبع دار المعارف .

قال ابن جرير : «وأن تصدقوا على المعسر برءوس أموالكم خير لكم» .

قال الشيخ محمد رشيد رضا : « هو ندب إلى الصدقة والسماح للمدين المعسر لما فيه من التعاطف والتراحم بين الناس وبر بعضهم ببعض وذلك من أعظم أسباب هناء المعيشة وحسن حال الأمة ولذلك نبه إلى العلم بذلك » .

وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب إنظار المعسر مطلقاً ، وبعضهم على وجوب ذلك في دين الربا خاصة . وقالوا : إن هذا الواجب يفضله شيء مندوب وهو الإبراء والتصدق على المعسر فإنه ليس بواجب اتفاقاً »(١) .

قال الألوسي : «وتصدقكم على معسري غرمائكم برءوس أموالكم كُلاً أو بعضًا ﴿ خيرلكم ﴾ أي أكثر ثوابًا من الإنظار ، أو خير مما تأخذونه لنفاد ذلك وبقاء هذا » . ثم قال : «وجوب الإنظار ثبت بالآية الأولى فلا بد من حمل هذه الآية على فائدة زائدة ، وبأن قوله ـ سبحانه ﴿ خيرلكم ﴾ لا يليق بالواجب بل بالمندوب ، واستدل بإطلاق الآية من قال بوجوب إنظار المعسر مطلقًا سواءً كان الدين دين ربا أم لا ، وهو الذي ذهب إليه ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ والحسن والضحاك ، وذهب شريح وإبراهيم النخعي وابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ في رواية عنه إلى أنه لا يجب إلا في دين الربا خاصة »(٢) .

قال القاسمي : عند قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾(٣) .

قال المهايمي : فإن استوفى الدائن حقه بالتضييق على المديون استوفى

---

(١) « تفسير المنار » (٣/ ١٠٤) .

(٢) « روح المعاني » للألوسي (٣/ ٥٤) ، دار إحياء التراث الإسلامي .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨١) .

اللَّه منه حقوقه بالتضييق . وإن سامحه فاللَّه أولىٰ بالمسامحة ، والمديون إن لم يوف حق الدائن مع قدرته علىٰ الأداء استوفىٰ اللَّه منه حقه ، وأما من لا يقدر ، فيرجىٰ أن يعفو اللَّه عنه ، ويرضي خصمه بعوض من عنده ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد علىٰ سيئاتهم »[١] .

١ قال الفخر الرازي في « مفاتيح الغيب » :

« الإعسار هو أن لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ، ولا ما يكون له ما لوْ باعه لأمكنه أداء الديْن من ثمنه ، فلهذا قلنا : من وجد داراً وثياباً لا يُعدّ في ذوي العسرة ، إذا ما أمكنه بيعها وأداء ثمنها ، ولا يجوز أن يحبس إلا قوت يوم لنفسه وعياله ، وما لا بد لهم من كسوة لصلاتهم ودفع البرد والحر عنهم»[٢] .

قال القرطبي : « من كثرت ديونه وطلب غرماؤه مالهم فللحاكم أن يخلعه عن كل ماله ويترك له ما كان من ضرورته . روىٰ ابن نافع عن مالك أنه لا يترك له إلا ما يواريه . والمشهور أنه يترك له كسوته المعتادة ما لم يكن فيها فضل ، ولا ينزع منه رداؤه إن كان ذلك مزرياً به . وفي ترك كسوة زوجته ، وفي بيع كتبه إن كان عالماً خلاف ، ولا يترك له مسكن ولا خادم ولا ثوب جمعة ما لم تقل قيمتها ؛ وعند هذا يحرم حبسه »[٣] .

قال الفخرا لرازي : إذا علم الإنسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه ، وأن يطالبه بماله عليه ، فوجب الإنظار إلىٰ وقت اليسار ، فأما إن كانت له ريبة في إعساره فيجوز له حبسه إلىٰ وقت ظهور الإعسار » .

قال الحافظ ابن حجر « روىٰ مسلم من حديث أبي اليسر رفعه « **من أنظر**

(١) « محاسن التأويل » للقاسمي (٣/ ٧١٦) .
(٢) « مفاتيح الغيب » (٣/ ٦٦٧) .
(٣) « تفسير القرطبي » (٢/ ١١٨٠) دار الشعب .

معسرا ...» وله من حديث أبي قتادة مرفوعاً « **من سرّه أن ينجيه اللّه من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه ...**

واختلف السلف في تفسير قوله تعالىٰ ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ فروىٰ الطبري وغيره من طريق إبراهيم النخعي ومجاهد وغيرهما أن الآية نزلت في دين الربا خاصة ، وعن عطاء أنها عامة في دين الربا وغيره، واختار الطبري أنها نزلت نصًا في دين الربا ويلتحق به سائر الديون لحصول المعنىٰ الجامع بينهما ، فإذا أعسر المديون وجب إنظاره ولا سبيل إلىٰ ضربه أو إلىٰ حبسه »[١] .

قال الحافظ ابن حجر عن إنظار المعسر : « لا يلزم من كونه واجبًا أن لا يؤجر صاحبه عليه أو يكفر عنه بذلك من سيئاته » .

هذا فيمن أنظر معسراً فكيف بمن أنظر موسرًا ؟! وقد ترجم البخاري «باب من أنظر مُوسِرًا» .

عن حذيفة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال النبي ﷺ : « **تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، فقالوا : أعملت من الخير شيئًا ؟ قال : كنت آمر فتياني أن ينظروا ويتجاوزوا عن الموسر ، قال : فتجاوزوا عنه** »[٢] .

وعن ربعي : « كنت أُيَسِّر علىٰ الموسر ، وأُنظر المعسر » ، وعن ربعي ، «أُنظِر الموسر ، وأتجاوز عن المعسِر » .

وعند مسلم « ... **فقالوا : أعملت من الخير شيئا ؟ قال** : **لا** ، **قالوا: تذكّر ، قال: كنت أُداين الناس فآمر فتياني أن يُنظروا المعسر ويتجاوزوا عن الموسر ، قال : قال اللّه ـ عزوجل ـ: تجوّزوا عنه** » وفي رواية «**ما عملت من الخير إلا أني كنت**

---

(١) « فتح الباري » (٤/ ٣٦١ـ٣٦٢) .
(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري .

رجلا ذا مال فكنت أطالب به الناس فكنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسور » .

● وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن النبي ﷺ قال : « **كان رجل يداين الناس ، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه : تجاوزوا عنه لعلّ اللّه أن يتجاوز عنا ، فتجاوز اللّه عنه**» ، رواه البخاري ومسلم .

وعند النسائي « **إن رجلا لم يعمل خيراً قط** » ، وزاد النسائي « **فيقول لرسوله : خذ ما تيسّر وأترك ما عسر وتجاوز** » .

قال ابن حجر « ويدخل في لفظ التجاوز الإنظار والوضع وحسن التقاضي »[١] .

قال القرطبي : إنظار المعسر تأخيره إلى أن يوسِر ، والوضع عنه إسقاط الدْين عن ذمته ، وقد جمع المعنيينْ أبو اليسر لغريمه حيث محا عنه الصحيفة وقال له : إن وجدت قضاء فأقضِ وإلا فأنت في حِل »[٢]

وروى مسلم عن حذيفة عن النبي ﷺ : **أن رجلا مات فدخل الجنة فقيل له : ما كنت تعمل ؟ قال : فإمّا ذكر وإما ذُكِّر فقال : إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجوّز في السكة أو في النقد** »

فقال له أبو مسعود وأنا سمعته من رسول اللّه ﷺ .

وروى مسلم عن حذيفة قال « **أُتي اللّه بعبد من عباده آتاه اللّه مالا فقال له: ماذا عملت في الدنيا ؟ « قال : ولا يكتمون اللّه حديثا » قال : يارب آتيتني مالك فكنت أبايع الناس وكان من خلقي الجواز ، فكنت أتيسر على الموسر ، وأُنظِر المعسر، فقال اللّه : أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي** » فقال عقبة بن عمر وأبو مسعود الأنصاري هكذا سمعناه من فيّ رسول اللّه ﷺ .

يا للّه . . . القرض صدقة ، والتجاوز عنه شرف أي شرف إذ يؤدي

---

(١) « الفتح » (٤/ ٣٦٢) .

(٢) « تفسير القرطبي » (ص١١٨٣) .

بصاحبه إلى أن يكون في ظل اللَّه يوم القيامة .

قال ﷺ : « **كل قرض صدقة** »[(١)] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من مسلم يقرض مسلما قرضا مرتين ، إلا كان كصدقتها مرة** »[(٢)] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من أقرض ورِقًا**[(٣)] **مرتين ، كان كعدل صدقة مرة** »[(٤)] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن السَّلَفَ**[(٥)] **، يجري مجرى شطر الصدقة** »[(٦)] .

أي يكتب للمقرض ثواب التصدق بنصفه .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن رجلاً لم يعمل خيراً قط ، وكان يداين الناس ، فيقول لرسوله : خذ ما تيسَّرْ وأترك ما عسر ، وتجاوز ، لعل اللَّه أن يتجاوز عنا ، فلما هلك قال اللَّه: هل عملت خيراً قط ؟ قال : لا ، إلا أنه كان لي غلام ، وكنت أُداين الناس، فإذا بعثته يتقاضى قلت له : خذ ما تيسَّر ، وأترك ما عسر ، وتجاوز ، لعلَّ اللَّه أن يتجاوز عنا ، قال اللَّه : قد تجاوزت عنك** »[(٧)] .

---

(١) حسن : رواه الطبراني في « الأوسط » ، وأبو نعيم في « الحلية » عن ابن مسعود ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » (٤٥٤٢) .

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه ، وابن حبان ، والطبراني في « الكبير » ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٧٦٩) .

(٣) أي فضة .

(٤) صحيح : رواه البيهقي في « السنن » عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٠٨٠) .

(٥) أي القرض .

(٦) صحيح : رواه أحمد في « مسنده » عن ابن مسعود ، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة» رقم (١٥٥٣) .

(٧) صحيح : رواه النسائي ، وابن حبان ، والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٢٠٧٨) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من يسّر على مُعسِر ، يسّر اللّه عليه في الدنيا والآخرة**»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أدخل اللّه الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً ومقتضياً** »[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللّه يحب سمح البيع ، سمح الشراء ، سـمح القضاء** »[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **اسْمح يسمحْ لك** »[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **اسمحوا يسمحْ لكم** »[٥] .

وقال ﷺ : « **رحم اللّه عبداً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى، سمحاً إذا اقتضى** »[٦] .

وقال ﷺ : « **غفر اللّه لرجل ممن كان قبلكم ، كان سهلاً إذا باع ، سهلاً إذا اشترى ، سهلاً إذا اقتضى** »[٧] .

***

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٦١٤).

(٢) حسن : رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبيهقي في « الشعب » عن عثمان ، وحسنه الألباني .

(٣) صحيح : رواه الترمذي ، والحاكم عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٨٨٨).

(٤) صحيح : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في « الشعب » عن ابن عباس ، صححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٨٢) .

(٥) صحيح : رواه عبد الرزاق في « مصنفه » عن عطاء مرسلاً ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٨١) .

(٦) رواه البخاري وابن ماجه عن جابر .

(٧) صحيح : رواه أحمد ، والترمذي ، والبيهقي في « السنن » عن جابر ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١٦٢) .

الصحابي الجليل : قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج وابن سيدهم:

قال الذهبي في السير : وجُود قيْس يضرب به المثل .

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : باع قيس بن سعد مالاً من معاوية بتسعين ألفًا فأمر منْ نادىٰ في المدينة : مَنْ أراد القرض فليأتِ ، فأقرض أربعين ألفا ، وأجاز بالباقي ، وكتب علىٰ مَنْ أقرضه صكًا فمرض مرضًا قلّ عوّاده ، فقال لزوجته ، قريبة أخت الصديق : لِمَ قلّ عوّادي ؟ قالت : للديْن ، فأرسل إلىٰ كل رجل بصكّه ، وقال : اللهم ارزقني مالاً وفعالا ، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال [1] .

وفي « لباب الآداب » : « مرض قيس بن سعد بن عبادة ـ رضي اللَّه عنه ـ فاستبطأ إخوانه من عيادته ، فسأل عنهم ، فقيل : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدَّيْن ، فقال : أخزىٰ اللَّه مالاً يمنع الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديًا فنادىٰ : مَنْ كان لقيس عليه دْين فهو في حِل منه ، فكُسرت درجته بالعشي لكثرة من عاده » [2] .

* * *

(١) « السير » (٣/ ١٠٦ـ١٠٧) .

(٢) « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ (ص١٠٩) دار الكتب السلفية بالقاهرة .

من أظل رأس غاز

من أظل رأس غاز

اعلم أن النفس البشرية ضعيفة شحيحة ، إلا من عصم اللَّه ؛ ولا تطهر من هذا الشح إلا أن تعمر بالإيمان ، وترتفع على ضرورات الأرض ، وتنطلق من قيود الحرص على النفع القريب لأنها تؤمل رضوانًا من اللَّه أكبر .

وللَّه در أنفس انبعثوا إلى بذل أمولهم في سبيل اللَّه عن طواعية نفس ، وإخبات قلب ،واطمئنان ضمير ، ويالها من مشاعر رفرافة تلبي داعي الإيمان . . .

وعلى الطرف الآخر آخرون أدركتهم ثقلة الأرض ، والشح بالنفقة ، وقعد بهم ضعف الهمة وهزال النخوة ،وخواء القلب من الإيمان ، تركوا المجاهدين يلاقون الحر والجهد وحسبوا أن السلامة غاية يحرص عليها الرجال! فكان لهم حظ من قول اللَّه تعالى : ﴿ **وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه وقالوا لا تنفروا في الحر** ﴾ وهي قولة المسترخي الناعم الذي لا يصلح لشيء مما يصلح الرجال .

يؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم ، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز .

وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة إلى ميدان الجهاد، وطريق الجهاد المملوء بالعقبات والأشواك ألذ وأجمل من القعود والتخلف والراحة البليدة التي لا تليق بالرجال .

فإن كانوا يشفقون من حر الأرض ، ويؤثرون الراحة المسترخية في الظلال، فكيف بهم في حر جهنم وهي أشد حرًا ، وأطول أمدًا .

فما ظنك بأناس أرذل من هؤلاء فاتهم شرف الجهاد وتخلّوا عنه

راضين ، وشرف إعانة المجاهدين بالمال .

وعلى الطرف آخر صور مشرقة مضيئة هي أهل لظل اللَّه يوم لا ظل إلا ظله .

عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **من أظل رأس غاز ، أظله الله يوم القيامة** »(١) .

إن كان هذا جزاء من أظلّ رأس غاز فكيف بمن أطعمه وسقاه ، ومن كساه من عري ومن حمله ؟ فهؤلاء من باب أولى لهم مثل الأجر وفضل اللَّه عظيم ونعمته سابغة ورحمته واسعة .

تبوك ومقادير الرجال :

جاءت غزوة تبوك ، والناس في عسرة شديدة ، وحين طابت الثمار وأحبّت الظلال ، والناس يحبون المقام ويكرهون الخروج .

قال ابن عساكر (ج١/ ١١٠) وحضّ رسول اللَّه ﷺ المسلمين على الجهاد ورغّبهم فيه وأمرهم بالصدقة ، فحملوا صدقات كثيرة ؛ وكان أول من حمل أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ بماله كله أربعة آلاف درهم .

فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **هل أبقيت لأهلك شيئا ؟** » فقال : اللَّه ورسوله ، ثم جاء عمر بنصف ماله ، وحمل العباس بن عبد المطلب وطلحة ابن عبيد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ إلي النبي ﷺ مالاً ، وحمل عبد الرحمن

---

(١) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجه (١/ ٢٤٣) رقم (٧٣٥) ، (٢٧٥٨) ، وابن حبان في «صحيحه» ، وأبو يعلى في « المسند » ، والحاكم في « المستدرك » ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه البيهقي في « سننه الكبرى » ، والمزي في « تهذيب الكمال » ، الطبري في «تهذيب الآثار» ، وأخرج نحوه عبد بن حميد ، وعزاه الزرقاني في « شرحه على موطأ مالك » نقلاً عن السخاوي إلى ابن عدي : وقال : « وصححه الضياء عن عمر موقوفًا » .

ابن عوف إليه مائتي أوقية ، وحمل سعد بن عبادة ـ رضي اللَّه عنه ـ إليه مالاً ، وكذلك محمد بن مسلمة ـ رضي اللَّه عنه ـ ، وتصدّق عاصم بن عديّ ـ رضي اللَّه عنه ـ بتسعين وسقًا تمرًا . . . والنساء يعنّ بكل ما قدرن عليه .

قالت أم سنان الأسدية ـ رضي اللَّه عنها ـ : لقد رأيت ثوبًا مبسوطًا بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ فيه : مَسَك[١] ، ومعاضد[٢] ، وخلاخل[٣] ، وأقرطة[٤] وخواتيم ، وقد ملئ مما بعث به النساء يعنّ به المسلمين في جهازهم » .

وللَّه در أبي عقيل يأتي بصاع من تمر ويستحي . . . قال : « بتّ ليلتي أجر بالجرير[٥] على صاعين ، واللَّه ! ما كان عندي من شيء غيره ، فأتيت بأحدهما ، وتركت الآخر لأهلي » .

وأخرج ابن جرير من طريق يحيى بن أبي كثير ، ومن طريق سعيد عن قتادة ، وابن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة قال : حث رسول اللَّه ﷺ على الصدقة[٦] فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال يا رسول اللَّه مالي ثمانية آلاف ، جئتك بنصفها وأمسكت نصفها ، فقال : "**بارك اللَّه فيما أمسكت وفيما أعطيت**" .

العسرة وعثمانها المعطاء :

روى عبد لرحمن بن سمرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن عثمان بن عفان جاء

---

(١) مَسَك : الأسورة والخلاخيل من القرون والعاج .
(٢) جمع معضِد أي دملج .
(٣) جمع خلخال : حلية تلبس في الرجل كالسوار في اليد .
(٤) جمع قرط : ما يعلق في شحمة الأذن .
(٥) حبل يجعل للبعير ، والمعنى بت ليلتي كلها استقى الماء بالحبل .
(٦) يعني في غزوة تبوك .

إلىٰ النبي ﷺ بألف دينار في كمّه حين جهز جيش العسرة ، فنثرها في حجره ، فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ، ويقول : ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم ، ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم »(١) .

● ولما حُصر في داره قام فأشرف عليهم فوق داره . . . قال : « أذكركم باللَّه ، هل تعلمون أن رسول اللَّه ﷺ قال في جيش العسرة : « **من ينفق نفقة متقبلة** » والناس مجهدون ، معسرون ، فجهزت ذلك الجيش ؟ قالوا : نعم . . . »(٢) .

وما جاء في رواية الأحنف بن قيس من قول عثمان : « أنشدكم باللَّه الذي لا إله إلا هو ، أتعلمون أن رسول اللَّه نظر في وجوه القوم فقال : «**من يجهّز هؤلاء غفر اللّه له** » يعني جيش العسرة ، فجهزتهم حتىٰ لم يفقدوا عقالاً ولا خطامًا ؟ قالوا : اللَّهم نعم ، قال : اللَّهم اشهد »(٣) .

ما كاد عثمان يسمع نداء رسول اللَّه ﷺ : « **من يجهز هؤلاء ، ويغفر اللّه له** ؟ » حتىٰ سارع إلىٰ مغفرة من اللَّه ورضوان .

وهكذا وجدت العُسرة الضاغطة «عثمانها » المعطاء ! !

وقام ـ رضي اللَّه عنه ـ بتجهيز الجيش كله ، حتىٰ لم يتركه بحاجة إلىٰ خِطام أو عقال . . . !!

يقول ابن شهاب الزهري :

« قدّم عثمان لجيش العُسْرة في غزوة تبوك تسعمائة وأربعين بعيراً ، وستين فرساً ، أتمَّ بها الألف » !! .

---

(١) حديث حسن : أخرجه الترمذي ، وأحمد ، وابن أبي عاصم في « السنة » والحاكم وصححه واقرّه الذهبي ، والبيهقي في « الدلائل » ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » .

(٢) جزء من حديث صحيح لغيره : أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » ، وابن عساكر في تاريخه .

(٣) جزء من خبر حسن لغيره : أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٧/٤٨٦) ، وابن حبان (٦٨٨١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١٣٠٣) .

ويقول حذيفة : « جاء عثمان إلىٰ رسول اللَّه في جيش العسرة بعشرة آلاف دينار صبَّها بين يديه ، فجعل الرسول ﷺ يُقلبها بيده ويقول : «**غفر اللَّه لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن إلي يوم القيامة** » .

ويقول عبد الرحمن بن عوف : « شهدت رسول اللَّه ﷺ وقد جاءه عثمان بن عفان في جيش العسرة بسبعمائة أوقية من الذهب » .

ألم أقل لكم : إنه يبدو وكأنه المموّل الوحيد للأمة الجديدة ، والدين الجديد . . . ؟؟[1] .

ولما كفىٰ اللَّه المؤمنين القتال برجوع الروم ورجع الجيش بكل عتاده الذي أمدّه به عثمان ما استرجع عثمان من ذلك شيئًا ، وما استردّ منها بعيراً ولا خطامًا .

رضي اللَّه عن عثمان المهاجر إلىٰ ربه الذي يخرج من ماله ومن دنياه العريضة كلها ويسافر إلىٰ اللَّه في حياء رجل تستحي منه الملائكة . . . نعم المال الصالح للرجل الصالح . . . ترىٰ كم أظل عثمان من رءوس رجال . . . وكم له عند اللَّه من ظل بل ظلال ظليلة .

قال رسول اللَّه ﷺ :

« **أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل اللَّه عز وجل ، أو منحة خادم في سبيل اللَّه ، أوْ طروقة فحل في سبيل اللَّه** »[2] .

---

(١) « خلفاء الرسول » لخالد محمد خالد (ص٢٤١) ـ دار الجيل .

(٢) أخرجه أحمد ، والترمذي عن أبي أمامة ، والترمذي عن عدي بن حاتم ، كذا أخرجه الحاكم وابن عساكر . قال المناوي في « فيض القدير » (٢/ ٤٠) : « صححه الترمذي وتبعه عبد الحق واعترضه ابن القطان بأن فيه القاسم بن أبي عبد الرحمن مختلف فيه قال : فحق الحديث أن يقال فيه حسن لا صحيح ، وأقول فيه أيضًا الوليد بن جميل ، قال الذهبي : قال أبو حاتم : رویٰ عن الحسن أحاديث منكرة » وأشار السيوطي له بالصحة ، وحسنّه الألباني في « صحيح الجامع » رقم(١١٢٠) .

قال المناوي في « فيض القدير » (٢/ ٤٠) :

(أفضل الصدقات ظل فسطاط) بضم الفاء وتكسر : أي خيمة يستظل بها المجاهد في (سبيل اللَّه عز وجل) أي أن ينصب خباء للغزاة يستظلون فيه .

من أظل رأس غاز أظله اللَّه يوم القيامة . . . يا لعظم الجزاء .

فكيف عميت عنه أبصار المترفين من أثرياء المسلمين ، وأبصرت مآسي حيوانات أوربا وحدائق حيوانها . . . أفلا أنزلتم المجاهدين والنازحين من المسلمين الراحلين عن ديارهم منزلة حيوانات أوربا .

أين دنانيركم تشد عضد إخوانكم من مسلمي كوسوفوا والبوسنة . . .

إن أراد أطفال المجاهدين ونساؤهم والشيوخ من آبائهم الفرار من الذبح الجماعي في كوسوفوا وأرادوا المسير إلى ألبانيا لغّموا لهم الطرق حتى الجبال ، وإن أرادوا الفرار إلى الغابات أحرقوا الغابات . . . فأين أنتم ؟

آه وألف آه من قوافل الضياع المشردة :

قوافلُ تمضي بين أفواج رُضّعٍ ... وأحزانِ ثكلى أو تباريح أيِّمِ

وبين صبايا يا لَذلّ دموعها ... وأفواجِ أطفال وأمواجِ يُتَّمِ

قوافل تمضي وهي تسحبُ خَطْوها ... ذليلاً على شوكٍ مُدَمٍّ ومُوضِمِ

تكاد عيونُ الطفل تسألُ من أنا ... إلى أين أمضي يا فيافي تكلمي

أتحملني دورُ النصارى وبيعةٌ ... وساحاتُ شركٍ أو منازل سُوَّمِ

لتُنْزع مني فطرةٌ وطهارةٌ ... ويُغرس بي شرك وفتنة مأثم

من أظلّ رأس غاز أظله اللَّه . . . جبنتم يا مترفين عن النزال . . . فهلا ساعدتم إخوانكم . . . لا تجمعوا عليهم حر السيف ، وحرّ الجوع . . . وحر

الشمس وهجيرها . . .

يا من يؤذيكم هجير الشمس في وسط الظهيرة . . . يا من لا تطيقون العيش إلا في ظل المكيّفات حتىٰ امتد ترفكم إلىٰ الشوارع تريدون أن تلطّفوا جوها بالمكيفات انظروا كيف يعيش الفرسان في أدغال كشمير وغابات الفلبين ووسط جليد كوسوفوا . . . لعلّ الحياء يعود إلىٰ وجوهكم يومًا . . . وما أظنه عائد .

لكأنكم تقولون بملء أشداقكم للمجاهد الذي لا يريد سواعدكم إلىٰ جنب ساعده إنما يريد عونكم له بما يسدّ رمقه وبما يستر بدنه ويظل رأسه . . . تقولون له : لا تنتظر أحداً فلن يأتي أحد :

لا تنتظر أحداً
فلن يأتي أحدْ ...
لم يَبْقَ شيءٌ غيرُ صوتِ الريحِ
والسيفِ الكسيحِ
ووجه حلم يرتعدْ ...
الفارسُ المخدوعُ ألقى تاجه
وسط الرياح وعاد يجري خائفاً
واليأس بالقلب الكسير قد استبَدّْ
صور على الجدران ترصدها العيون
وكلما اقتربت ... تُطِلُّ وتبتعِدْ
قد عاد يذكر وجهه

والعزمُ في عينيه
والأمجادُ بين يديه
والتاريخ في صمتٍ سَجَدْ

* * *

الفارس المخدوع في ليل الشتاء
يدور مذعوراً يُفَتّشُ عن سندْ
يسري الصقيع على وجوه الناس
تنبُتُ وحشةٌ في القلب
يفزع كل شيء في الجَسَدْ
في ليلة شِتْويةُ الأشباحِ
عاد الفارس المخدوعُ منكَسِراً
يجر جوادَهُ
جثث الليالي حولَه
غير الندامة ما حصدْ
ترك الخيولَ تَفرُّ من فرسانها
كانت خيولُكَ ذاتَ يوم
كالنجوم بلا عَدَدْ
أسرفت في البيعِ الرخيص

وجئت ترجو من أعاديك المَدَدْ
باعوك في هذا المزاد
فكي تسمع زيف جَلاَّدٍ وَعَدْ
الفارسُ المخدوعُ ألقى رأسَهُ
فوقَ الجدارِ
وكلٌ شيء في جوانحه هَمَدْ
هربت خيولك من صقيعِ اليأسِ
فالشطآنُ حاصرها الزَّبَدْ
لا شيء للفرسان يبقى
حين تنكسرُ الخيول
سوى البريق المرتَعدْ
وعلى امتداد الأفق تنتحبُ المآذنُ
والمنابرُ ... والقبابُ
وصوتُ مسجونٍ سجدْ
هذي الخيول ترَهَّلَتْ
ومواكبُ الفرسانِ ينقصُها
مع الطهر الجَلَدْ
هذا الزمان تَعَفَّنَتْ فيه الرءوسُ

وكلُ شيءٍ في ضمائرها فسَدْ
إن كان هذا العصرُ
قد قطع الأيادي والرقابَ
فكيف تأمنُ وسطَ بركانٍ خَمَدْ

***

هذي الخيولُ العاجزةْ
لن تستطيع الركضَ
في قمم الجبال
وكلٌّ ما في الأفقِ أمطارٌ ورَعْدْ
ماذا سيبقى للجواد إذا تهاوى
غير أن يرتاحَ في كفن .. ولَحْدْ
الفارس المكسورُ ينظرُ
والسماءُ تطلُّ في غضبٍ
وبين دموعِها
تخبو مواثيقٌ وعهدْ
خدعوك في هذا المزاد
ظننت أن السمَّ شَهْدْ
قتلوك في الأمس القريبِ

فكيف تسأل قاتليكَ
بأن تموت بحبل ودْ
قد كنت يوماً
لا ترى للحلم حداً أي حدْ
والآن حاصركَ المُرابي
في المزاد بألفِ وَغدْ
هذا المرابي
سوف يخلفُ كلّ يومٍ ألفُ وغدْ
لا تحزني أمِ المدائن لا تخافي
سوف يُولدُ من رَمَاد اليوم غدْ
فغداً ستنبت بين أطلال الحُطامِ
ظلالُ بستانٍ .. وورد
وغداً سيخرج من لظى هذا الزكامِ
صهيلُ فرسانٍ ... ومْجد

* * *

الفارسُ المكسورُ
ينتظرُ النهايةَ في جلدْ
عينانِ زائغتانِ
وجهٌ شاحبٌ
وبريقُ حلم في مآقيه جَمَدْ

لا تنتظرْ أحدا
فلنْ يأتي أحدْ
فالآن حاصَرك الجليدُ ...
إلى الأبَدْ ...

* * *

(١) قصيدة : « لا تنتظر أحداً . . . فلن يأتي أحد » لفاروق جويدة ـ الأهرام .

من أعان مجاهدًا
أو غارمًا
أو مكاتبًا

من أعان مجاهدًا أوغارمًا أو مكاتبًا

عن عبد اللَّه بن سهل بن حُنيف ، عن أبيه : أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«مَنْ أعان مجاهداً في سبيل اللَّه ، أو غارماً في عُسْرَته ، أوْ مُكاتباً في رقبته، أظله اللّه في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله »**[1] .

***

من أعان مجاهدًا في سبيل الله

قال المناوي : « **من أعان مجاهدً في سبيل اللّه** » على مؤن غزوه ، أو إخلافه في أهله بخير ونحو ذلك[2] . اهـ .

أفلا عاقل يعلم أن الجنة تحت ظلال السيوف ، وأن الريّ الأعظم في شرب كئوس الحتوف ، وأن من اغبرّت قدماه في سبيل اللَّه، حرّمه اللَّه على النار .

ألا من أيام تعود ويعود معها الجهاد في سبيل اللَّه بعدما أمات الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطبين ، أيهوىٰ نجمه بعد أن كان مشرقًا سنيًا ،

---

(١) سنده جيد : أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٧) والحاكم (٢/ ٨٩) وعَبْد بن حميد في « المنتخب » (١/ ٤٢٤) والطبراني في « الكبير » (٦/ ١٠٤ - ١٠٥) وقال الحاكم : صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي في «التلخيص» فقال : بل عمرو بن ثابت رافضي متروك » .
وقال الهيثمي في « المجمع » (٥/ ٢٨٣) : « عبد اللَّه بن سهل بن حنيف لم أعرفه » وكذا في «ذيل الكاشف» لأبي زرعة العراقي .
قال الشيخ مشهور حسن سليمان : ومدار طرق الحديث عليه فأنّى للحديث الصحة .
وجوّد إسناده الحافظ في « الفتح » (٢/ ١٦٨ - ١٦٩) وصححه السيوطي في « تمهيد الفرش » (ص٥٨) ، وحسّنه المناوي في « فيض القدير » (٦/ ٧٢) ، وضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٤٥٦) و«الضعيفة» (٤٥٥٥) .

(٢) « فيض القدير » (٦/ ٧٢) .

وينمحي رسمه واسمه كأن لم يكن له من قبل سميًا ؟! .

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[١] .

إن النفرة للجهاد في سبيل اللَّه انطلاق من قيد الأرض ، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان ،وتغليب لعنصر الشوق المجنّح في كيانه على عنصر القيد والضرورة .

بالجهاد الذي فيه المشقة والعناء ، يذهب الهمّ والغمّ ، ولكنها الشقّة البعيدة التي تتقاصر دونها الهمم الساقطة ، والعزائم الضعيفة ، ولكنه الجهاد الخطير الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة ،ولكنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة والبنْية المهزولة .

كثير هم أولئك الذي يتهاوون في الطريق الصاعد إلى الآفاق الكريمة ، إنهم ليعيشون على حاشية الحياة ، وإن خُيّل إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب ، واجتنبوا أداء الثمن الغالي ، فالثمن القليل لايشتري سوى التافه الرخيص .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **انتدب اللّه لمن خرج في سبيله، لا يخُرجه إلا إيمان بي، وتصديق برسلي ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتي ، ما قعدتُ خلف سريّة ، ولوددتُ أن أُقتل في سبيل اللّه ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل** »[٢] .

---

(١) سورة التوبة الآيتان (٣٨-٣٩) .

(٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة .

يوسف بن تاشفين يعين أهل الأندلس وينحر الكافرين في معركة الزلاقة:

لسوف يذكر التاريخ المثال الناصع لمن أعان المجاهدين في سيرة يوسف المغرب أمير المرابطين يوسف بن تاشفين . . الصوّام القوّام الزاهد الذي لم يكن يأكل سوىٰ خبز الشعير ، ولحم الإبل ، وشرابه لبن النوق ، وتحت يديه ملك المغرب كله : لما توحّدت كلمة ملوك النصارىٰ علىٰ سحق دولة الإسلام بعد سقوط طليطلة وتحالف ألفونسو السادس ملك « قشتالة » وسانشو الأول ملك أراجون ونافارا ، والكونت برنجار ريموند حاكم برشلونة وأورجل ، لإخراج المسلمين من الأندلس ، ودفع بعض أمراء الأندلس الجزية لألفونسو .

أرسل أمراء الطوائف رسالة إلىٰ يوسف بن تاشفين موقعة من ثلاثة عشر أميرًا مستقلاً ، يناشدونه الإسراع إليهم قبل وقع الطامة الكبرىٰ ، وأرسل المعتمد بن عباد إلىٰ يوسف بن تاشفين : « إن كنت مؤثرًا للجهاد فهذا أوانه ، فقد خرج الأذفونش إلىٰ البلاد ، فأسرع في العبور إليه »[(١)] .

وأمَّت مدينة مراكش وفود كبيرة من الفقهاء ، ووفود شعبية تسأل يوسف إنقاذ مايمكن إنقاذه من أرض المسلمين بالأندلس .

وكتب وزير ابن عباد - أبو بكر - كتابًا إلىٰ ابن تاشفين : « لقد غُصت المساجد المتروكة بالقساوسة من أعداء الدين ، ونُشرت الصلبان فوق المنائر التي كان يُتلىٰ فيها الأذان من قبل ، وأُخذت النواقيس تُقرع من فوقها للقداس ، بعد أن كان يُدعىٰ للصلاة » وختم الوزير كتابه بقوله : « إن يوسف بن تاشفين قد غدا معقد الآمال ، وإنه يُعتقد أن

---

(١) « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٧/ ١١٦) .

اللَّه قد اصطفاه لانقاذ الإسلام » .

وعبر يوسف بجيشه إلى الأندلس ، وصعد إلى مقدمة سفينته ودعا : «اللَّهم إن كنت تعلم أنّ في جوازي هذا خيرًا وصلاحًا للمسلمين فسهّل علي جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعّبه حتى لا أجوزه » ، فسهل اللَّه المركب ، وقرّب الطلب ، وسجد ابن تاشفين شكرًا للَّه لمّا نزل بأرض الأندلس .

وجاءت الإمدادات لألفونسو من كل صوب ، وعمل البابوات دورًا عظيمًا في الحث على ذلك وبلغت عدة جيش ألفونسو مائة ألف من المشاة ، وثمانين ألفًا من الفرسان ، وكان عدد الجيش المسلم ثمانية وأربعين ألفًا ، نصفهم من جيش ابن تاشفين ، ونصفهم من الأندلسيين تحت إمرة ابن عباد .

وكانت معركة الزلاقة ، وثبت المعتمد بن عباد ثباتًا رائعًا ، وآزره ابن تاشفين وهو يهدر من فوق فرسه : « يا معشر المسلمين ، اصبروا لجهاد أعداء اللَّه الكافرين ، ومن رُزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومَنْ سَلِم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة ، وقاتل ابن تاشفين في مقدمة صفوفه قتالاً شديدًا .

وكتب اللَّه النصر للمسلمين ، ولم ينج من جيش الكافرين سوى أربعمائة أو خمسمائة فارس .

وأمر ابن تاشفين برءوس القتلى فصفّت في سهل الزّلاقة على شكل هرم، ثم أمر فأُذن للصلاة من فوق أحدها ، وانجلت الزلاقة عن يوم مشهود من أيام الإسلام .

وعفّ يوسف بن تاشفين عن غنائم هذه المعركة ، وآثر بها ملوك الطوائف ، وعرّفهم أن مقصوده إنما كان الغزو والجهاد ، لا الغنائم ، ثم

عاد ابن تاشفين إلىٰ المغرب .

وجاز ابن تاشفين إلىٰ الأندلس مرة ثانية ؛ لصدّ غارات النصارىٰ علىٰ مرسية .

استنجاد أهل الأندلس بالسلطان أبي الحسن المريني صاحب فاس وأولاده:

لما كتب إليه أمراء الأندلس علىٰ لسان الأديب ابن الخطيب : « إذا تداعت أمم الكفر نصرة لدينها المكذوب ، وحميّة لصليبها المنصوب ، فمن يُستدعىٰ لنصر دين اللَّه وحفظ أمانة نبيه إلا أهل ذلك الوطن . . إنما الإسلام غريق قد تشبث بأهدابكم يناشدكم اللَّه في بقية الرمق وهذا أوان الاعتناء واختيار الحماه وإعداد الأقوات ، قبل أن يضيق المجال وتمنع الموانع » .

وقد استجاب السلطان أبو الحسن المريني وأهله وشعبه استجابة طيبة ، يدل علىٰ هذا ما قاله صاحب « نفح الطيب » إذ قال عن أبي الحسن المريني : « كان مجتهداً في الجهاد بنفسه وحرمه ، وجاز للأندلس يرسم ذلك[1] بنفسه ، وأظهر آثاره الجميلة ، ومنها ارتجاع جبل الفتح ليد المسلمين بعد أن أنفق عليه الأموال ، وصرف إليه الجنود والحشود . . . ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به إلىٰ أن استرجعوه ليد المسلمين .

أبو يوسف المنصور يعين أهل الأندلس ويحقق أعظم انتصار في معركة الأرك :

لما أخذ مطران طليطلة « مارتن دي بسيرجا » يعمل بروح صليبية لاعداد حملة كبيرة في الأندلس . . . دمّر هو وألفونسوا السادس ملك قتشتاله كل شيء ، فانتسفت الغلات والكروم ، وقطعت أشجار الزيتون ،

(١) أي لخوض الجهاد .
(٢) « نفح الطيب » (٦/ ١٨٧ـ ١٨٨) .

وخرّبت الضياع والقرىٰ ، وسيقت الماشية ،وسُبي المسلمون العزّل رجالاً ونساءً ، وقتل قسم كبير منهم ، وزحفت قوىٰ من فرسان النصارىٰ إلىٰ أقصىٰ جنوب الأندلس وكتب ألفونسو السادس إلىٰ المنصور يعقوب بن يوسف «باسمك اللّهم فاطر السموات والأرض . . . . وصلىٰ اللّه علىٰ السيد المسيح روح اللّه وكلمته ، الرسول الفصيح . أما بعد . . . فإنه لا يخفىٰ علىٰ ذي ذهن ثاقب ولا ذي عقل لازب[1] ، أنك أمير الملّة الحنيفية ، كما أني أمير الملّة النصرانية ،وقد علمت الآن ما عليه رؤساء أهل الأندلس من التخاذل والتواكل وإهمال الرعية وإخلادهم إلىٰ الراحة ، وأنا أسومهم بحكم القهر وجلاء الديار ، وأسبي الذراري ،وأمثل بالرجال،ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن اللّه تعالىٰ فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفّف اللّه عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا ،ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ، لا تستطيعون دفاعًا ولا تملكون امتناعًا ، وقد حكىٰ لي عنك أنك آخذ في الاحتفال ، وأشرفت علىٰ ربوة القتال ، وتماطل نفسك عامًا بعد عامًا ، تقدّم رجلاً وتؤخر أخرىٰ ، فلا أدري أكان الجبن أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ؟ ثم قيل لي : إنك لا تجد إلىٰ جواز البحر سبيلاً لعلّة لا يسوغ لك التقحّم معها ، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك وأعتذر لك وعنك، علىٰ أن تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان ، وترسل إليّ جملة من عبيدك بالمراكب والشواني والطرائد والمسطحات ، وأجوز بحملتي إليك، وأقاتلك في أعزّ الأماكن لديك، فإن كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت إليك ، وهدية عظيمةمثلت بين يديك ، وإن كانت لي كانت يدي العليا

---

(١) أي ثابت .

عليك ، واستحقيت إمارة الملّتين والحكم على البَرَّيْن ، واللّه تعالى يوفّق للسعادة ، ويسهل الإرادة، لا ربّ غيره ولا خير إلاّ خيره إن شاء اللّه تعالى»[١] .

فلما وصل كتابه إلى أبي يوسف المنصور مزّقه وكتب على ظهر قطعة منــه : ﴿ **ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون** ﴾ الجواب ما ترىٰ لا ما تسمع .

ولا كُتْبَ إلا المشرفية عنده ولا رُسُلٌ إلا الخميس العرمرمُ

وسار المنصور بجيشه تحت إمرة وزيره القائد العام أبي يحيىٰ بن أبي حفظ ، وتولى قيادة الأندلسيين زعماؤهم وكبيرهم أبوعبد اللّه بن صناديد ، وحشد ألفونسو ما ينوف على خمسة وعشرين ألف فارس ، ومائتي ألف راجل، وجماعات من تجار اليهود قد وصلوا لاشتراء أسرىٰ المسلمين وأسلابهم .

وفي ٩ شعبان سنة ٥٩١ هـ والتقى الجيشان ، وأميرالمؤمنين يقول لجنده: جدّدوا نيّاتكم وأحضروا قلوبكم . . .

ورد المسلمون هجمات القشتاليين مرتين ، وفي المرة الثالثة اقتحم القشتاليون صفوف المسلمين وفرّقوها ، وقتلوا قسماً منها ، وسقط القائد العام وهو يقاتل بمنتهى الشجاعة ، واعتقد النصارىٰ أن النصر لاح ، فما فوجئوا إلا بهجوم الجناح الأيمن بقيادة أبي عبد اللّه بن صناديد ، وهجم من بعده أمير الموحدين لكي يجهز على جيش القشتاليين ، وتساقط معظم فرسان النصارىٰ ، ونجا ألفونسو بأعجوبة بعد أن قتل من جنده ثلاثون ألف قتيل .

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٧/ ٦) .

ولم يسمع في بلاد الأندلس بكسرة مثلها ، وكانت تضاهي وقعة الزّلاقة أو تزيد ، نجا ألفونسو إلىٰ طليطلة في أسوأ حال ، فحلق رأسه ولحيته، ونكّس صليبه ، وآلىٰ أن لا ينام علىٰ فراش ولا يقرب النساء ، ولا يركب فرسًا ولا دابة حتىٰ يأخذ بالثأر[١] ، ولكن مِمَّنْ هيهات هيهات فما استطاع ابن الكافرة أن يفعل شيئًا .

معركة « مسرغين » بالجزائر (١٥٠٧م) ومافعله أهل وهران ومن حولهم لنجدة المجاهدين .. والنصر الساحق للمسلمين فيها :

جهز فرديناند ملك أسبانيا جيشه وأسطوله لغزو المغرب الإسلامي ، وموّل الأسطول الكاردينال الوزير الراهب ـ خمينيس ـ بأمواله الخاصة وبما قدمته له الكنيسة من الأموال وبمباركة البابا اسكندرالسادس بورجيا لنشر الصليبية الأسبانية بأفريقية تحت قيادة « دون رايموند دي قرطبة » ووصل الأسطول إلىٰ « المرسىٰ الكبير » .

وأحكم الحصار علىٰ المدينة لمدة خمسين يومًا ، وبعد مقاومة عنيفة من المسلمين سلّمت المدينة للأسبان وحوّلوا مسجد المدينة إلىٰ كنيسة للنصارىٰ .

ولما وصل الخبر إلىٰ أسبانيا أعلن فيها العيد لمدة أسبوع .

وأخذت القيادة الأسبانية في الإعداد للمرحلة الثانية من التوسع ، ونظّم قائد حامية « المرسىٰ الكبير » (فرناند يزدي قرطبة) حملة بهدف الهجوم المباغت علىٰ مسرغين ووصلت الحملة إلىٰ هدفها مع الفجر ، وأحاطت بدوار العرب المسلمين وباغتته بالهجوم من كل جهاته .

وذهل العرب لأول وهلة ، غير أنهم استعادوا بسرعة ثباتهم ، وقابلوا

---

(١) انظر : « الأرك » بقيادة أميرالموحّدين المنصور يعقوب بن يوسف لشوقي أبو خليل دار الفكر (ص٤٩ ـ ٦١) .

الهجوم بمقاومة عنيفة ، وقاتلوا بشراسة ، غير أن القوات الأسبانية أفادت من عاملي المباغتة والمبادأة فدمّرت المقاومة بسرعة ، فاستشهد المجاهدون وهم يحملون سلاحهم ، وسيق بقية الرجال والنساء والأطفال إلى الأسر ، واستخدم الأسبان كل ما وجدوه من الخيول وعربات الجر لحمل الغنائم ، ونظموا سيرهم ، وأخذوا يعبرون المسالك الجبلية على طريق العودة .

وأثناء ذلك كان بعض الرجال قد أفلتوا من المعركة وذهبوا لاستنفار القرى المجاورة .

وأسرع المجاهدون من (الدواوير القريبة) لنجدة إخوانهم - الغرابة - وهم لا يبغون من الدنيا إلا إنقاذهم من الأسر والهوان ، وليصونوا شرف النساء المسلمات أن يلحق بهن العار ، ولم تمض إلا ساعة من نهار ، حتى أحدق المجاهدون بالأسبان الذين كانوا يدفعون أمامهم غنائمهم وأسلابهم وأسراهم .

ودارت معركة قاسية عنيفة ، وكان الضباب يغطي ميدان المعركة ، فلم يتمكن الأسبان من استعمال أسلحتهم ، ولم يتمكنوا من رؤية أعدائهم ، وأدخل التكبير الفزع إلى قلوبهم فاختل نظامهم وفقدوا الأمل في النجاة .

وأثناء ذلك ، كانت أنباء الغارة الوحشية قد وصلت إلى مدينة «وهران» فبادر حاكمها إلى دفع قواته لنجدة المجاهدين ، ووصل الجيش إلى ميدان المعركة ، وارتفعت أصوات التهليل والتكبير من كل جانب ، واستبشر المجاهدون بهذه النجدة القوية ، فتزايدت حماستهم ، وانقضوا على المقدمة التي كانت تضم الغنائم والأسرى فقضوا عليها قضاء مبرمًا ، وفكّوا قيود الأسرى من رجال ونساء ، واسترجعوا كل الغنائم ، وأعملوا السيف في رقاب الأسبان فقتلوا منهم ثلاثة آلاف قتيل ولم ينج من الأسبان إلا القليل .

عروج وخير الدين باربروس سيفان من سيوف الإسلام ومثلان مضيئان للبحرية الإسلامية ونجدتها للمسلمين الأسبان :

« باربروس » أي ذوي اللحى الشقراء وما أدراك من هم ؟

في وقت تألب فيه الصليبيون ضد المسلمين في الأندلس ، وأخرجوهم من ديارهم ، وشددوا عليهم الخناق ، وعملوا فيهم تقتيلاً وتشريدًا وسبيًا ونهبًا حتى ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت ، يظهر الأبطال المنقذون كما يبزغ الشهاب في السماء المظلمة ، فمدوا أيدي العون لمن امتنع عليهم كل عون، وقدموا المساعدة عندما عزّت المساعدة على أحوج الناس إليها .

عروج بن يعقوب بن يوسف التركي وخسرف [خير الدين] بن يعقوب ، ومحمد إلياس بن يعقوب بن يوسف ، أوالإخوة باربروسا أي ذوي اللحى الشقراء كما سماهم الإفرنج من جزيرة « مدلى » من بحر الأرخبيل ووالدهم يعقوب بن يوسف كان تركيًا تزوج من سيدة أندلسية .

أسر الأعداء عروج باربروس في بحار الشرق ، فعمل في المجاديف والقيد في رجله مدة سنتين وتمكن من الفرار من الأسر ، وانضم إليه أخوه خير الدين وانضم إليهما المجاهدون الأشداء وركبا البحر على سفن لهم واتخذوا من جزيرة جربة قاعدة لنشاطهم ، وانطلقا من هناك إلى ناحية الأندلس ينصران الإسلام ، وينقذان اللاجئين الأندلسيين إلى العدوة المغربية ، ويمعنان في أساطيل النصارى تدميرًا وأسرًا .

هنالك أطلق النصارى لقب بريروس على كل من الأخوين (عروج وخسرف) ، وهنالك أيضًا اقترح بعض الأندلسيين والمغاربة على «خسرف» أن يغيّر اسمه ، وأطلقوا عليه اسم ـ خير الدين ـ

سنة (٩١٨ هـ ـ ١٥١٢م) عروج وخيرالدين يهاجمان الأسبانيين في بجاية (الجزائر) انتقاماً لما ارتكبوه من جرائم ضد المسلمين :

خرج الأخوان من قاعدتهما في مرفأ (حلق الوادي) ومعهما قوة من ثلاث سفن صغيرة واصطدما بسفينة حربية كبيرة كانت تنقل ثلاثمائة جندي أسباني من نابولي إلىٰ برشلونة ، وكانت السفينة أقوىٰ بحجمها وبنيران مدفعيتهامن مجموع السفن الثلاث .

واندفعت السفن في محاولة لأسر السفينة وأحبطت محاولات السفن الإسلامية سبع مرات متتالية وفي الهجوم الثامن وبعد أن أصيب عروج بجرح بليغ ، نجح خير الدين بالوصول إلىٰ السفينة المعادية وقذف بنفسه فوقها ، ولحق به المجاهدون بسرعة ، وأمكن لهم الاستيلاء علىٰ السفينة بعد معركة عنيفة ، وأسروا كل من فيها واقتادوها إلىٰ مرسىٰ (حلق الوادي) تلك كانت بداية البطلين . . . فما ظنك بالخاتمة .

وفي سنة (٩٢٠ هـ) يهاجم الأخوة (بربروس) بجاية للمرة الثانية دعماً للمجاهدين ونجح عروج في الاستيلاء علىٰ سفينة من سفن الأسطول الأسباني وأغرق أخرىٰ في معركة رهيبة أصيب فيها بكسر في ذراعه ولم يجد الأطباء يومئذ لها من علاج إلا البتر .

• ولما سقطت (جيجل) في قبضة المغامر (أندريا ـ دوريا) وأسطوله بعدمعركة وحشية وطُرد المسلمون منها ، استنجد أهل جيجل المشردون بعروج، وقاد عروج قوته البحرية ومعه إخوته واتصل بمجموعات المجاهدين من أهل جيجل وبعد معركة عنيفة استطاع عروج اقتحام المدينة وإبادة حاميتها إبادة تامة ، ووفقه اللّه لطرد الصليبيين من بلدة إسلامية، وكانت أول بلدة ينقذها علىٰ ساحل البلاد .

● ولما ارتفعت الاستغاثات من أهل الأندلس طالبة الإنقاذ ، توجه عروج وخير الدين على رأس قوة بحرية ملبيًا أصوات الاستغاثة من المستضعفين من الرجال والنساء والأطفال الذين نكث الأسبان بوعودهم تجاههم وأصبحوا يرغمونهم على اعتناق المسيحية تحت تهديد الإبادة .

وأنقذ خير الدين ما أمكن إنقاذه ، وانقض على جزائر البالِيئار التي أصبحت تحت سيطرة الأسبان ، واحتل (مينورقة) وأخذ أسرى من أهلها ، ثم رجع إلى قاعدته في مدينة (جيجل) .

وبعدها سقط عروج مؤسس دولة الجزائر شهيدًا واحتزوا رأسه وساروا بها إلى أسبانيا ، حيث طيف بها على أكبر مدنهم ، وذهبوا بها بعد ذلك إلى أغلب المدن الأوربية التي كانت فرائصها ترتعد من مجرد ذكر بربروس .

● وينتقم خير الدين لأخيه ويدمر الأسطول الأسباني أمام الجزائر هذا الأسطول الذي أرسله ملك أسبانيا شارلكان سنة (٩٢٥ هـ - ١٥١٩م) وكان مكونًا من أربعين سفينة تحمل على متنها خمسة آلاف من المقاتلين الأسبانيين والأوربيين وانضمت إليها قوة ضخمة في بجاية وفي ٢٠ أغسطس (٩٢٥هـ-١٥١٩م) ينتصر المسلمون انتصارًا كاملاً .

وتغرق مياه البحر أربعة آلاف من المقاتلين الأسبانيين ، ويقع في قبضة الأسر ثلاثة آلاف مقاتل ، وقد حاول هؤلاء تنظيم صفوفهم والانقضاض على المسلمين فتمت إبادتهم إبادة كاملة وبذلك دمرت الحملة تدميرًا كاملاً .

● وفي سنة (٩٣٦ هـ-١٥٣٠م) ينتصر خير الدين على الحملة الصليبية الأسبانية ويدمر ١١ سفينة حربية تدميرًا كاملاً ولم ينج من الأسطول الأسباني إلا سفينة واحدة فقط استطاعت الفرار لتعلم الأسبان بالمجزرة الرهيبة التي قضت على الأسطول في جزر البالِيئار .

● وفي سنة (٩٣٧ هـ) يصل الأميرال اندريا دوريا على رأس أسطول يضم عشرين سفينة تحمل ألفا وخمسمائة من المقاتلين الأشداء لتدمير الأسطول الإسلامي ودارت معركة شرشال ولم تغرب شمس يومها إلا وقد انتشرت جثث ألف وأربعمائة من الأسبانيين ، بالإضافة إلى ستمائة أسير وقعوا في قبضة المجاهدين .

أهل الأندلس يستغيثون بخير الدين بربروس فينقذ سبعين ألفا منهم ، ولو لم يكن له فى التاريخ إلاهذا لكفاه :

بعد هزيمة شرشال تعرّض المسلمون في الأندلس لمزيد من القهر والاضطهاد ، وارتفعت أصوات الاستغاثة من أهل الأندلس بخيرالدين ، فمضى ومعه ٣٦ سفينة حتى بلغ السواحل الأسبانية التي التجأ إليها المسلمون، ولم يجرؤ الأسطول الأسباني للتعرض لأسطول خيرالدين فأخذ هذا على سفنه أكبرعدد من الراغبين في الحفاظ على دينهم ، وكان يترك أكبرعدد من بحارته الجزائريين فوق أرض الأندلس حتى يحمل مقابلهم عدداً من النازحين ، حتى إذا ما أوصلهم إلى الجزائر ، عاد إلى أسبانيا ليأتي بغيرهم .

وكرّر غدوه ورواحه بين الساحلين سبع مرات متوالية حتى تمكن من إنقاذ سبعين ألفًا من رجال الأندلس ونسائهم وأطفالهم .

للّه دره من مجاهد عظيم استجاب لنداء إخوانه وكان شجى في حلوق الكافرين ، وعرف السلطان العثماني سليمان القانوني فضل هذا المجاهد الفذ فيعينه أميرًا للبحر سنة (٩٣٩هـ) مع بقائه على رأس دولة الجزائر[١] .

---

(١) يراجع كتاب «خيرالدين بربروس» لبسام العسلي ـ دار النفائس .

جاء في رسالة بعث بها أهالي غرناطة إلىٰ السلطان سليمان القانوني سنة (١٥٤١م) : « قد كان بجوارنا الوزير المكرّم المجاهد في سبيل اللَّه خير الدين وناصر الدين وسيف اللَّه علىٰ الكافرين ، علم بأحوالنا وما نجده من عظيم أهوالنا لمّا كان بالجزائر . . . فاستغثنا به فأغاثنا ، وكان سبب خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين ، نقلهم إلىٰ أرض الإسلام وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان »[١] .

* * *

أو غارمًا في عسرته

الغُرْم : الدَّيْن . ورجل غارم : أي عليه دَيْن .

وفي الحديث : « **أعوذ بك من المأثم والمغرم** » :

قال ابن منظور : « يريد به مغرم الذنوب والمعاصي ، وقيل : المَغْرَم كالغُرْم ، وهو الدَّيْن ، ويريد به ما استدين فيما يكرهه اللَّه ، أو فيما يجوز ، ثم عجز عن أدائه ، فأما دَيْن احتاج إليه ، وهو قادر علىٰ أدائه ، فلا يستعاذ منه »[٢] .

ضرار بن القعقاع ـ رضي الله عنه ـ :

عن قتيبة بن مسلم قال : كان في مكز[٣] دماء ، فاجتمعوا لها في المسجد الجامع ، فأرسلني أبي إلىٰ ضرار بن القعقاع ، فقال لي : قل له : إن قومك قد اجتمعوا في الدماء ، فاحضرهم ، فانتهينا إلىٰ المسجد الجامع

---

(١) كتاب « استجابات إسلامية لصرخات أندلسية » لمحمد حسن عقيل (ص١٠٤) ـ مكتبة دار الأندلس الخضراء للنشر .

(٢) « لسان العرب » (٤/ ٣٢٤٧) .

(٣) مكز : بلد بالمشرق من بلاد مكرّان .

وهم حِلَق ، قال : فنظر إلىٰ عين الشمس فجعلها في ظهره ، ثم جلس ، قال : فجعلوا يتحوّلون إليه رجلاً ورجلين ، حتىٰ صاروا حوله ، ثم جعلوا يتهاترون ، وهو ينكت في الأرض ، فلما انتصف النهار ، قال له رجل : يا أبا القعقاع ، ألا تتكلم ؟! أما ترىٰ ما فيه قومك ؟! فقال : أوقد احتجتم إلىٰ ذلك ؟! قالوا : نعم ، فقال للمطلوبين : أمّا أنتم فبرآء ، وقال للطالبين : حقّكم إلي ، قال : فكأنما كانت نار طُفيت ، فقاموا فتفرّقوا ، وأرسل إلىٰ آبل مأبله بالبادية ، فودَىٰ تلك الدِّيات »[١] .

سعيد بن العاص : أدبه في سداد دين الناس أكثر من عطائه :

قال الأصمعي : كان سعيد بن العاص يسمر مع سمّاره إلىٰ أن ينقضي حين من الليل ، فأنصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم، فأمرسعيد بإطفاء الشمعة وقال : حاجتك يا فتىٰ ؟ فذكر أن عليه دينًا أربعة آلاف درهم، فأمرله بها ، وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه[٢] .

معاوية بن أبي سفيان :

لما حج معاوية بن أبي سفيان سلّم عليه الحسن بن علي وأخبره بدينه ، فمرّوا ببُخْتِيٍّ عليه ثمانون ألف دينار ، وهو يضلع وهم يزجونه ، فقال معاوية: ما هذا ؟ قالوا :أعيا وعليه المال ، ونحن نزجّه ليلحق ، فقال : اصرفوه إلىٰ أبي محمد ، فدفعه إليه وعليه ثمانون ألف دينار[٣] .

زين العابدين لله درّه :

عن عمرو بن دينار قال : دخل عليّ بن الحسين علىٰ محمد بن أسامة

(١) « المستجاد من فعلات الأجواد » للدارقطني (ص٨٢ ، ٨٣) .
(٢) « العقد الفريد » (١/ ٢٩٩ـ٣٠٠) .
(٣) « لباب الآداب » (ص٨٧) .

ابن زيد في مرضه فجعل يبكي ، فقال : ما شأنك ؟ قال : عليّ دين ، قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر أو بضعة عشر ألف دينار ، قال : فهي علي .

الإمام المبارك عبد اللَّه بن المبارك :

عن سلمة بن سليمان : جاء رجل إلى ابن المبارك ، فسأله أن يقضي دينًا عليه ، فكتب له إلى وكيل له ، فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدّين الذي سألته قضاءه ؟ ، قال : سبعمائة درهم . وإذا عبد اللَّه قد كتب له أن يُعطيه سبعة آلاف درهم ، فراجعه الوكيل، وقال : إنّ الغلاّت فنيت . فكتب إليه عبد اللَّه : إن كانت الغلاّت قد فنيت، فإن العمر قد فني، فأجز له ما سبق به قلمي .

سعيد بن خالد وسليمان بن عبد الملك :

دخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك ، وكان سعيد رجلاً جوادًا، فإذا لم يجدْ شيئًا كتب لمن سأله صكا على نفسه حتى يخرج عطاؤه، فلمّا نظر إليه تمثّل بهذا البيت فقال :

إني سمعتُ مع الصباحِ مناديًا ... يا مَن يُعين على الفتى المعوانِ

ثم قال : ما حاجتك ؟ قال : ديْن عليّ ، قال : وكم هو ؟ قال : ثلاثون ألف دينار ، قال : لك ديْنك ومثله .

عن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تحل الصدقة لغني ، إلا لخمسة : لغاز في سبيل اللَّه ، أو لعامل عليها ، أو لغارم ، أو لرجل اشتراها بماله ، أو لرجل كان له جار مسكين فتصدّق على المسكين ، فأهداها المسكين للغني** »[(١)] .

(١) صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » وصححه . وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم(٧٢٥٠) .

أو مكاتبًا في رقبته

« أعان مكاتبًا في رقبته » :

قال المناوي في « فيض القدير » (٦/ ٧٢) : « أي في فكّها بنحو أداء بعض النجوم عنه أو الشفاعة له » .

قال تعالىٰ : ﴿ **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا** ﴾ .

إن اللَّه تعالىٰ أمر المؤمنين كافة أن يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك الكتابة وعلم سيّده منه خيراً .

ومعنىٰ المكاتبة في الشرع : هو أن يكاتب الرجل عبده علىٰ مال يؤديه منجّمًا عليه ؛ فإذا أدّاه فهو حرّ .

ولها حالتان : الأولىٰ : أن يطلبها العبد ويجيبه السيد ؛ فهذا مطلق الآية وظاهرها .

الثانية : أن يطلبها العبد ويأباها السيد ، وفيها قولان : الأول لعكرمة وعطاء ومسروق وعمرو بن دينار والضحاك بن مزاحم وجماعة من أهل الظاهر : أن ذلك واجب علىٰ السيد ، وقال جمهور أهل العلم : لا يجب ذلك .

﴿ **إن علمتم فيهم خيراً** ﴾ :

قال ابن عباس وعطاء : المال .

وقال مجاهد : المال والأداء ، وقال الحسن : الدِّين ، والأمانة .

وقال مالك : سمعت بعض أهل العلم يقولون : هوالقوّة علىٰ الاكتساب والأداء .

وعن الليث نحوه ، وهو قول الشافعي ، وقال عبيدة السلماني : إقامة الصلاة والخير .

قال القرطبي : والمعنىٰ عندنا : أن علمتم فيهم الدِّين والصدق ، وعلمتم أنهم يعاملونكم علىٰ أنهم متعبّدون بالوفاء لكم بما عليهم من الكتابة والصدق في المعاملة فكاتبوهم ، وحديث بريرة يرد قول من قال : إن الخير المال .

• ورخّص مالك والشافعي وأبو حنيفة في كتابة من لا حرفة له ، وحديث بريرة دليل علىٰ أن للسيد أن يكاتب عبده وهو لا شيء معه .

• والمكاتبة تكون بقليل المال وكثيره ، وتكون علىٰ أنْجُم ، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء . فلو كاتبه علىٰ ألف درهم ولم يذكر أجلاً نجّمت عليه بقدر سعايته وإن كره السيّد .

واختلفوا إذا وقعت علىٰ نجم واحد، فأكثر أهل العلم يجيزونها علىٰ نجم واحد . واختلف العلماء في الكتابة إذا كانت حالّة .

• والمكاتب عبد ما بقي في مكاتبته درهم . وبه قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد والثوري .

• والمكاتب إذا أدّىٰ كتابته عتق ولا يحتاج إلىٰ ابتداء عتق من السيد ، وكذلك ولده الذين وُلدوا في كتابته من أمته ، يعتقون بعتقه ويرقون برقّه ، فإن كان لهما ولد قبل المكاتبة لم يدخل في الكتابة إلا بشرط .

• وندب اللَّه السادة بإعانة مكاتبهم في مال المكاتبة فإما أن يعطوهم شيئًا مما في أيديهم أو يحطوا عنهم شيئًا من مال المكاتبة قال تعالىٰ : ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ وقد وضع ابن عمر خمسة آلاف من خمسة وثلاثين ألفًا، واستحسن علي بن أبي طالب أن يكون ذلك ربع الكتابة .

عتـــق النسمــــة
وفــك الرقبـــــة

عتق النسمة وفك الرقبة

من أعان مكاتبًا في رقبته أظله اللَّه في ظله ، فمن باب أولىٰ عتق النسمة وفك الرّقبة . . . وما أدراك ما عتق الرقاب ؟

قال تعالىٰ : ﴿ **فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة** ﴾ .

وفي تفسير العقبة بفك الرقبة ـ وهو الإسهام في عتق الرقيق ، وأما الاستقلال في عتقها وهو عتق النسمة ـ التعبير يضفي علىٰ هذا العمل بالغ الأهمية ، حيث قدّم في سلم الاقتحام لتلك العقبة .

ولقد تشوّف الشارع تشوّفًا شديدًا للحرية والإخراج من الرقّ ؛ فأكثر أسباب ذلك ، كما أوجبه في الكفارات من قتل خطأ ، وظهار ، ويمين ، وأمر بالكتابة ورغّب في الإعتاق ترغيبًا شديدًا ، وجعل عتق الرقيق يعادل عتق المعتق من النار كل عضو بعضو ، وهذا يدل علىٰ موقف الإسلام من الرقّ ومدىٰ حرصه وتطلّعه إلىٰ تحرير الرقاب .

كل ذلك نوافذ لإطلاق الأسارىٰ ، وفك الرقاب ولم يفتح للاسترقاق إلا بابًا واحدًا ، وهو الأسر في القتال مع المشركين لا غير .

الرد علىٰ جهالات من قالوا أن الإسلام متعطش لاسترقاق الأحرار :

قال الشيخ الشنقيطي ـ رحمه اللَّه ـ :

« سبب الملك بالرقّ : هو الكفر ، ومحاربة اللَّه ورسوله ، فإذا أقدر اللَّه المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم ، وجميع قواهم ، وما أعطاهم اللَّه لتكون كلمة اللَّه هي العليا علىٰ الكفار جعلهم ملكًا لهم بالسبي ، إلا إذا اختار الإمام المنّ أو الفداء لما في ذلك من المصلحة علىٰ المسلمين .

وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة ، وذلك أن اللَّه جل وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ، ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه : كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ** ﴾[1] .

وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة كما قال : ﴿ **وإن تعدوا نعمة اللَّه لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ وفي الآية الأخرىٰ في « سورة النحل » : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم** ﴾ وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ فتمرّد الكفار علىٰ ربهم وطغوا وعتوا ، وأعلنوا الحرب علىٰ رسله لئلا تكون كلمته هي العليا ، واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربته ، وارتكاب ما يسخطه ، ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره ، وهذا أكبر جريمة يتصورها الإنسان .

فعاقبهم الحكم العدل اللطيف جل وعلا عقوبة شديدة تناسب جريمتهم ، فسلبهم التصرف ، ووضعهم من مقام الإنسانية إلىٰ مقام أسفل منه كمقام الحيونات ، فأجاز بيعهم وشراءهم وغير ذلك من التصرفات المالية ، مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلبًا كليًا ، فأوجب علىٰ مالكيهم الرفق والإحسان إليهم ، وأن يطعموهم مما يطعمون ، ويكسوهم مما يلبسون ، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، وإن كلّفوهم أعانوهم ، كما هو معروف في السنة الواردة عنه ﷺ ، مع الإيصاء بهم في القرآن ؛ كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانًا وبذي القربي واليتامى** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وما ملكت أيمانكم** ﴾ .

---

(١) سورة الذاريات الآيتان (٥٦ ، ٥٧) .

ولو فرضنا ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ أن حكومة من هذه الحكومات التي تنكر الملك بالرّق ،وتشنع في ذلك على دين الإسلام ، قام عليها رجل من رعاياها كانت تغدق عليه النعم ، وتسدي إليه جميع أنواع الإحسان ، ودبّرعليها ثورة شديدة يريد بها إسقاط حكمها ،وعدم نفوذ كلمتها ، والحيلولة بينها وبين ما تريده من تنفيذ أنظمتها التي يظهر لها أن بها صلاح المجتمع ، ثم قدرت عليه بعد مقاومة شديدة فإنها تقتله شر قتله .

ولا شك أن ذلك القتل يسلبه جميع تصرفاته وجميع منافعه ؛ فهو أشد سلبًا لتصرفات الإنسان ومنافعه من الرق بمراحل .

والكافر قام ببذل كل ما في وسعه ليحول دون إقامة نظام اللّه الذي شرعه؛ ليسير عليه خلقه فينشر بسببه في الأرض الأمن والطمأنينة والرخاء والعدالة والمساواة في الحقوق الشرعية ، وتنتظم به الحياة على أكمل الوجوه وأعدلها وأسماها ﴿ **إن اللّه يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ فعاقبه اللّه بهذه المعاقبة بمنعه التصرف ، ووضع درجته وجريمته تجعله يستحق العقوبة بذلك .

فإن قيل : إذا كان الرقيق مسلمًا فما وجه ملكه بالرّق ؟ مع أن سبب الرق الذي هو الكفر ومحاربة اللّه ورسله قد زال ؟

فالجواب : أن القاعدة المعروفة عند العلماء وكافة العقلاء : أن الحق السابق لا يرفعه الحق اللاحق، والأحقية بالأسبقية ظاهرة لا خفاء بها ، فالمسلمون عندما غنموا الكفّار بالسبي : ثبت لهم حق الملكية بتشريع خالق الجميع ، وهوالحكيم الخبير .

فإذا استقرّ هذا الحق وثبت ، ثم أسلم الرقيق بعد ذلك كان حقه في الخروج من الرق بالإسلام مسبوقًا بحق المجاهد الذي سبقت له الملكية قبل الإسلام ، وليس من العدل والإنصاف رفع الحق السابق بالحق المتأخر عنه ،

كما هو معلوم عند العقلاء .

نعم ، يحسن بالمالك ويجمل به أن يعتقه إذا أسلم ، وقد أمر الشارع بذلك ورغب فيه ، وفتح له الأبواب الكثيرة ـ كما قدمنا ـ فسبحان الحكيم الخبير ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلاً لا مبدل لكلماته وهوالسميع العليم** ﴾ فقوله ﴿ **صدقًا** ﴾ أي : في الأخبار وقوله : ﴿ **عدلاً** ﴾ أي : في الأحكام .

ولا شك أن من ذلك العدل : الملك بالرّق وغيره من أحكام القرآن .

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[(١)]

● عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« **من أعتق رقبة مسلمة، أعتق اللّه له بكل عضو منها عضواً من النار حتى فرجه بفرجه** »[(٢)] .

● وعن أبي نُجيح السلمي قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« **أيما رجل مسلم أعتق رجلاً مسلماً ، فإن اللّه تعالى جاعل وقاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار ، وأيما امرأة أعتقت امرأة مسلمة فإن اللّه تعالى جاعل وقاء كل عظم من عظامها عظماً من عظام محررتها من النار يوم القيامة** »[(٣)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « **من أعتق رقبة مؤمنة أعتق اللّه بكل إرب منها إرباً منه من النار** »[(٤)] .

● وقال رسول اللّه ﷺ : « **إيما امرئ مسلم أعتق امراءاً مسلماً فهو فكاكه**

---

(١) « أضواء البيان » للشنقيطي (٣/ ٣٨٧ـ٣٨٩) .

(٢) رواه الشيخان ، والترمذي .

(٣) صحيح : رواه أبو داود ، وابن حبان في « صحيحه » وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٧٢٣) ، وكذا أخرجه أحمد ، والطحاوي .

(٤) رواه مسلم .

من النار، يُجزي بكل عظم منه عظماً منه ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فهي فكاكها من النار يجزي بكل عظم منها عظماً منها ، وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين فهما فكاكه من النار ، يُجزي بكل عظمتين منهما عظماً منه»[(١)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من أعتق رقبة مؤمنة كانت فداؤه من النار** »[(٢)] .

وقال ﷺ : «**عتق النسمة أن تنفرد بعتقها،وفكّ الرقبة أن تُعين فى عتقها**»[(٣)] .

الصديق وعتقه لكرام الرجال :

قالت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ : « أعتق أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ سبعة مِمّن كان يُعذّب في اللَّه عزّ وجل ، منهم بلال وعامر بن فهيرة »[(٤)] .

● وقال قيس بن أبي حازم : اشترىٰ أبو بكر بلالاً ـ رضي اللَّه عنه ـ بخمسة أواق وهومدفون بالحجارة ، قالوا :لو أبيْت إلا أوقية لبعناه ، فقال: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته»[(٥)] .

● ورضىٰ اللَّه عن عمر بن الخطاب حين يقول : « أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالاً ـ رضي اللَّه عنه ـ »[(٦)] .

---

(١) صحيح : أخرجه الطبراني في « الكبير » عن عبد الرحمن بن عوف ، وأبو داود ، وابن ماجه ، والطبراني في « الكبير » عن مُرّه بن كعب ،والترمذي عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٦٩٧) .
وقال ابن حجر في « الفتح » (٥/ ١٧٥) : « إسناده صحيح » .

(٢) صحيح : رواه أحمد ، وأبو داود ،والنسائي عن عمرو بن عبسة ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٢٦) .

(٣) صحيح :رواه الطيالسي عن البراء ، ورواه أحمد وابن حبان في « صحيحه » ، والطحاوي، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٨٧١) .

(٤) إسناده صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٧٣) في «مصنفه» والحاكم وصححه وأقرّه الذهبي .

(٥) إسناده صحيح : أخرجه ابن سعد في « طبقاته » ، وأبو نعيم في« الحلية » .

(٦) إسناده صحيح : أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وأبو نعيم في «الحلية» .

● وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - أن أبا بكر دخل على رسول اللَّه ﷺ فقال: « **أنت عتيق اللَّه من النار** » قاله لأبي بكر[١] .

حكيم بن حزام يعتق مائة رقبة وهو واقف بعرفة :

كان حكيم بن حزام - رضي اللَّه عنه - يقف بعرفة ومعه مئة بدنة مقلّدة، ومائة رقبة فيعتق رقيقه فيضج الناس بالبكاء والدعاء يقولون : ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده ونحن عبيدك فأعتقنا»[٢]، وروي مثل هذا عن الرشيد.

ابن عمر - رضى اللَّه عنهما - يعتق ألف إنسان :

عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر : ما لعن ابن عمر خادمًا له إلا مرة فأعتقه.

وقال عبد اللَّه بن دينار : خرجت مع ابن عمر إلى مكة ، فعرسنا فانحدر علينا راع من الجبل فقال له ابن عمر : أراع ؟ قال : نعم ، قال : بعني شاة من الغنم، قال : إني مملوك ، قال : قل لسيدك أكلها الذئب ؟ قال : فأين اللَّه عز وجل؟ قال ابن عمر : فأين اللَّه !! ثم بكى ، ثم اشتراه بعد فأعتقه ، وفي رواية ابن أبي رواد عن نافع : أعتقه واشتري له الغنم.

● وعن محمد بن زيد أن ابن عمر كاتب غلامًا له بأربعين ألفًا، فخرج إلى الكوفة فكان يعمل على حُمر له حتى أدىٰ خمسة عشر ألفًا ، فقال : أمجنون أنت؟ أنت ههنا تعذب نفسك وابن عمر يشتري الرقيق يمينًا وشمالاً ثم يعتقهم، ارجع إليه فقل عجزتُ ، فجاء إليه بصحيفة ، فقال :

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي والطبراني في « الكبير » والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، والحديث جيد الإسناد ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (١٥٧٤) .

(٢) « لطائف المعارف » لابن رجب .

يا أبا عبد الرحمن قد عجزت وهذه صحيفتي فامحها ، فقال : لا ، ولكن امحها أنت إن شئت ، فمحاها ، ففاضت عينا عبد اللَّه ، وقال : اذهب فأنت حر .

قال : أصلحك اللَّه ، أحسن إلىٰ ابنيّ ، قال : هما حرّان ، قال : أصلحك اللَّه أحسن إلىٰ أميّ ولديّ قال : هما حرتان .

● وعن محمد العمري قال : أعطىٰ عبد اللَّه بن جعفر ابن عمر بنافع عشرة آلاف ، فدخل علىٰ صفية امرأته فحدّثها ، قالت : فما تنتظر ؟ قال : فهلاّ ما هوخير من ذلك هو حرّ لوجه اللَّه ، فكان يخيّل إليّ أنه كان ينوي قول اللَّه : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[(١)] .

● وعن نافع قال : ما مات ابن عمر حتىٰ أعتق ألف إنسان أو زاد[(٢)] .

زين العابدين على بن الحسين :

لما حدثّ سعيد بن مرجانة صاحب علي بن الحسين ـ رضي اللَّه عنهما ـ الحديث عن أبي هريرة عن رسول اللَّه ﷺ : « **أيما رجل أعتق امرءًا مسلماً استنقذ اللَّه بكل عضو منه عضواً من النار** » .

قال سعيد : فانطلقت به إلىٰ عليّ بن الحسين ، فعمد علي بن الحسين إلىٰ عبد له قد أعطاه به عبد اللَّه بن جعفر عشرة آلاف درهم ـ أو ألف دينار ـ فأعتقه . رواه البخاري .

ونختم بختام المسك : عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ :

يُمضي ـ رضي اللَّه عنه ـ مع نفسه موثقًا لا يُخلفه طوال حياته : هوأن يُعتق كل جمعة عبدًا ، ويحرِّر رقبة . . . يشتري العبد من سيده بأيّ ثمن ، ثم يهبه حرّيته مبتغيًا وجه ربه الأعلىٰ[(٣)] .

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٢) .
(٢) انظر ترجمة ابن عمر في « السير » .
(٣) « خلفاء الرسول » لخالد محمد خالد (ص٢٤٥) .

رجـــل يحمـــي انســـحاب جيـــش المســـلمين حتـــى نجـــوا

رجل يحمي انسحاب جيش المسلمين حتى نجوا

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **سبعة في ظل العرش ، يوم لا ظل إلا ظله ، رجل ذكر اللَّه ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، من شدّة حبه إياها ، ورجل يحب عبداً لا يحبه إلا للَّه ،وإمام مقسط فى رعيته ، ورجل يعطي الصدقة بيمينه ، يكادُ يُخفيها عن شماله ، ورجل عرضت عليه امرأة نفسها، ذات منصب وجمال ، فتركها لجلال اللَّه ، ورجل كان في سريّة مع قوم، فلقوا العدو ، فانكشفوا ، فحمى آثارهم ، حتى نَجُوا ، ونَجَى أو استُشهِد**»[1] .

خالد سيف اللَّه يحمي انسحاب المسلمين من مؤتة وهذا فتح ونصر عظيم :ـ

عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ : أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم ، فقال : « **أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب** ـ وعيناه تذرفان ـ **حتى أخذ الراية سيف من سيوف اللَّه حتى فتح عليهم** »[2] .

وفي هذه المعركة العظيمة يخلع رسول اللَّه ﷺ أرفع وسام على صدر

---

(١) حديث حسن : روته أم الفضل بيبَي الهَرْثمية في جزئها ، وأبو نعيم من هذا الطريق في فضل العادلين.

قال شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني :هذا حديث حسن ، غريب جداً في غالب ألفاظه ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع ».

(٢) رواه البخاري والنسائي وأحمد ،وأبويعلي ، والبيهقي .

خالد وهوينسحب بجيش المسلمين ، فكيف يسمي رسول اللَّه ﷺ خالد بن الوليد سيف اللَّه وهوينسحب ـ لهذا ـ سبب أرق من نسيم الفجر وأحلى من الشهد :

فقد كانت معركة « مؤتة » أول معركة يشترك فيها خالد بعد إسلامه ، وبعد قتل قادة الجيش الثلاثة وانكشاف صف المسلمين كما قال أبو عامر : انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط ، حتى لم أر اثنين جميعًا .

ودفع ثابت بن أقرم اللواء إلى أبي سليمان خالد بن الوليد قائلاً : « خذ اللواء يا أبا سليمان ، فأنت أدرى بالقتال مني ، واللَّه ما أخذته إلا لك » .

وتلقى خالد اللواء ،وأصبح قائدًا عامًا لقوات المسلمين في أصعب ظروف . . . جيش أنهكه القتال الشديد الضاري طيلة الأيام الستة . . . ثلاثة آلاف مسلم يواجهون جيشًا قوامه مائتا ألف مقاتل ، جيش قد انفرط عقده وفقد تنظيمه ، موقف جعل هذا الجيش مُهيّأ لأن يُدمَّر تدميراً كاملاً ، أو يقع بكامله أسيراً في قبضة الرومان وأحلافهم من العرب .

واعتلى العبقري جواده ، ودفع الراية بيمينه إلى الأمام ، كأنما يقرع بها أبوابًا مغلقة آن لها أن تُفتح ، على طريق طويل لاحب سيقطعه البطل وثبًا وثبًا في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته ، حتى تبلغ المقادير به أمرًا كان مقدوراً .

وقد كانت خطة انسحاب خالد بالجيش رائعة . . . فقد قام بتبديل كليٍّ في الميمنة والميسرة والقلب من جيشه ، فجعل رجال ميمنة الجيش مكان رجال الميسرة ، كما جعل رجال الميسرة مكان رجال الميمنة ، كما استبدل رجال القلب برجال آخرين ، كل هذا في ظلام الليل ، وجعل مقدمة الجيش ساقة ،وساقته مقدمة ، أي أنه سحب جيشه من ساحة المعركة ، وأبقى ساقة تحمي الانسحاب ، نشر هذه الساقة ليحتل فرسانها مساحة شاسعة من الأرض ، وأمرهم أن يحدثوا أصواتًا مرتفعة بما لديهم من أبواق

وطبول حربية ،و إثارة الغُبار بالخيل تدور بسرعة في دوائر ضيقة ، كل هذا ليدخل في نفوس قادة الروم ويوهمهم أن جيشًا جديدًا ومددًا كبيرًا قد جاء لجيش المسلمين .

هذه هي الخطة التي وضعها القائد المحنّك الفذّ ، فأنقذ بها جيش الإسلام من فناء محقق .

فقد وجد الرومان أنفسهم ـ أثناء تقابل الصفوف في اليوم السابع ـ أمام قادة وجنود وهيئات ورايات غير التي كانوا يواجهونها في الصفوف الأولى أثناء القتال في الأيام الستة الماضية .

ووجد الرومان غبارًا يسدّ الأفق من بعيد ناحية الجزيرة خلف ظهر الجيش الإسلامي ، ودوّت أصوات التهليل والتكبير ، منبعثة من بين ثنايا ذلك الغبار الذي حجب الأفق ، ثم انشقّ هذا الغبار عن كتائب من الفرسان، تتبع إحداهما الأخرىٰ في تنسيق وإحكام راكضة نحو المسلمين في مؤتة ، قد رجفت الأرض رجفًا لوْقع حوافرخيلها المنطلقة ، وأصوات فرسانها تصمّ آذان الرومان بالتهليل والتكبير ،واهتز معسكر المسلمين المواجه للرومان بالتهليل والتكبير ، ودبّ الفزع في نفوس الروم وسادهم الهرج والمرج ، ولسان حالهم يقول : إذا كان ثلاثة آلاف قد فعلوا بالرومان هذه الأفاعيل طيلة الأيام الستة ، فما عساهم فاعلين بعد مجيء هذا المدد؟! .

وأدرك خالد بحسّ القائد المحنّك ما أصاب الرومان وحلفاءهم من خوف ورعب نتيجة خدعته الحربية البارعة المحكمة ، فاغتنمها فرصة فأمر في الحال بالهجوم علىٰ خطوط الرومان ، وبأسلوب عام صاعق كاسح فتمّ له ما أراد .

وتضعضعت خطوط الروم الأمامية ،وركبهم المسلمون ، وأحدثوا

فيهم مقتلة عظيمة ، كانت بكل معاني الكلمة « مذبحة » وصفها الواقدي في كتابه « المغازي » بقوله : « فرُعبوا فانكشفوا منهزمين ، فقتلوا مقتلة لم يُقتلها قوم قط »[١] .

وقال ابن سعد في « طبقاته » : ثم أخذ خالد اللواء ، ثم حمل على القوم، فهزمهم اللَّه أسوأ هزيمة رأيتها[٢] قط ، حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا »[٣] .

كان القتال ضاريًا ، خاضه المسلمون بحنق وغيظ ، وكان الرومان في تراجعهم أمام هجوم خالد يقاتلون بشراسة ، وليس أدلّ على عنف المعركة من قول خالد نفسه : « لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية »[٤] .

ولّما كان هدف القائد خالد من كل الأعمال والخدع الحربية التي لجأ إليها هوأن يؤمن لجيش الإسلام انسحابًا منظمًا من مؤتة اغتنم فرصة ارتباك الرومان واضطرابهم واعتقادهم أن المسلمين قد تلقوا نجدة من المدينة ، فأصدر أوامره إلى قادة الفرق والكتائب في جيش الإسلام بالارتداد بالجيش نحو الجنوب على تعبئة وانتظام كما هو متفق عليه بينه وبين هيئة أركان حربه عند وضع الخطة لهذا الانسحاب في الليل .

فأخذ الجيش الإسلامي يغادر ميدان المعركة في مؤتة منسحبًا بكل هدوء وضبط وانتظام ويقظة .

---

(١) « مغازي الواقدي » (٢/ ٧٦٤) .

(٢) الراوي هنا أبوعامر الصحابي .

(٣) « الطبقات الكبرى » (٢/ ١٣٠) ،و«مؤتة» لمحمد أحمد بشاميل (ص٢٠٧) من كتاب « سلسلة معارك الإسلام الفاصلة » .

(٤) رواه البخاري وأحمد في « فضائل الصحابة » ،وابن سعد ، والطبراني في « الكبير » ، والحاكم في « المستدرك» .

وأشرف خالد نفسه على عملية الانسحاب ، فكان يجول بفرسه بين الكتائب والفرق المنسحبة ليظل النظام سائداً أثناء الانسحاب ولتظل روح الجند والقادة ومعنوياتهم عالية ، فلا يدركهم الخوف فيسودهم الاضطراب والفوضى .

وتمت عملية الانسحاب من مؤتة كما قدّر وأراد القائد البطل خالد ، تمّت على أدقّ نظام ودونما أية خسارة - وذهل الروم أمام هذه المفاجأة والخدعة الحربية البارعة - ، وما استطاعوا أن يتعقبوا المسلمين أثناء انسحابهم مسافة ستمائة ميل ، وخافوا أن يكون الانسحاب مكيدة حربية جديدة يديرها القائد خالد لإيقاع الجيش الروماني - إذا ما تتبع المنسحبين المسلمين - في كمائن قد أعدّها مقدمًا ، فأحجمت القيادة الرومانية لذلك عن تعقب المسلمين .

ووصل الجيش سالمًا إلى ضواحي المدينة « الجرف » .

وجعل أهل المدينة يصيحون بالجيش « يا فُرّار . . . فررتم » ويحثون في وجوه الجند والقادة التراب ، وأتت كلمة الوحي ناصعة تردّ الأمر إلى موضعه، فقد قال الرسول ﷺ : « **ليسوا بفرّار ،ولكنهم الكرّار في سبيل الله** » وتكفي شهادة الرسول ﷺ شهادة .

ولقد برهن الرسول الأعظم ﷺ على أنه قمّة في المعرفة بأقدار الرجال حين منح القائد خالد بن الوليد لقب « سيف اللّه » في الوقت الذي تلّقى فيه جمهور المدينة خالداً وجيشه بالحجارة يقذفونهم بالحجارة ويحثون التراب في وجوههم ساعة عودتهم من المعركة .

وما فعله خالد في انسحابه يمثل أعلى درجات النصر ، هذه حقيقة تؤكد صحتها كل الأعراف والمقاييس العسكرية في كل زمان ومكان .

وعلم المسلمون بَعْدُ قدر تضحية خالد وبذله ، وأن انسحابا كهذا كان

من الاستحالة بمكان ، ولكن لا مستحيل على القلب الشجاع ، ومن أشجع من أبي سليمان قلبًا ، وأروع عبقرية وأنفذ بصيرة ؟!

إيه يا بطل كل نصر ، ويا فجر كل ليل ، إيه يا خالد .

إنّ روح أبي سليمان وريحانه ليُوجدان دائما وأبدًا حيث تصهل الخيل ، وتلتمع الأسنّة ، وتخفق رايات التوحيد فوق الجيوش المسلمة .

لقد كان يعلو بروح جيشه على أهوال الزحف بقوله لجنده : « عند الصباح يحمد القوم السرى » حتى ذهبت عنه مثلاً ، وها هو ذا قد أتمّ مسراه فلصباحه الحمد ، ولذكراه المجد والعطر ، والخلد وظلال العرش .

المثنى بن حارثة الشيباني ينقذ ستة آلاف من المسلمين في معركة الجسر من هلاك محقق ويحمي إنسحابهم :ـ

للَّه در ذلك البطل الذي جرّأ العرب والمسلمين على مهاجمة الإمبراطورية الساسانية « إمبراطورية الفرس » ومهّد لفتح العراق ، البطل الذي صدق فيه قول قيس بن عاصم المنقري : « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد » هذا البطل الذي أرسل إلى كسرى ، وقال له : « الحمد للَّه الذي ردّ كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنازير »(١) .

يذكر التاريخ بكل الفخر موقف المثنى في موقعة « الجسر » ١٣ شعبان ١٣ هـ بعد استشهاد قائد المسلمين أبي عُبيد الثقفي وخلفائه الثقفيين السبعة ، وبدأ تراجع المسلمين وتحوّل التراجع إلى هزيمة كاملة ، حيث أخذ المسلمون يفرّون عبر الجسر العتيق المعتل نحو الضفة الغربية ، وبينما المثنى ابن حارثة ينظم الثابتين بعد توليه قيادة جيش المسلمين ـ ويدعوا الفارين إلى

(١) « تاريخ الطبري » (٢/٦٠٦) ،وابن الأثير (٢/ ١٦٠) : وذلك لما أرسل إليه كسرى رسالة قال له فيها : « إني قد بعثت إليكم جندًا من وحش أهل فارس ، وإنما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك إلا بهم» .

الثبات ، إذا سارع رجل من ثقيف إلى الجسر فينتسفه ويقطعه ، واغتبط الفُرْس لهذا العمل السيء الذي قام به عبد اللَّه بن مرثد الثقفي وجماعته ، وأيقنوا أن هزيمة المسلمين قد تحققت ، وأنها لم تعد هزيمة بل ستكون كارثة يباد فيها جميع رجال الجيش الإسلامي الذي عمّته الهزيمة والذي أصبح لا مفرّ لرجاله من الموت بعد أن انتسفوا الجسر ، ووقف المتهوّرون من ثقيف يمنعون الناس من الانسحاب بسلام .

وكان بهمن جاذويه قائدًا ماكرًا ومحاربًا ممتازًا وخبيرًا بالحرب النفسية ، فأمر مجموعة كبيرة من قواته بتوجيه الضغط ناحية الجسر المخرّب لئلا يحاول أحدٌ إصلاحه ، وأن يقتلوا كل من يقترب من الجسر من المسلمين للهرب والذين لم يعد يهمهم إلا النجاة بأنفسهم بعد أن أصبحت هزيمة المسلمين يوم الجسر هزيمة كاملة .

ولما رأى المسلمون أن لا سبيل إلى العبور والانسحاب عبر الجسر بعد تخريبه من قبل الرجل الثقفي وأن الفرس محتشدون حول الجسر ، صاروا يقذفون بأنفسهم في النهر محاولين الوصول إلى الشاطيء الغربي من النهر ، ولكن أكثرهم لا يجيد السباحة ، فغرق منهم في النهر حوالي ألفين استشهدوا غرقًا .

وهكذا بهذه الورطة التي أحكمها على المسلمين تخريب الرجل الثقفي الجسر ، كانت هزيمة المسلمين التي ستكون نهايتها إبادتهم جميعًا إذا لم يحدث ما يشبه المعجزة ويُعاد إقامة الجسر من جديد .

وقد حدث فعلاً ما يشبه المعجزة إذْ سارع البطل المغوار الذي لا تعرف نفسه الجزع المثنى بن حارثة تسانده نخبة من خيرة الصحابة وزعماء القبائل من أهل النجدة والصبر والبأس لإصلاح الجسر ومقاتلة الفرس الذين احتشدوا بقصد منع إصلاحه وكان منهم : عروة بن مسعود الثقفي ،

وعاصم بن عمرو التميمي ، ومذعور بن عدي العجلي ، والفارس الشهير الكلج الضبي ، وعروة بن زيد الخيل الطائي ، وسليط بن قيس الأنصاري والواحد منهم يقوم مقام مائة فارس ، وطلب المثنىٰ من هؤلاء الأبطال أن يكونوا إلىٰ جانبه لمقاتلة الفرس الذين أوكل إليهم بهمن جاذويه منع المسلمين من العبور إن هم تمكنوا من إصلاح الجسر ولو جزئيًا .

ولما كان لا بد من إقامة الجسر لينسحب الباقون أحياء من المسلمين نادىٰ المثنىٰ الذين تمكنوا من العبور إلىٰ الشاطيء الغربي أن يأتوا في الحال بخبراء من الفرس ممن هم في ذمتهم وصلحهم لإصلاح الجسر ، فأُحضروا في الحال وقام هؤلاء العجم في الحال بإقامة الجسر .

وفي الوقت نفسه كان المثنىٰ والأبطال الذين اختارهم حماة له ومعهم جمهرة من المسلمين يقاتلون الفرس الذين كلفهم القائد بهمن جاذويه بمنع المسلمين من العبور إذا تمكنوا من إعادة الجسر .

فقد قاتلهم المثنىٰ ورجاله في شجاعة تفوق الخيال فأعملوا فيهم السيوف باستماتة حتىٰ دحروهم وأفسحوا المجال للمنسحبين أن يعبروا إلىٰ الشاطيء الغربي ، وسقط الكثير شهداء ، وجُرح المثنىٰ نفسه جرحًا مميتًا عند الجسر ولكنه ربط جرحه وبدأ الأحياء من المسلمين العبور وهم في حالة قلق من الفرس ، هنا برز البطل الأسد الهصور القائد العام الجريح « المثنىٰ» وسط المعمعة علىٰ صهوة جواده عند الجسر كالطود الشامخ في درعه الذي هتكته الرماح ودمه يسيل ، وقف يصيح في المسلمين يطلب منهم الانسحاب عبر الجسر « أيها الناس ! أنا دونكم ، فاعبروا علىٰ هيّنتكم[١] ، ولا تدهشوا فإنّا لن نزايل[٢] ، حتىٰ نراكم في ذلك الجانب ، ولا تُغرقوا أنفسكم»[٣] .

---

(١) أي متَمَهِّلون .

(٢) أي لن نتحرك من مكاننا يعني نفسه ورجال حماية العبور .

(٣) « تاريخ الطبري » (٣/ ٥١) .

وهكذا بفضل اللَّه ثم بشجاعة وثبات وتدبر المثنىٰ تمّتْ عملية عبور بقية الجيش المنهزم ، ونجا ستة آلاف من موت كان محققًا لولم يوفق اللَّه المثنىٰ لإصلاح الجسر الذي دفع حياته الغالية ثمنًا لإصلاحه لأنه - رضي اللَّه عنه - مات بعد أكثر من شهرين متأثرًا بالجرح الخطير الذي أصابه عند الجسر، وبعد أن كمل الانسحاب ولم يبق مسلم في مكان المعركة كان آخر من انسحب الأسد الهصور المثنىٰ ، كان ينسحب ووجهه نحو الفرس يقتلهم وظهره إلىٰ الشاطيء الغربي ، ولم يستطع أحد من الفرس الاقتراب منه ، ومن جرؤ علىٰ الاقتراب منه صرعه بسيفه حتىٰ وصل الجانب الغربي من النهر .

وفي اليوم الثاني للمعركة ٢٤ شعبان يعلم المثنىٰ بخروج قائدين كبيرين من قادة الفرس وهما جابان ومراد نشاه قد خرجا لنزهة علىٰ الخيل مع مجموعة من حرسهم الخاص في منطقة ألّيس فقرر برغم جرحه الغائر أن يتولىٰ بنفسه أمر هذين القائدين ، واصطادهما الأسد وضرب أعناقهم في الحال .

وما مات المثنىٰ حتىٰ ثأر لقتلىٰ المسلمين في معركة الجسر في معركة البويب ١٣ رمضان وقتل من الفرس مائة ألف ، ولقىٰ ربه شهيدًا متأثرًا بجرحه في معركة الجسر .

• وحق للمسلمين اليوم أن يقولوا كما قالت زوجة المثنىٰ سلمىٰ: «وامثناه ! ولا مثني اليوم للخيل »[1] ، « وامثناه ولا مثنىٰ للمسلمين اليوم »[2][3] .

---

(١) « تاريخ الطبري » (٣/ ٥١) .

(٢) « أسد الغابة » (٤/ ٢٩٩) .

(٣) انظر « قادة فتح العراق والجزيرة » للواء محمود شيت خطّاب ،و« القادسية ومعارك العراق» لمحمد أحمد بشاميل (٣٥٦ـ٣٧٧) .

معروف الحضرى بطل الإخوان فى حرب فلسطين ١٩٤٨ يحمي هو ورجاله الجيش المصري ويؤمن انسحابه :ـ

رحم اللَّه الإمام حسن البنا ورجاله ، طيف من النور ألمّ بهذه الدنيا إلمام الغريب الطاريء أو الضيف العابر ثم تركها ومضى ، ماذا يأخذ الطيف من الدنيا حين يلمّ بها قدسيًا من عالم الفدس ، نورانيًا من عالم النور ؟ أو ماذا يجمع لنفسه منها ؟ لا شيء وماذا يترك الطيف من هذه الدنيا حين يلمّ بها ؟

إنه يترك كل شيء حين يترك للضمائر نورها ، وللنفوس قدسها وطهرها ، وهذا كان حسن البنا :

طب أرواح ، فلا تخفى عليه خافيـة
بابسط الصدر بعيد الغور شهم داعية

وللَّه در الأميري حين يصفه فيقول :

وإذا الـداعي دعـا ... لجهـاد همّتـه
وعلى البـاغي علـى ... أيّ حـق غضبتـه
قلـت هـذا قَسْوَر ... هاج يزجي ضربتـه
وهـو في الواقـع شهم ... ثـار يحمـي أمّتـه
صـيحـة الأجـداد في ... الأحفاد حاكت صيحتـه
وأنين المجـد في الأصفاد ... أورى ثـورتـه
أنت لو أبصـرتـه ... لقـدرت قدرتـه
بشـرٌ مـن مَـلَكٍ ... قـد تلـقى فطرتـه[١]

---

(١) لعمر بهاء الدين الأميري ـ مجلة المسلمون ـ العدد الثاني نقلاً عن « موسوعة الشهداء » لعبد الحليم الكناني (ص١٧٠) .

سيذكر التاريخ بكل الفخر والإعزاز الموقف المشرف للإخوان ولبطلهم معروف الحضري موقفهم البطولي في حماية الجيش المصري أثناء حصاره آلاف من أبنائه في الفالوجا كان من بينهم جمال عبد الناصر وسيسجل الزمان بمداد من نور الدور البارز لهم في تأمين الجيش المصري أثناء انسحابه وشهادة قيادة القوات المصرية في فلسطين اللواء أحمد المواوي واللواء فؤاد صادق .

أثناء حصار الفالوجا :

حاصر اليهود ٥٠٠٠ جندي في الفالوجا في (١٦/ ١٠/ ١٩٤٨) وظلّت محاصرة حتى نهاية الحرب .

وفي (١٣/ ١١/ ١٩٤٨) وعندما ساءت أحوال القوة المحاصرة . . . استنجدت قيادة الجيش بقوات الإخوان التي غامرت باختراق الحصار اليهودي في رحلتين على الجمال ، تحت قيادة المجاهد معروف الحضري ، ونجحوا في إيصال أكثر من مائة صندوق من المؤن إليهم واستقبلهم الضباط والجنود بفرحة لا توصف على حد تعبير اللواء سيد طه قائد القوات ، وقال جمال عبد الناصر : « إن الجيش كله لن ينسى ما قام به الإخوان » .

• الهدنة الثانية أو ثالثة الأثافي واحتلال اليهود للعسلوج واسترداد الإخوان لها :

في أثناء الهدنة اغتنم اليهود الأمر ، وهاجموا قرية العسلوج حيث كانت ترابط قوة صغيرة من جنود الإخوان يقودها المجاهد عبد المنعم عبد الرءوف ، ولم تصمد القوة الصغيرة طويلاً أمام هذا الهجوم المباغت ،

ومما يذكر أن ثلاثة من المجاهدين وهم رشاد زكي ، ومحمد ماهر ، وعبد اللَّه البتانوني كان القائد قد وكلّ إليهم مهمة حراسة مخازن الذخيرة وكانت المخازن مليئة بالأسلحة والذخائر ، إذ كانت هذه القرية هي مستودع الذخيرة الذين يُموِّن المنطقة ، وأفاق المجاهدون فوجدوا العدو داخل الموقع وسمعوه يحاول احتلال المخازن ،وقرروا نسف المخازن حين يدخلها العدو ، واختبأوا خلف كومة من الصناديق حتى امتلأ المخزن بالجنود اليهود ، ثم أشعلوا النار في صناديق المفرقعات ، وفي لحظة استحال البناء الضخم إلى كومة من الأنقاض ، ومات الأبطال الثلاثة بعد أن جرّوا العدو الغادر إلى كارثة مدمرة .

ولما احتل اليهود العسلوج ولها أهمية كبرى بالنسبة لخطوط المواصلات، وكانت رياسة الجيش تهتم كل الاهتمام باسترجاع هذه البلدة، حتى أن رئيس هيئة أركان الحرب أرسل إلى اللواء أحمد المواوي القائد العام إشارة هامة يقول فيها : « لابد من استرداد العسلوج بأي ثمن » .

يقول اللواء المواوي : وكانت الخطة التي رسمتها لاسترجاع هذه البلدة هي الهجوم عليها من كلا الطرفين من الجانبين ، فكلّفت المرحوم أحمد عبد العزيز بك بإرسال قوة من الشرق من المتطوعين (الإخوان) وكانت صغيرة بقيادة ملازم ،وأرسلت قوة كبيرة من الغرب تعاونها جميع الأسلحة ولكن القوة الصغيرة (أي متطوعي الإخوان » هي التي تمكنت من دخول القرية والاستيلاء عليها .

ولما سئل اللواء المواوي عن السبب في تغلّب القوة الصغيرة ونجاحها وإخفاق الأخرى قال : « القوة الغربية كانت من الرديف وضعفت روحهم

المعنوية بالرغم من وجود مدير العمليات الحربية فيها إلا أن المسألة ليست مسألة ضباط ، المسألة مسألة روح .

وهكذا تحررت « العسلوج » على يد قوة من الإخوان بقيادة الملازم الأخ يحيى عبد الحليم .

معركة التبة ٨٦ :

كان هدف اليهود منها كما جاء في الأمر اليومي الذي أصدره إيجال ألون إلى جنود الجبهة الجنوبية يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨ هو من أجل القضاء النهائي على جيش مصر وأراد اليهود قطع طرق المواصلات الرئيسية للقوات المصرية باحتلال التبة ٨٦ إذ باحتلالها تُطوق القوات المصرية تمامًا ويقضي عليها .

وانتهز اليهود الهدنة وفاجأوا القوات المصرية بهجوم غادر على التبة مساء ٢٢ ديسمبر حيث قاموا بضربها ضربًا محكمًا مركزًا بالمدفعيات والهاونات ، ثم قام العدو بعد ذلك باقتحامها واحتلال المواقع الدفاعية الهامة في سفحها ولم يأت فجر ٢٣ ديسمبر إلا وكان قد أتم احتلالها تقريبًا .

وأحيط بالجيش المصري من كل جانب ، المدفعية تصليه بنيرانها ، والقناصة تتصيد الضباط والمصفحات تطوقه .

وتحدث الأمير محمود رأفت إلى كامل الشريف المسئول عن الإخوان في ساعة متأخرة من ليل ٢٣ وطلب منه أن يستعد الإخوان ليكونوا آخر ورقة يقذف بها وجه العدو .

وانطلق المجاهدون وهم ينشدون نشيدهم المعروف .

هو الحق يحشد أجناده ويعتدّ للموقف الفاصل

فصفّوا الكتائب آســـــاده   ودكّــوا به دولة البـــاطـــل

وتمكنت قوة المجاهدين من احتلال أطراف خنادق العدوّ وأخذت تطهرها جزءًا جزءًا ثم أكمل الجيش مهمته وانتهت المعركة بنصر حاسم . ووجد ضمن القتلىٰ عدد من كبار الضباط الإسرائيلين وبينهم قائد المعركة وهو « كولونيل » روسي يحتل مركزًا هامًا في الجيش الإسرائيلي ووجدت في جيبه تفاصيل الخطط المقبلة التي كان يراد منها إلقاء الجيش المصري في أعماق البحر .

وطالب اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية في فلسطين الحكومة بالإنعام بأوسمة عسكرية رفيعة علىٰ الإخوان إشادة بفضلهم واعترافًا بجهادهم .

يا سبحان اللّٰه !

في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨ صدر قرار سحب مجاهدي الإخوان من الميدان واعتقالهم في معسكراتهم وسُلمّت الأسلحة إلىٰ قيادة الجيش .

وفي ٢٣ / ١٢ / ١٩٤٨ والإخوان يومئذ معتقلون في معسكراتهم بأوامر القيادة السياسية في القاهرة ، وفشل الجيش في استرداد التبة وهرعوا إلىٰ الإخوان لانقاذ ما تبقىٰ واستطاع مجاهدو الإخوان تحت قيادة المجاهد حسن دوح وإخوانه استرداد الموقع وتسليمه للجيش المصري ، وبعد إتمام المهمة عاد الإخوان مرة ثانية إلىٰ المعتقلات .

وكما قلنا تقدم القائد العام اللواء فؤاد صادق إلىٰ الحكومة طالبًا منح

نياشين رفعية المستوىٰ للإخوان ، ولكن الحكومة ماطلت ، غيرأن القائد الشجاع أصرّ فصدرت النشرة العسكرية في مايو ١٩٤٩ تحمل أسماء (١٥) جنديًا من الإخوان تحت اسم جماعة المتطوعين المصريين[١] .

وفي ٢٦/ ١٢/ ١٩٤٨ بعد احتلال اليهود للفالوجة وبداية انسحاب الجيش المصري من النقب كان للإخوان دور كبير في حماية الانسحاب والتصدي لليهود الذين كانوا يهدفون إلىٰ إبادة القوات المنسحبة .

وفي ١٣/ ٢/ ٤٩ تلقىٰ الإخوان نبأ اغتيال الإمام حسن البنا ، وفي ١٤/ ٢/ ٤٩ جاءت التعليمات بتسليم المعسكر الذي يقيمون فيه، وبعد انتهاء عملية التسليم ، حملتهم السيارات إلىٰ رفح للمبيت لاستئناف السير في الصباح .

وفي الصباح فوجئ الإخوان بالعنبر محاطًا بالأسلاك الشائكة ومحاصراً بقوات معها المدافع الرشاشة ، وصدور أمر باعتقال الإخوان .

وفي ٢٤/ ٢/ ٤٩ وقعت الهدنة الدائمة بين العرب اليهود في رودس .

أيكون الجزاء هكذا عند الناس في الدنيا[١] .

انظروا إلىٰ مذكرات اللواء فؤاد صادق واللواء المواوي والبطل أحمد عبـــد العزيز واكتبوا للتاريخ أن كل رجل وكل امرأة في مصر تفخر بأن يكون معروف الحضري ابنًا أو أخًا له . . . اللواء معروف الحضري الذي حمىٰ انسحاب الجيش المصري برجولة وبسالة منقطعة النظير، والذي حاول

---

(١) نقلاً عن كتاب « الإخوان في حرب فلسطين » لـ كامل الشريف .

مرات عديدة كسرحصار الفالوجا لإنقاذ الجيش المصري وفيه جمال عبد الناصر ، وأصيب معروف الحضري وتعرض للأسر ووضع في أسر اليهود فما بكى ، ورد له عبد الناصر الدَّين بوضعه في المعتقل[1] وتعرض للتعذيب والإهانة . . . والحرّ من رعى وداد لحظة . . . وبكى الأسد في سجون مصر . . . ويا لبكاء الأسْد . . . يا لبكاء الرجال . . . والموعد اللَّه .

* * *

(١) انظر : « الطريق إلى بيت المقدس « القضية الفلسطينية » د. جمال عبد الهادي .
و«موسوعة الشهداء » (شهداء الحركة الإسلامية في العصر الحديث » لعبد الحليم الكناني ، و«الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ » لمحمود عبد الحليم الجزء الأول .

التاجـــر
الصـــــدوق

التاجر الصدوق

والتاجر الصدوق ممن يظلهم اللَّه في ظله . . . وقدْ جود حديثه الحافظ ابن حجر .

فقد قال في « الفتح » (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩) :

« ثم تتبعت بعد ذلك الأحاديث الواردة في مثل ذلك فزادت علىٰ عشر خصال ، وقد انتقيت منها سبعة وردت بأسانيد جياد ونظمتها في بيتين تذييلاً علىٰ بيتَيْ أبي شامة وهما :

وزد سبعةً : إظلال غاز وعونــه وانظار ذي عسر وتخفيف حمله

وإرفاد ذى عزم وعون مكاتب وتاجر صدق فى المقال وفعلـــه

. . . وأما التاجر الصدوق فرواه البغوي في « شرح السنة » من حديث سلمان ، وأبو القاسم التيمي من حديث أنس واللَّه أعلم .

لما كان الدينار والدرهم أزمّة أهل الدنيا ، بها يقادون إلىٰ السوءات ، والتجار هم أبناء دُنيا يرضعونها ، لا ينفطمون عن رضاعها إلا من رحم ربي . . . والتاجر الصادق هو الذي يتصل قلبه بالملأ الأعلىٰ وهو في شواغل التجارة والأسواق ولا ينخلع من غبش الحياة والأسواق إلا الصفوة ، ألم يقل اللَّه عزوجل ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾(١) انفضوا إليها وأعاد الضمير علىٰ التجارة كما قال الشيخ الشنقيطي ، فهي السبب الأهم في انفضاض الناس عن رسولهم .

عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « بينا نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ

---

(١) سورة الجمعة الآية (١١) .

أقبلت عير تحمل طعامًا ، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا ، منهم أبو بكر وعمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ فنزلت ﴿ **وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا** ﴾[١] .

انظر إلى الجو الذي يعيش فيه التاجر الصدوق ويشع صدقه في الغبش الذي حوله قال ﷺ : « **أحب البلاد إلى اللّه مساجدها ، وأبغض البلاد إلى اللّه أسواقها**»[٢] .

وقال ﷺ : « **يا معشر التجّار إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا**[٣] **بيعكم بالصدقة** »[٤] .

وقال ﷺ : « **يا معشر التجار إن هذا البيع يحضره اللغو والحلف فشوبوه بالصدقة**»[٥] .

وقال ﷺ : « **البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبيّنا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما** »[٦] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البرّ ، وإن البرّ يهدي إلى الجنة ، وما يزالُ الرجل يصدق ، ويتحرّى الصدق حتي يكتب عند اللّه صدّيقًا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتي يكتب عند اللّه كذّابا** »[٧] .

---

(١) رواه الشيخان والترمذي .
(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة ، وورواه أحمد ، والحاكم عن جبير بن مطعم .
(٣) اخلطوا .
(٤) صحيح : رواه الترمذي ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٩٧٣) .
(٥) صحيح : رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، والحاكم ، وصححه الألباني .
(٦) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي عن حكيم بن حزام .
(٧) رواه أحمد ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، ومسلم ، والترمذي عن ابن مسعود .

ومقام الصدّيقين مقام رفيع ، ومع علّو هذا المقام فهو بفضل اللَّه ميسور لمن أراده ، بدايته الصدق وتحري الصدق .

عثمان بن عفان نعم الرجل الصالح .. ونعم ماله الصالح :ـ

عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : « قحط الناس في زمان أبي بكر ، فقال الخليفة لهم : إن شاء اللَّه لا تُمسون غداً حتىٰ يأتيكم فرج اللَّه . . . فلما كان صباح الغد ، قدمت قافلة لعثمان ، فغدا عليه التجار ، فخرج إليهم وعليه مُلاءة قد خالف بين طرفيها علىٰ عاتقه ، وسألوه أن يبيعهم قافلته .

فسألهم : كم تربحونني ؟ قالوا : العشرة اثنىٰ عشر ، قال : قد زادني ، قالوا : فالعشرة خمسة عشر ، قال : قد زادني ، قالوا : من الذي زادك ، ونحن تجّار المدينة ؟ قال : إنه اللَّه ، زادني بكل درهم عشراً ، فهل لديكم أنتم مزيد ؟ فانصرف التجار عنه ، وهو ينادي : اللهم إني وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن ، وبلا حساب»[(١)] .

هوالمهاجر إلىٰ ربه ، المهاجر من ماله . . الصادق أبدًا .

عبد الرحمن بن عوف ـ رضى اللَّه عنه ـ

هذا الإمام الصالح الصادق الذي صلّىٰ النبي خلفه وشهد له بالجنة ، هذا الذي أدرك صفوها ، وسبق رَنْقها[(٢)] كما قال فيه علي بن أبي طالب .

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **خيركم خيركم لأهلي من بعدي** »[(٣)] ، فأوصىٰ لهن عبد الرحمن بن عوف

(١) « خلفاء الرسول » لخالد محمد خالد (ص٢٤٦) .

(٢) أي كدرها .

(٣) حسن : أخرجه البزار ، وأبو نعيم في « أخبار أصبهان » ، والحاكم . وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة » رقم (١٨٤٥) .

بحديقــة ، قُوّمت بأربعمئة ألف .

ومن أفضل أعماله عزله نفسه من الأمر وقت الشورىٰ ، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد ، فنهض في ذلك أتم نهوض علىٰ جمع الأمة علىٰ عثمان ، ولو كان محابيًا فيها ، لأخذها لنفسه ، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقّاص إن كان هذا في أمر الآخرة فما ظنك بأمر الدنيا التافهة والتجارة أفلا يكون الصدق شعاره ودثاره ؟!

لما هاجر إلىٰ المدينة فقيراً لا شيء له ، آخىٰ رسول اللَّه ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع أحد النقباء ، فعرض عليه أن يشاطره نعمته ، وأن يطلّق له أحسن زوجتيه ، فقال له : بارك اللَّه لك في أهلك ومالك ، ولكن دلّني علىٰ السوق . فذهب وباع واشترىٰ وربح . . . . ثم آل أمره في التجارة إلىٰ ما آل ، كان ـ رضي اللَّه عنه ـ مجدوداً في التجارة ، خلّف ألف بعير ، وثلاثة آلاف شاة ، ومئة فرس . قال الذهبي : هذا هو الغني الشاكر .

عن قتادة قال : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ ﴾[1] قال : تصدّق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله أربعة آلاف دينار . فقال أناس من المنافقين : إن عبد الرحمن لعظيم الرياء .

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمـد ... وينكر الفم طعم المـاء من سـقم

• ومحمد بن سيرين سيد من سادات التابعين :

قال عنه الذهبي : « قد وقع علىٰ ابن سيرين دَيْن كثير من أجل زيت كثير أراقه ؛ لكونه وجد في بعض الظروف فأرة »[2] فهذا ورع زائد علىٰ الصدق .

---

(١) سورة التوبة الآية (٧٩) .

(٢) « السير » (٤/ ٦٠٩) .

• ويونس بن عبيد :

قال النضر بن شميل : غلا الخزّ في موضع كان إذا غلا هناك غلا بالبصرة ، وكان يونس بن عبيد خزّازًا ، فعلم بذلك ، فاشترىٰ من رجل متاعًا بثلاثين ألفًا ، فلما كان بعد ذلك ، قال لصاحبه : هل كنت علمت أن المتاع غلا بأرض كذا وكذا ؟ قال : لا ، ولو علمت لم أبع . قال : هلمّ إليّ مالي ، وخذ مالك . فردّ عليه الثلاثين الألف(١) .

• وحمزة بن حبيب الزيات شيخ القرّاء :

قال عنه الذهبي في السير (٧ / ٩٠) : « كان يجلب الزيت من الكوفة إلىٰ حلوان ، ثم يجلب منها الجبن والجَوْز . . . ثخين الورع رفيع الذكر »

قال عنه ابن فضيل : ما أحسب أن اللّه يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة .

قال حسين الجعفي : « ربما عطش حمزة ، فلا يستسقي ؛ كراهية أنْ يصادف من قرأ عليه » فما ظنك بورعه في تجارته ؟!

• زاذان :ـ

أبو عُمر الكِندىّ : أحد العلماء الكبار ... وكان بزّازًا .

قال عنه سالم بن أبي حفصة : « كان زاذان إذا عرض الثوب ناول ثمن الطرفين » يعني أردأ الطرفين(٢) .

• حسّان بن أبى سنان وورعه الطيب فما ظنك بصدقه ؟! :ـ

قال عبد الله : « كتب غلام لحسّان بن أبي سنان إليه من الأهواز ، أن قصب السّكر أصابته آفة ، فاشتر السكر فيما قبلك ، قال : فاشتراه من

(١) « السير » (٦/ ٢٩٣) .
(٢) « الورع » لابن أبي الدنيا (ص١٠٤) .

رجل ، فلم يأت عليه إلا قليل ؛ فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا ، فأتى صاحب السكر ، فقال : يا هذا ، إن غلامي كان كتب إليّ ولم أعلمك ، فأقلني مما اشتريت منك . فقال الآخر : فقد أعلمتني الآن وطيّبته لك . قال : فرجع فلم يحتمل قلبه . قال : فأتاه ، فقال : يا هذا ، إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه ، فأحب أن يُستردَّ هذا البيع . قال : فما زال به حتى ردّ عليه »(١) .

• شيخ الإسلام ، وأمير الأتقياء في وقته عبد الله بن المبارك :

قال عنه إسماعيل بن عياش : ما على وجه الأرض مثل ابن المبارك ، ولا أعلم أن اللَّه خلق خصلة من خصال الخير إلا وقد جعلها في عبد اللَّه بن المبارك .

وقال عنه عبد الرحمن بن مهدي : ما رأت عيناي مثل أربعة : ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري ، ولا أشد تقشفًا من شعبة ، ولا أعقل من مالك ، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك(٢) .

إن كان ابن المبارك أنصح الناس للأمة ، وفيه كل خصال الخير فما ظنك بصدقه في تجارته . قال ابن المبارك للفضيل : لولاك وأصحابك ما اتّجرت ، وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم(٣) .

• البخاري من بيتهم خرج الورع :

قال أُحيد بن حفص : دخلت على إسماعيل والد أبي عبد اللَّه(٤) عند موته فقال : لا أعلم من مالي درهمًا من حرام ولا درهمًا من شبهة .

---

(١) « الورع » لابن أبي الدنيا (ص١٠٥) .
(٢) « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٦٠ ـ ١٦١) ، و« السير » (٨/ ٣٨٨) .
(٣) « السير » (٨/ ٣٨٦) .
(٤) يعني والد الإمام البخاري .

قال أبو سعيد بكر بن منير : كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه أبو حفص فاجتمع بعض التجار إليه بالعشيّة وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم ، فقال لهم : انصرفوا الليلة ، فجاءه من الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم فردّهم ، وقال : إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأوّلين فدفعها إليهم ، وقال : لا أحب أن أنقض نيّتي (١) .

إن التجار في حاجة إلى أن يقرؤا سير الصادقين من التجار من سادات هذه الأمة ممن يستسقى بهم المطر من أمثال : داود بن أبي هند ، ويونس بن عبيد ، وأبي حنيفة .

* * *

(١) « هدي الساري مقدمة فتح الباري » (ص٥٠٣ ، ٥٠٤) .

النبيـــون
و
الصـديقـــون

النبيون والصديقون

أخرج الشافعي في « مسنده » عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال :

« أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكْت إلى النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « **ما هذا؟ قال : الجمعة فُضّلت بها أنت وأمتك ، فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى، ولكم فيها خير ساعة ، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو اللَّه بخير إلا استُجيب له ، وهو عندنا يوم المزيد ، قال النبي ﷺ : يا جبريل وما يوم المزيد ؟ قال : إن ربك اتخذ من الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك ، فإذا كان يوم القيامة أنزل اللَّه تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين ، وحفّ تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد ، عليها الشهداء والصديقون، فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول اللَّه : أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطيكم ، فيقولون : ربنا نسألك رضوانك ، فيقول : قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ، ولديّ مزيد ، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير ، وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش ، وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام ، وفيه تقوم الساعة** » وفي طريق آخر « **... ثم حف الكرسي بمنابر من نور ، ثم جاء النبيون حتى يجلسوا عليها ، ثم حفّ المنابر بكراسي الذهب ، ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ...** »[1] .

وهذا الحديث يشمل سادات من يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظلّ إلا ظله :

- **وساداتهم الأنبياء** : وكل خير واصل إلي من يظلهم اللَّه وكان سبباً

(١) قال ابن القيم في « حادي الأرواح » (ص٢٦٧ ، ٣١٣ ـ ٣١٤) : « هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقّوه بالقبول ، وجمّل به الشافعي « مسنده » » .

لمرتبتهم هذه وبلوغهم إياه فعن طريق النبيين والدال على الخير كفاعله ، فلهم مثل أجور كل من يظلهم اللَّه في ظله ، فلهم قبل أي فرد من أممهم الظلال الظليلة .

• **والصدّيقون** : بعد الأنبياء مرتبة ، وثبت لهم هذا الفضل بهذا الحديث وسيدهم صديق هذه الأمة الأكبر أبو بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - الذي سمّاه اللَّه في السماء صديقًا ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به** ﴾ وهو سيد كهول أهل الجنة خلا النبيين والمرسلين كما جاء في « الصحيح » .

وصدِّيق الأنصار سعد بن معاذ ومنزلته في الأنصار كمنزلة أبي بكر في المهاجرين هذا الذي صدق رسول اللَّه ﷺ في المواطن التي يهتز فيها يقين الرجال هذا الذي حكم في اليهود بحكم اللَّه من فوق سبع سماوات ، هذا الذي تعدّىٰ صدقه إلىٰ كل من حوله حتىٰ قال النبي ﷺ : « **كل نائحة تكذب إلا أم سعد** » .

هذا الذي نزل إلىٰ الأرض يوم موته سبعون ألف ملك ما نزلوا قبل يومهم هذا ، هذا الذي اهتز له عرش الرحمن

هذا الصدِّيق الذي يقول : « ثلاثة أنا فيهن قوي ، وفيما سواهن ضعيف : ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتىٰ أفرغ منها .

ولا شيّعت جنازة فحدّثت نفسي بغير ما هي قائلة ، وما هو مقول لها ، حتىٰ يُفرغَ من دفنها .

وما سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول إلا علمت أنه حق » .

فقال ابن المسيب : ما ظننت أن هذه الخصال تجتمع إلاّ في النبي ﷺ ، والصديقية أعلىٰ مراتب الصدق ؛ وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمرسل .

والصدّيق من سلّم قلبه كله وسرّه وظاهره وباطنه للرسول ، فاستغنىٰ به عما منه .

ومرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث .

وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : (حدثني قلبي عن ربي) فصحيح أن قلبه حدّثه ، ولكن عمّن ؟ عن شيطانه ، أو عن ربه؟ فإذا قال : (حدثني قلبي عن ربي) ؛ كان مسنداً للحديث إلىٰ من يعلم أنه حدّثه به، وذلك كذب .

والفهم عن اللّٰه ورسوله عنوان الصديقية ، ومنشور الولاية النبوية ، وفيه تتفاوت مراتب العلماء ، حتىٰ عدّ ألف بواحد .

أما الشهداء : فيشهد لهم أنهم في ظل عرش الرحمن حديث صحيح سنفرده فيما بعد وهو وإن كان خاصّا بنوع خاص منهم إلاّ أنه يعضد هذا الحديث وفضل اللّٰه واسع لمن بذلوا أرواحهم فداءً لدينهم .

❊ ❊ ❊

الشهيد المجاهد
بنفسه وماله

الشهيد المجاهد بنفسه وماله

عن عتبة بن عَبْدٍ السلمي ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : «القتلى ثلاثة :

• رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله في سبيل اللّه حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد المفتخر في خيمة اللّه تحت عرشه لا يفضله إلا النبيون بدرجة النبوة .

• ورجل مؤمن قرف[1] [على نفسه][2] من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل اللّه حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل [فتلك مصمصة[3] محت][4] محيت ذنوبه وخطاياه ، إن السيف محاء الخطايا ، وأدخل من أيّ أبواب الجنة شاء ، فإن لها ثمانية أبواب ، ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض .

• ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل اللّه حتى يقتل فإن ذلك في النار ، السيف لا يمحو النفاق »[5][6] .

---

(١) قرف الذنب إذا عمله، وقارف الذنب إذا داناه ولاصقه، وقرفه بكذا: أي أضافه إليه واتهمه به.

(٢ ، ٤) [ ] ما بين القوسين زيادة عند ابن حبان في « صحيحه » .

(٣) مصمصة : أي مطهرة من دنس الخطايا ، يقال : مصمص إناءه إذا جعل الماء فيه وحرّكه لينظف.

(٥) لفظ الطبراني « المفتخر » وكذا لفظ أحمد ، ولفظ « الممتحن » لابن حبّان .

قال الساعاتي في « الفتح الرّباني » (١٤/ ٣٢) : « والظاهر أن لفظ المفتخرهنا وقع فيه تصحيف من الناسخ ، فإن كان صحيحاً فمعناه المفتخر يوم القيامة بما أعطاه اللّه من الكرامة وعلو الدرجة والأول أقرب واللّه أعلم .

(٦) حديث صحيح : رواه أحمد في « مسنده » ، وابن حبان في « صحيحه » ، والطبراني في «المعجم الكبير » ، والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » و« البعث النشور » ، والطيالسي في « مسنده » ، والدارمي في «سننه» ، وابن المبارك في « الجهاد » والفسوي في « المعرفة والتاريخ » .

وجوّد إسناده المنذري في « الترغيب » (٢/ ٣١٧) .

وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٢٩١) : رجال أحمد رجال « الصحيح » خلا أبو المثنى الأملوكي وهوثقة » ، وقال الساعاتي : إسناده جيد (١٤/ ٣٢ « الفتح الرباني ») وقال الشيخ حسين أسد : إسناده حسن ، والحديث صحيح والحمد اللّه .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[2] .

إن الذي وارثه الحي الذي لم يزل ، فليس بميت وإنْ قُتِل .

وإن كانت العبدان للموت أُنشِئت فقتل امرئ في اللّه لا شك أفضل

الشهداء الذين يضحون بأرواحهم للّه ، هم عادة أكرم القلوب ، وأزكى الأرواح ، وأطهر النفوس ، إنهم أحياء بشهادة اللّه سبحانه وبشهادة رسوله ﷺ .

حقيقة ضخمة في ذاتها ، وضخمة في آثارها ، فهم يُرزقون عند ربهم، وهم فرحون بما آتاهم اللّه من فضله ، وهم يتبشرون بمصائر من ورائهم من المؤمنين والفرح كل الفرح فرحهم .

● عن ابن مسعود ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة تحت العرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة ، فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ، فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يُسألوا قالوا : يا رب نريد أن تُردّ أرواحنا في أجسادنا ، حتى نرجع إلي الدنيا فنُقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أنه ليس لهم حاجة تُركوا** »[3] .

---

(١) سورة البقرة الآية (١٥٤) .

(٢) سورة ال عمران الآية (١٦٩) .

(٣) رواه مسلم والترمذي .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن أرواح الشـهداء في طير خضر تعلق من ثمار الجنة** »[١] .

قال المناوي : « تعلُق » بضم اللام ؛ أي تأكل تلك الطير بأفواهها من ثمرة الجنة ، فتجد بواسطة ريح الجنة ولذتها وبهجتها وسؤددها ما لم تُحط به العقول » .

• وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل اللَّه أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، فتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : مَنْ يبلغ إخواننا عنّا أنّا أحياء في الجنة نُرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب ؟ فقال اللَّه تعالي : أنا أبلغهم عنكم** »[٢] .

يا ليت شعري وما ارتفعت بنا هِمـم ... إلى الجنان وتـالي القـوم أوّابُ
إلى كواعب للأطـراف قاصـرة ... وظلّ طَوبى وعطـر الشدو ينسـابُ
إلى قناديل ذهب عُلّقتْ شـرفًا ... بعرش ربي لمـنْ قتلـوا وما غابـوا

• وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[٣] .

فالموت في سبيل اللَّه بهذا القيد وبهذا الاعتبار خير من الحياة ، وخير مما يجمعه الناس في الحياة من أغراضها الصغار ، من مال وجاه ومن سلطان ومن متاع ، خير بما يعقبه من مغفرة اللَّه

---

(١) صحيح : رواه الترمذي عن كعب بن مالك ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (١٥٥٥)، و« الصحيحة » رقم(٩٩٥) .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد وأبوداود والحاكم وصححه ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٠٨١) ، و« تخريج الطحاوية » (٣٩٣) ، و« تخريج المشكاة » (٣٨٥٣) .

(٣) سورة آل عمران الآية (١٥٧) .

ورحمته، وهي في ميزان الحقيقة خير ممايجمعون .

● عن المقدام بن معدي كرب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ « **للشهيد عند اللَّه سبع خصال : يُغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ،ويُجار من عذاب القبر ،ويأمن من الفزع الأكبر ، ويُوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويشفع في سبعين إنساناً من أهل بيته** »(١) .

● وعن كعب بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أرواح الشهداء في صور طير خضر ، معلقة في قناديل الجنة ، حتى يرجعها اللَّه يوم القيامة**»(٢) .

● وعن أبي قتادة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **الشهيد لا يجد ألم القتل ، إلا كما يجد أحدكم مس القرصة** »(٣) .

وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **الشهيد لا يجد مسّ القتل ، إلا كما يجد أحدكم القرصة يقرصها** »(٤) .

وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **ما يجد الشهيد من مس القتل، إلا كما يجد أحدكم من مسّ القرصة** »(٥) .

● والشهيد لا يفتن في قبره ، كفى ببارقة السيوف على رأسه ، إن كان المرابط يؤمن من فتنة القبر فمن باب أولى الشهيد .

---

(١) أخرجه أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (٥٠٥٨)، و«أحكام الجنائز» (٣٥ـ٣٦) .

(٢) رواه عبد الرزاق بسند صحيح .

(٣) أخرجه الطبراني ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٣٩) .

(٤) صحيح : أخرجه النسائي عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٤٠) ، و« تخريج المشكاة » (٣٨٣٦) .

(٥) حسن : أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان ، وحسنّه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٨٩) .

عن فضالة بن عبيد ـ رضي اللَّه عنه ـ : أن رسول اللَّه ﷺ قال : « **كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل اللَّه ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويؤمن من فتنة القبر** »[(١)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه** ﴾ الآية[(٢)] من الذين لم يشأ اللَّه أن يصعقهم ؟ قال : « هم شهداء اللَّه »[(٣)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ : « **سألت جبريل عن هذه الآية ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه ﴾ من الذين لم يشأ اللَّه أن يصعقهم ؟ قال : هم الشهداء، ثنية اللَّه تعالى، متقلدون أسيافهم حول عرشه** »[(٤)] .

● في حديث جابر في البخاري : جئ بأبي إلى النبي ﷺ وقد مُثل به ووضع بين يديه ، فذهبت أكشف عن وجهه ، فنهاني القوم ، فسمع صوت نائحة ، فقيل : ابنة عمرو ، أو أخت عمرو ، فقال : « **لم تبكي ؟ ـ أَوْ : لا تبكي ـ ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها** » .

● وقال ﷺ : « **واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف** »[(٥)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **زملوهم بدمائهم ، فإنه ليس كلم يُكلم في**

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي وأبو داود وابن حبان والحاكم ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

(٢) سورة الزمر الآية (٦٨) .

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم في « المستدرك » في « التفسير » ، وقال : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) صحيح : أورده السيوطي في « الجامع » ، وقال : رواه أبو يعلى والدارقطني في « الأفراد » والحاكم وابن مردويه في « التفسير » ، والبيهقي في « البعث » عن أبي هريرة . وزاد على رواية الحاكم : « هم الشهداء ، ثنية اللَّه تعالى . . . حول العرش » وصححه السيوطي والحاكم . انظر : « فيض القدير » (٤/ ٧٨ـ٧٩) .

(٥) رواه الطبراني بسند صحيح ، انظر « فتح الباري » (٦/ ٥٦) .

سبيل اللَّه إلا وهو يأتي يوم القيامة يدمي ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك »[(١)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **عجب ربنا من رجل غزا في سبيل اللَّه فانهزم أصحابه ، فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول اللَّه عز وجل لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه »**[(٢)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **والذي نفسي بيده ، لولا أن رجال من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ، ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سَرِيّة تغزو في سبيل اللَّه ، والذي نفسي بيده ، لوددت أنيّ أقتل في سبيل اللَّه ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل »**[(٣)] .

ويالها من منزلة يتمناها رسول اللَّه ﷺ .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلفتون وجوههم حتى يُقتلوا ، أولئك يتلبطون**[(٤)] **في الغرف العُلى من الجنة يضحك إليهم ربك ، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه »**[(٥)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : «**أفضل الشهداء مَن سُفِك دمه وعُقِر جواده**»[(٦)] .

---

(١) صحيح : رواه النسائي عن عبد اللَّه بن ثعلبة ، وصححه الألباني انظر : «صحيح الجامع » (٣٥٦٧) ، و« الإرواء » (٧٠٥) ، و« تخريج المشكاة » (٢٩٢٤) .
والكَلْم : الجرح .

(٢) حسن : أخرجه أبو داود عن ابن مسعود ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٩٨١) .

(٣) رواه أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والنسائي عن أبي هريرة .

(٤) أي يتمرّغون .

(٥) صحيح : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » عن نعيم بن حماد ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (١١٠٧) .

(٦) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٠٨) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **حمزة سيد الشهداء يوم القيامة** »[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلي إمام جائر**[٢] **فأمره ونهاه ، فقتله** »[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لولا أن تجد صفية في نفسها ، لتركته حتى تأكله العافية**[٤] **حتى يحشر من بطونها** »[٥] (يعني حمزة) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة ، وإذا حمزة متكئ على سرير** »[٦] .

● وعن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ : أن رجلاً أسود أتىٰ النبي ﷺ فقال له : يا رسول اللَّه : إني رجل أسود منتن الريح ، قبيح الوجه لا مال لي ، فإنْ أنا قاتلت هؤلاء حتىٰ أقتل فأين أنا ؟ قال : « **في الجنة** » فقاتل حتىٰ قُتل فأتاه النبي ﷺ فقال : « **قد بيّض اللَّه وجهك ، وطيّب ريحك ، وأكثر مالك** » وقال لهذا أو لغيره : « **لقد رأيت زوجته من الحور العين ، نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته** »[٧] .

---

(١) صحيح : رواه الشيرازي في « الألقاب » عن جابر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٣١٥٨) .

(٢) ظالم .

(٣) حسن :رواه الحاكم في « المستدرك » وصححه ، والضياء في « المختارة » عن جابر ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٧٥) .

(٤) هي السباع والطير التي تقع علىٰ الجيف . وقد قاله عليه السلام في معركة أحد عند موت حمزة وقد مثل به .

(٥) حسن : رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي عن أنس ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٣٢٤) .

(٦) صحيح: رواه الطبراني في « الكبير » ، وابن عدي ، والحاكم في « المستدرك » عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٣٦٣) .

(٧) رواه الحاكم وقال : صحيح علىٰ شرط مسلم ، والبيهقي في « الشعب » ، وقال في آخره فأتىٰ عليه رسول اللَّه ﷺ وهو مقتول فقال : « لقد رأيت زوجتيه من الحور العين تتنازعان تدخلان فيما بين جلده وجبته » .

وعن مجاهد قال : قام يزيد بن شجرة في أصحابه فقال : إنها قد أصبحت عليكم ما بين أخضر ، وأحمر ، وأصفر ، وفي البيوت ما فيها ، فإذا لقيتم العدوّ غداً فقُدماً قُدماً ، فإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « **ما تقدم رجل خطوة إلا تقدّم إليه الحور العين ، فإن تأخر استترت منه ، وإن استشهد كانت أول نفحة كفارة خطاياه ، وتنزل إليه ثنتان من الحور العين فتنفضان عنه التراب ، وتقولان له : مرحباً قد آن لك ، ويقول : مرحبا قد آن لكما** »(١) .

وللّه در القائل عن الشهداء :

ماذا أغني ؟ والسماءُ بقدسها وبنورها غنّتْ لهمْ ؟!!
والأرضُ لَمْلَمَتِ العبيرَ وضمّختْهُ بعاطرٍ من ذكرهمْ
واللّه قرّبهَمْ ومدّ العرشَ أظلالاً لرفرف خُلدهم
وكتائب الأحرارِ شدّتْ فى النضالِ ضياءَها من دربهم
وخُطا الشعوبِ تضلُّ إنْ لم تستمدَّ حياتَها من خطوِهم
عرفوا طريقَ الخُلدِ فاتّجهوا إليه وعانقوه بعمرهم
وبروحهم ، وبسرّهِمْ
وبكلِّ ما حملتْ منابتُ كَرْمهم
وبكلِّ ما وهبتهُ أقداحُ الحياة لدمعهم وخمرهم
بالنور ... والأغلالُ ترفض ضوءَه ـ من عزّةٍ ـ عن ليلهم
بالحبّ ... والأغلال تنسَخُهُ لظيً متأجّجاً من سُخْطِهم

---

(١) موقوف وإسناده صحيح : رواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » ، وابن الأثير في « أسد الغابة » ، ورواه ابن أبي شيبة موقوفًا مختصراً بإسناد صحيح ، وعبد الرزّاق موقوفًا بإسناد صحيح ، والطبراني ، قال الهيثمي : رواه الطبراني من طريقين ، رجال أحدهما رجال الصحيح .

بالدَّم ... وهو النارُ عاطشةٌ مُدَمدمةٌ لساعة ثأرهم
بالحُلمْ وهو تميمة الجبناء تعجزُ أن تطوفَ بليلهم
بالروح وهي الطائرُ المجروحُ مِنْ غيظِ التراب بأرضهمْ
بوجودهم ووجودُهم هذا الترابُ الحرُّ يصرخُ تحتهم
إنْ لم أكنْ حراً فلا داستْ على وجهي عروبةُ وجههم
رَدُّوا عليه بأنْ سقْوهُ بكل آخرِ قطرةٍ في كأسهم
بدمائهم ، بفدائهمْ ، بمَضائهم ، قطفوا الحياةَ بموتهم
واللّه ما ماتوا ... ولا عرفَ البِلَى عِرْقاً يجفُّ بجسمهم
عرفوا طريق الخلد فاتجهوا إليه وبايعوه بعمرِهم !!
مَنْ هؤلاء ؟؟ هُمُ الذين مشاعلُ الإنسان تحملُ ضوءَهم
صنعوا من الأجيال مصباحاً عَرَفَتْ به أشعةَ شمسهم
فعرفْتُهم لما رأيتُ العارَ تغسِلُه الدماءُ بجرحهم
وعرفتهُم لما رأيتُ الذلَّ يحصدهُ الإباءُ بكِبْرِهِمْ
وعرفُتهم لما رأيتُ اليأسَ بدّده اليقين بعزمهم
وعرفُتهم لما رأيت الأرضَ ترفعُ رأسَها مِن بأسِهم
وبكل يومٍ تشتهيهم حاصداً لعدوّها من تُربِهم
وعرفتهم لما رأيتُ كرامة « الإسلام » تهزِجُ باسمهم
وعرفُتهم لما استعدتُ وجودَ وجهي في الوجودِ بيومهم
قد كانَ ضاعَ وضاعَ ... حتى عاد يَمْتَشِقُ الإباءَ بكفِّهِم !!
شهداءُ تخشعُ كلُّ ذرات الفضاء لهالةٍ من طهرهم

وتَميسُ رايات المعارك كلما نشقَتْ معارجَ عطرهم
كلُّ البطولةِ قطرةٌ شَربَتْ رَحيق مضاءِها من بحرِهم
كلُّ الثرى عبدٌ إذا لم يرشُفُوهُ بوقدةٍ مِنْ جمرِهم
شهداءُ ... صوتُ الحقِّ جلْجلَ كالأذان مُحلِّقًا من صوتهم
شهداءُ ... ريحُ النصر هبَّتْ من لظَى قَبَسَ اللظى من صدرِهم
ذبحوا أساطيرَ الطغاةِ ولقّنوها آيةً من دَرْسِهم
ومَضَوْا ويمضي كلَّ يوم للفرادسِ زائرٌ مِن رَكْبِهِم
حتى تُغَرِّدَ في التراب حقيقةٌ تُشْجي سرائرَ طيرهم!!
حيَّيْتهم في كلِّ شبرٍ أهلكوا فيه سلاسِلَ قيدهم
وطرقتُ بابَ الخلد أسألُ أيَّ روضٍ في الأرائك ضمّهم ؟
وبأيِّ رَفْرَف جنّةٍ أمْلاكُها وطيورُها حَظيَتْ بهم ؟؟
فَعلمْتُ أنّ اللّه كرَّمَهُم ونَعَّمَ بالشهادةِ قُرْبَهُم
ماذا أغَنّي ؟؟
والسماءُ بقدسها وبنورها غنَّتْ لهم !!
أنا إنْ شَدَوْتُ فلنْ أكون سوى صدى لقصيدةٍ
مِنْ شعرهم ؟؟(١)

* * *

---

(١) قصيدة : « موسيقى الشهداء » لمحمود حسن إسماعيل « الأعمال الكاملة » المجلد الرابع (١٩٦٧ـ ١٩٧٠) .

ذراري المسلمين

الذين

لم يبلغوا الحلم

ذراري المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم

عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رجلاً من الأنصار ـ كان له ابن ـ يروح معه فسأله رسول اللَّه ﷺ : **أتحبُه** ؟ فقال : يا نبي اللَّه ، نعم ، فأحبك اللَّه كما أُحبّه .

فقال : **إن اللَّه أشد لي حباً منك له** .

فلم يلبث أن مات . فقال له النبي ﷺ : « **أما ترضى أن يكون مع ابني إبراهيم ، يلاعبه تحت ظل العرش** » .

قال : بلى[1] .

هذا من ـ رحمة اللَّه عز وجلّ ـ . أين رحمة الخالق من رحمة المخلوق؟

إن اللَّه عز وجلّ كتب كتاب الرحمة بيده ، فهو عنده فوق العرش .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه تعالى خلق يوم خلق السماوات والأرض مائة رحمة ، كل رحمة طباق**[2] **ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة ، فبها تعطف الوالدةُ على ولدها ، والوحش والطير بعضها على بعض ، وأخرّ**

---

(١) صحيح : أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » والرجل المبهم هو قرة بن إياس كما وقع التصريح به عند النسائي في « المجتبىٰ » .
وأخرجه ابن أبي شيبة » في « المصنف » ، وعلي بن الجعد في « مسنده » ، والحاكم في «المستدرك» ، والدولابي في « الكنىٰ والأسماء » ، والطيالسي ، كما أخرجه أحمد والبيهقي وابن حبان .
وهذا الحديث صحيح ، صحّحه ابن حبان والحاكم وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال ابن عبد البر في « التمهيد » (٦/ ٣٤٩) : هذا حديث ثابت صحيح ، وصححه السيوطي في « تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش » .

(٢) ملء .

تسعاً وتسعين ، فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة »[1] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن للّه ـ مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن و الإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحوش على ولدها و وأخرّ تسعاً وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده يوم القيامة**»[2] .

إن الرجل لا يرضى هجير الدنيا لطفله وما أعطي من رحمة واحدة إلا النزر اليسير منها فما ظنك بتسع وتسعين رحمة ، لأطفال ولدوا في الإسلام على الحنيفية السمحة ما اقترفوا ذنباً ، إن اللَّه برحمته ولكرامة هؤلاء عنده يوكلّ بهم إبراهيم خليله في الجنة إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة أظلهم في ظله .

عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **أطفال المؤمنين في جبل في الجنة ، يكفلهم إبراهيم وسارة؛ حتى يردّهم إلى آبائهم يوم القيامة** »[3] .

* * *

(١) أخرجه أحمد ، ومسلم عن سلمان ، وأحمد وابن ماجه عن أبي سعيد .
(٢) أخرجه مسلم ، وابن ماجه عن أبي هريرة .
(٣) صحيح : أخرجه أحمد في « مسنده » ، والحاكم في « المستدرك » وصححه البيهقي في «البعث» ، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » رقم (١٤٦٧) وفي « صحيح الجامع » (١٠٢٣) .

المتقـــون

كاملو الإيمـــان

المتقون كاملو الإيمان

عن سلمان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال :

« تدنوا الشمس من الناس يوم القيامة ، حتىٰ تكون من رءوسهم ، قاب قوس أو قوسين ، وليس علىٰ أحد يومئذ طِحْرِيّة[1] ، ولا يُرىٰ فيها عورة مؤمن ولا مؤمنة ، ولا يضرُّ حرُّها يومئذ مؤمنًا ولا مؤمنة ، وأما الآخرون ـ أو قال الكافرون ـ فتطحنهم ، فإنما تقول أجوافهم غِقْ غِقْ[2] »[3] .

قال السيوطي في « تمهيد الفرش » : « وظاهر هذه الآثار : أن المؤمنين كلهم في الظل ، وينبغي تخصيصه بالمتقين » .

قال القرطبي في « التذكرة » في قول سلمان : « ولا يجد حرّها مؤمن ولا مؤمنة » : « ظاهره العموم في المؤمنين ، وليس كذلك ، وإنما المراد ـ واللَّه أعلم ـ مؤمن كامل الإيمان ، أو من استظل بظل العرش ، كما في الحديث : « **سبعة في ظل العرش** » وكذا ما جاء « **إن المرء في ظل**

---

(١) الطحرية : الخِرقة كما قاله أبو نعيم .

(٢) غق غق : حكاية صوت الغليان كما قال ابن الأثير في « النهاية في غريب الحديث » .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه نعيم بن حماد في « زوائد الزهد والرقائق » لابن المبارك ، والثعالبي في «الجواهر الحسان» من هذا الطريق ، وأخرجه هنّاد بن السَّرِيّ في الزهد من طريق قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمي به ، وأخرجه معمر في « الجامع » ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ، وابن أبي عاصم في «السنة» مطولاً جداً ، وأورده ابن حجر في « الفتح » (١١/ ٣٩٤) وقال : « سنده جيد » وقال الثعالبي : حديث صحيح .

وأخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، كما قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) وقال الشيخ الألباني في « ظلال الجنة » (٢/ ٣٨٤) : « إسناده صحيح على شرط الشيخين . ولكنه موقوف علىٰ سلمان ، إلا أنه في حكم المرفوع ، لا يمكن أن يقال بالرأي ، ولا هو من الإسرائيليات » .

صدقتـــه » وكذلك الأعمال الصالحة ، أصحابها في ظلها ، وكل ذلك في ظل العرش» انتهىٰ .

وقد جاء في موعظة أبي الدرداء وهو في الموت لرجل : « . . . ثم قمت على الأرض ، ليس لك إلا موضع قدميك ، ليس ثم ظل إلا العرش ، فإن ظُلِّلت ، فنعم ما أنت فيه وإن أضحيت[(١)] فقد هلكت » .

وهذا يوافق ما ذهب إليه المصنف فلا ظل إلا ظل العرش .

وقول سلمان كما قال القرطبي يقع على المؤمن كامل الإيمان الذي بلغ مرتبة الإحسان ، الذي حقق التقوىٰ للَّه عز وجل .

ويشهد لهذا ما رواه خيثمة قال : قيل لعبد اللَّه بن عمرو إنّ ابن مسعود يقول : إن الرجل ليسبح في عرقه حتىٰ يبلغ أنفه .

فقال عبد اللَّه بن عمرو : « إن للمؤمنين كراسي من لؤلؤ يجلسون عليها ، ويُظلّل عليهم بالغمام ويكون يوم القيامة عليهم ، كساعة من نهار ، أو كأخذ طرفة عين »[(٢)] .

وعن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : «**يجتمعون يوم القيامة ، فيُقال : أين فقراء هذه الأمة ومساكينها ؟ فيقومون ، فيقال لهم : ماذا عملتم ؟ فيقولون : ربنا ابتليتنا فصبرنا ، ووليت الأمور ، والسلطان غيرنا.**

فيقول اللَّه تعالى : صدقتم ، أو نحو هذا .

فيدخلون الجنة ، قبل الناس بزمان ، ويبقى شدة الحساب على ذوي الأمور والسلطان .

---

(١) أي : برزت للشمس .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » : وقال السيوطي في « تمهيد الفرش » (ص١٢٨) : هذا حديث صحيح ، ومثله لا يُقال من قبل الرأي ، فله حكم الرفع .

قالوا : فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : « **يوضع لهم منابر من نور ، مظلل عليهم بالغمام** »[1] .

فحديث النبي ﷺ وقول عبد اللَّه بن عمرو وقول سلمان المعني به خيار المؤمنين وخواصهم من المتقين أهل الإحسان .

* * *

(١) إسناده صحيح : أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » كما قال الهيثمي في « المجمع » (١٠/ ٣٣٧)، قال : « ورجاله رجال الصحيح ، إلا أبا كثير الزبيدي وهو ثقة » ، وصحح إسناده السخاوي والزرقاني في « تلخيصه » للسخاوي .

المقتــــول ظلمــاً

المقتول ظلمًا

والمقتول ظلمًا ممن يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظله إلا ظله . .

جاء رجل إلىٰ ابن عباس فقال يا بن عباس أرأيت رجلاً قتل مؤمناً ؟ قال : جزاؤه جهنم خالدًا فيها . . . إلخ الآية قال : فقال يا ابن عباس أرأيت إن تاب وآمن وعمل صالحًا ؟ قال : ثكلته أمه ، وأنىٰ له التوبة وقد قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن المقتول يجيء يوم القيامة متعلقاً رأسه بيمينه أو قال بشماله آخذاً صاحبه بيده الأخرى تشخب[1] أوداجه[2] دماً في قُبُل عرش الرحمن فيقول: رب سل هذا فيما قتلني** »[3] .

قال الساعاتي في الفتح الرباني (١٦/ ٤) : « قبل العرش » أي مقابلاً له ومعاينًا وهو كناية عن قربه من اللَّه عزّ وجل » .

ولفظ آخر قال رسول اللَّه ﷺ : « **أقرب الخلائق من عرش الرحمن ، يوم القيامة المؤمن الذي قتل مظلوماً ، رأسه عن يمينه ، وقاتله عن شماله ، وأوداجه تشخب دماً ، فيقول : رب سل هذا فيما قتلني** »[4] .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **من قُتِل دون مالِه مظلوماً فله الجنة** »[5] .

---

(١) تشخب أي تسيل .

(٢) أوداجه جمع وَدَج بالتحريك وهي ما أحاط العنق من العروق التي يقطعها الذابح .

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد واللفظ له ، والنسائي ، وابن ماجه ، والطبراني في « الكبير»، والأصبهاني في « الترغيب » قال الساعاتي في « الفتح الرباني » (١٦/ ٤) سنده صحيح . وصححه الألباني في « السلسة الصحيحه » (٦/ ٤٤٥) ، انظر الحديث (٢٦٩٧) ، والشيخ أحمد شاكر ، قال الألباني : « قول ابن عباس : « وأنىٰ له التوبة » مشهور عنه من طرق ، والجمهور علىٰ خلافه ، وقد صحّ عن ابن عباس ما يدل علىٰ تراجعه عن قوله إلىٰ قول الجمهور» .

(٤) أخرجه ابن ماجه في « السنن » وابن أبي عاصم في الديات (ص٣١ ، ٣٣) ، وأحمد ، والنسائي في «المجتبىٰ» (٧/ ٨٥ ، ٨٧) والترمذي : وقال : هذا حديث حسن غريب .

(٥) صحيح : أخرجه النسائي عن ابن عمرو ،وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم(٦٤٤٦) .

وقال ﷺ : « **من قُتل دون مظلمته فهو شهيد** »(١) .

وقال ﷺ : « **من قُتِل دون ماله فهو شهيد ، ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد ، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد ، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد** »(٢) .

وقال ﷺ : « **قتل الصبر لا يمرّ بذنب إلا محاه** »(٣) .

وقتل الصبر هو أن يمسك الرجل فيُقتل في غير معركة بغير حق ، فالمقتول ظلمًا شهيد ، ويشهد لكون المقتول ظلماً في ظل العرش ، ما مرّ في الشهيد الذي يجاهد بنفسه وماله حتى يقتل الذي مرّ .

قال تعالى في عباد الرحمن: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾(٤) .

وقال اللَّه تعالى﴿ **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾(٥) .

وعن ابن عباس قال : سمعت نبيكم ﷺ يقول : « **يأتي المقتول متعلقاً رأسه بأحدى يديه ، متلبباً قاتله بيديه الأخرى ، تشخب أوداجه دماً،حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لرب العالمين : هذا قتلني ، فيقول اللّه للقاتل : تعِستَ ، ويذهب به إلى النار** »(٦) .

---

(١) صحيح : أخرجه النسائي والضياء في « المختارة » عن سويد بن مقرن ، وأحمد عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٤٤٧) .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن حبان عن سعيد بن زيد ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » قرم (٦٤٤٥) .

(٣) حسن : رواه البزار عن عائشة ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٣٦٠) .

(٤) سورة الفرقان الآية (٦٨) .

(٥) سورة المائدة الآية (٣٢) .

(٦) صحيح : أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » ، والحديث صحيح لغيره ، صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٦٩٧) .

وقال ﷺ : « **يخرج عنق من النار يتكلم فيقول : وُكِّلتُ اليوم بثلاثة : بكل جبّار عنيد ، وبمن جعل مع اللّه إلهاً آخر ، وبمن قتل نفساً بغير نفس ، فينطوي عليهم ، فيقذفهم في غمرات جهنم** »(١) .

قال ابن العربي : ثبت النهي عن قتل البهيمة بغير حق ، والوعيد في ذلك ، فكيف بقتل الآدمي ، فكيف بالمسلم ، فكيف بالتقي الصالح »(٢) .

قال رسول اللّه ﷺ : « **أبغض الناس إلى اللّه ملحد في الحرم**(٣) **، ومبتغٍ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطّلِبٌ دم امرىء بغير حق ليهريق دمه** »(٤) .

وقال ﷺ : « **أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء** »(٥) .

وقال رسول اللّهﷺ : «**لزوال الدنيا أهون على اللّه من قتل مؤمن بغير حق**»(٦) .

وقال ﷺ : « **لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبّهم اللّه عـــز وجل في النار** »(٧) .

وقال رسول اللّه ﷺ : « **لا يزال العبد في فسحة من دينه مالم يُصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بلّح**»(٨) .

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) ، وعبد بن حميد في « المنتخب من المسند » ، وأبو يعلى في «مسنده» ، والطبراني في « الأوسط » عن أبي سعيد الخدري وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » رقم (٢٦٩٩) .

(٢) « فتح الباري » (١٢/ ١٩٦) .

(٣) الذي يرتكب فيه ما حرّم اللّه .

(٤) أخرجه البخاري عن ابن عباس .

(٥) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود .

(٦) صحيح : رواه ابن ماجه عن البراء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٩٥٤) .

(٧) صحيح : رواه الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة معًا ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٤) . . . وكبهم أي ألقاهم على وجوههم .

(٨) صحيح : رواه أبو داود عن أبي الدرداء ،وعن عبادة بن الصامت،وأبو نعيم في «الحلية»، وصحّحه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٥٧٠) ، ومعنى بلّح : أي أعيا وانقطع .

الإمام المفسّر الشهيد السعيد سعيد بن جبير قتله الحجاج وما في الأرض رجل إلا وهو محتاج إلى علمه :ـ

قتله الحجاج الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم فجاءت كل أمة بخبيثها ، وجئنا بالحجاج ، لغلبناهم »[(١)].

قال سالم بن أبي حفصة : لما أُتي الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنا سعيد بن جُبير ، قال : أنت شقيّ بن كُسير ، لأقتلنك قال : فإذًا أنا كما سمّتني أمي ، ثم قال : دعوني أُصلِّ ركعتين ، قال : وجِّهوه إلى قبلة النصارى ، قال : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه اللَّه ﴾ ، قال : إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم ، قال : وما عاذت به مريم ؟ قال : قالت : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا ﴾ .

قال ابن عيينة : لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحدًا[(٢)] .

قال ابن كثير : لم يلبث الحجاج بعده إلا أربعين يومًا ، وكان إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه ، ويقول : يا عدوّ اللَّه ، فيم قتلتني ؟ فيقول الحجاج : ما لي ولسعيد بن جبير ، ما لي ولسعيد بن جبير[(٣)] ؟!

قال سليمان التيمي : قال الحجاج لسعيد : أكفرت ؟ قال : لا ، قال : اختر أيّ قتلة أقتلك ، قال : اختر أنت فإن القصاص أمامك[(٤)] .

• قال داود بن أبي هند : لّما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال سعيد : ما أراني إلا مقتولاً وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبان لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا اللَّه الشهادة ، فكِلاَ صاحبيّ رُزِقها ، وأنا أنتظرها .

---

(١) « البداية والنهاية » (٩/ ١٤٣) .
(٢) « السير » (٤/ ٣٢٨) ، و« الحلية » (٤/ ٢٩٠) .
(٣) « البداية والنهاية » لابن كثير (٩/ ١٠٣) .
(٤) « السير » (٤/ ٣٣٨) .

قال : فكأنه رأىٰ أن الإجابة عند حلاوة الدعاء[1] .

قال الذهبي : « ولما علم من فضل الشهادة ثبت للقتل ولم يكترث ، ولا عامل عدوه بالتقية المباحة له » .

وعن الحسن قال : « لما أُتي الحجّاج بسعيد بن جبير قال : أنت الشقيّ ابن كسير ؟ قال : كانت أمي أعرف باسمي منك . . .

وقال له : فما تقول فيّ ؟

قال : أنت أعلم ونفسك ، قال : بث علمك .

قال : إذًا يسؤك ولا يسرّك ، قال : بثّ بعلمك .

قال : اعفني ، قال : لا عفا اللّه عني إن أعفيك .

قال : إني لأعلم أنك مخالف لكتاب اللّه ، ترىٰ من نفسك أمورًا تريد بها الهيبة وهي تقحمك الهُلْك ، وسترد غدًا فتعلم .

قال : أما واللّه لأقتلنك قِتلة ، لم أقتلها أحدًا قبلك ، ولا أقتلها أحدًا بعدك ، قال : إذًا تفسد عليّ دنياي وأُفسِد عليك آخرتك .

قال : يا غلام ، السيف والنطع ، فلما ولّىٰ ضحك .

قال : أليس قد بلغني أنك لم تضحك ؟ قال : قد كان ذلك .

قال : فما أضحكك عند القتل ؟ قال : مِن جرأتك علىٰ اللّه ، ومِن حلم اللّه عنك .

قال : ياغلام ، اقتله .

فاستقبل القبلة فقال : ﴿ **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين** ﴾ فصُرِف وجهه عن القبلة فقال : ﴿ **أينما تولوا فثم**

---

(١) « تهذيب الكمال » للمزي (١٠/ ٣٦٤) ، « السير » (٤/ ٣٤٠) .

وجه الله ﴾ قال : اضرب به الأرض .

قال : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾ .

قال : اذبح عدو اللّه فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم[1] .

فرحم اللّه جهبذ العلماء سعيد بن جبير ، واللّه الموعد بينه وبين الحجاج السفاك الغشوم الظالم . . .

* * *

(١) « تهذيب الكمال » للمزي (١٠/ ٣٧٤-٣٧٥) .

الطاهرة قلوبهم

الطاهرة قلوبهم

عن عطاء بن يسار : أن موسىٰ عليه السلام ، سأل ربه تعالىٰ ، فقال :

« **يارب أخبرني بأهلك ، الذين هم أهلك ، الذين تُؤْويهم في ظل عرشك ، يوم لا ظل إلا ظلك .**

قال : « **هم الطاهرة قلوبهم ، البريئة أيديهم ، الذين يتحابون لجلالي ، الذين إذا ذُكرتُ ذُكِروا بي ، وإذا ذُكِروا ذُكِرت بهم ، الذين يسبغون الوضوء في المكاره ، وينيبون إلى ذكري ، كما تنيب النسور إلى وَكْرِها ، ويغضبون لمحارمي إذا استحلت، كما يغضب النَّمْرُ إذا حَرِب[1] ويكلفون بحبي ، كما يكْلف الصبي بحب الناس** »[2] .

وزاد ابن عساكر في « تاريخه » :

«**الذين يعمرون مساجدي ، ويستغفرون بالأسحار** » .

قال السيوطي في « تمهيد الفرش » (١١٤) :

« وخصلة الإسباغ والمحبة وبراءة الأيدي وإعمارالمساجد ، ورد فيها أحاديث كما سبق .

---

(١) أي إذا اشتد غضبه .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب « الأولياء » حديث رقم (٣٧) ، وابن أبي شيبة ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وابن المبارك في « الزهد » (ص٧١ ـ ٧٢) رقم (٢١٦) ، وأحمد في « الزهد » (ص٧٤)، وابن عساكر في « تاريخه » من طريق ابن المبارك في « الزهد » .
وأخرج نحوه بسند رجاله ثقات : هناد بن السري في « الزهد » (١/ ٢٧٦) رقم (٤٨٨) وأخرج أيضًا نحوه (٢/ ٦٠٨) رقم (١٣٠١) ، وابن السني في « القناعة » رقم (١٣ , ١٤) وأبو عبيد في « الخطب والمواعظ » . وكلام أهل العلم في الإسرائيليات معروف وخير الهدي هدي محمد ﷺ يراجع ما كتبه الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه « الإسرائيليات » . ولقد سبقنا إلىٰ ذكر هذا الأثر الإمام ابن القيم في كتابه « روضة المحبين » .

وفي ذلك دلالة على أن خصلة من المذكورات مستقلة بالإظلال ، لأن المجموع مقتض لذلك وقد تقدم نظيره » .

• وعند ابن المبارك : « **قال موسى : يا رب أخبرني عن أهلك الذين هم أهلك ؟ قال : هم المتحابون فيّ ، الذين يعمرون مساجدي ، ويستغفروني بالأسحار، الذين إذا ذُكرت ذكروا بي ، وإذا ذُكروا ، ذُكِرت بهم ، هم الذين ينيبون إلى طاعتي كما تنيب النسور إلى وكورها ، الذين إذا استحلت محارمي غضبوا كما يغضب النمر إذا حرب** » .

وفي «الزهد» لهنّاد بن السري عن هشام بن عروة ، عن أبيه قال : «**سأل موسى ربه عز وجل : أي عبادك أحبّ إليك ؟ قال : الذي يسرعُ إلى هواي ، كما يسرع النسر إلى هواه ، والذي يكلف بعبادي الصالحين ، كما يكلف الصبي بالناس، والذي يغضب إذا أُتيت محارمي ، كما يغضب النمر لنفسه ، فإن النمر إذا غضب لنفسه لم يبال أكثَرَ الناس أمْ قلوا** »[١] .

للَّه هاتيك القلوب وما انطوت عليه من الضمائر وما أُودعته من الكنوز والذخائر ، وللَّه طيب أسرارها لا سيما يوم تُبلى السرائر .

سيبدو لها طيب ونور وبهجة وحسن ثناء يوم تُبلى السرائرُ

لقد رُفع لها علم عظيم فشمرت إليه ، واستبان لها طريق مستقيم فاستقامت عليه ، ودعاها ما دون مطلوبها الأعلى فلم تستجب إليه ، واختارت ما سواه وآثرت ما لديه »[٢] .

انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بقلوبهم ، فمن ظفر بقلبه أفلح وأنجح .

---

(١) أخرجه هناد بن السري في « الزهد » رقم (٤٤٨) (١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧) ، ورجاله ثقات ، والأثر من الإسرائيليات .
(٢) « إغاثة اللهفان » (١/ ٧٣ ـ ٧٤) .

قال أبو هريرة : « القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده » .

فليعرف الإنسان قلبه ويراعيه ، ويترصد ما يلوح من خزائن الملكوت عليه وفيه ، ومن عرف قلبه عرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره أجهل .

قال اللَّه تبارك وتعالىٰ : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (١) .

قال أبيّ بن كعب : مثل نوره في قلب المسلم .

وهذا هو النور الذي أودعه اللَّه في قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره ، وهو نوره الذي أنزله إليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله في قلوبهم ، ثم تقوىٰ مادته فتتزايد حتىٰ تظهر علىٰ وجوههم وجوارحهم وأبدانهم ، بل وثيابهم ودورهم ، يبصره من هو في جنسهم وسائر الخلق له منكر فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور وصار بأيمانهم يسعىٰ بين أيديهم في ظلمة الجسر حتىٰ يقطعوه وهم فيه علىٰ حسب قوته وضعفه في قلوبهم في الدنيا : منهم من نوره كالشمس ، وآخر كالقمر ، وآخر كالنجوم ، وآخر كالسراج ، وضرب اللَّه مثلاً لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة وهي الكوّة في الحائط فهي مثل الصدر ، وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفىٰ الزجاج حتىٰ شُبِّهت بالكوكب الدري في بياضه وصفائه ، وهي مثل القلب وشُبِّه بالزجاجة لأنها جمعت أوصافًا هي

---

(١) سورة النور الآية (٣٥) .

في قلب المؤمن ، وهي الصفاء والرِّقة والصلابة فيرىٰ الحق والهدىٰ بصفائه وتحصل منه الرأفة والراحة والشفقة برِقَّته ، ويجاهد أعداء اللَّه تعالىٰ ويغلظ عليهم ويشتد في الحق ويصلب فيه بصلابته ولا تبطل صفة منه صفة أخرىٰ ولا تعارضها ، بل تساعدها وتعاضدها »[١] .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن للَّه تعالى : آنيةً من أهل الأرض ، وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها ألْينها وأرّقها** » .

طهارة القلوب أمر اللَّه بها وذمَّ مَنْ لم يبلُغها :ـ

قال اللَّه تعالىٰ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[٣] .

قال ابن القيم : « وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم علىٰ أن المراد بالثياب هاهنا القلب ، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق » .

رُوي عن سعيد بن جبير : « قلبك ونيتك فطهر »[٤] .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **عليك بحسن الخلق ، وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما تجمَّل الخلائق بمثلهما** »[٥] .

قال ابن القيم في « إغاثة اللهفان » (١/ ٥٥) :ـ

« وطهارة الثوب وكونه من مكسب طيب هو من تمام طهارة القلب وكمالها ، فإذا كان المأمور به ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها ، فالمقصود

---

(١) « الوابل الصيب » (ص٦٥)ـ دار البيان .

(٢) حسن : رواه الطبراني في « الكبير » عن أبي عتبة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٦٣) ، وقال العراقي : إسناده جيد وحسنه الهيثمي والمناوي .

(٣) سورة المدثر الآية (٤) .

(٤) « إغاثة اللهفان » (١/ ٥٢ـ٥٣) .

(٥) حسن : رواه ابن أبي الدنيا ، والبزار ، والطبراني في « الأوسط » ، والبيهقي في « شعب الإيمان» عن أنس ، ورواه أبو الشيخ عن أبي ذر وأبي الدرداء ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٠٤٨) .

لنفسه أولىٰ أن يكون مأموراً به ، وإن كان المأمور به طهارة القلب وتزكية النفس ، فلا يتم إلا بذلك فتبين دلالة القرآن علىٰ هذا وهذا » .

القلب الطاهر لا يشبع من الذكر والنجس يحرّفه :ـ

قال عثمان بن عفان ـ رضي اللّه عنه ـ « لو طَهُرت قلوبنا لما شبعت من كلام اللّه » ، أما المنحرفين فقد قال اللّه تعالىٰ فيهم : ﴿ **سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[١] .

لم تطهر قلوبهم فتعوّضوا بالسماع الشيطانيّ عن السماع القرآني والإيماني والقلب الطاهر ـ لكمال حياته ونوره ، وتخلصه من الأدران والخبائث ـ لا يشبع من القرآن ولا يتغذىٰ إلا بحقائقه ، ولا يتداوىٰ إلا بأدويته .

وطهارة القلب موقوفة علىٰ إرادة اللّه تعالىٰ ، واللّه سبحانه وتعالىٰ لمّا لم يُرد أن يُطَهِّرَ قلوب القائلين بالباطل المحرّفين للحق ، لم يحصل لها الطهارة .

الجنة لا يدخلها إلا طاهر القلب :ـ

« ولقد حرّم اللّه الجنة علىٰ من في قلبه نجاسة وخبث ، ولا يدخلها إلا بعد طيبه وطهره فإنها دار الطيبين ، ولهذا يُقال لهم : ﴿ **طبتم فادخلوها خالدين** ﴾ ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ ، فالجنة لا يدخلها خبيث ، ولا من فيه شيء من الخبث ، فمن تطهر في الدنيا ، ولقي اللّه طاهراً من نجاسته دخلها بغير معوق »[٢] .

---

(١) سورة المائدة الآيتان (٤١ ـ ٤٢) .

(٢) « إغاثة اللهفان » (١/ ٥٦) .

طهارة القلب لازمة للدخول على الله فى الدنيا والآخرة :ـ

« والله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفًا على الطهارة ، فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر ، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوف على الطيب والطهارة فلا يدخلها إلا طيب طاهر ، فهما طهارتان : طهارة البدن وطهارة القلب ولهذا شرع للمتوضيء أن يقول عقيب وضوئه : **«أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين »**(١) ، فطهارة القلب بالتوبة وطهارة البدن بالماء فلما اجتمع له الطهران صلح للدخول على الله تعالى والوقوف بين يديه ومناجاته»(٢) .

لطيفة فى معنى التطهّر من الخطايا بالماء والثلج والبرد :ـ

قال ابن القيم : « سألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبي ﷺ « **اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد** » كيف يطهر الخطايا بذلك ؟ وما فائدة التخصيص بذلك ؟ وقوله في لفظ آخر : « **والماء البارد** » والحار أبلغ في الإنقاء ؟

فقال : الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفًا فيرتخي القلب وتضرم فيه نار الشهوه وتنجسه ، فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه، والماء يغسل الخبث ويطفيء النار فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة ، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى في التبريد وصلابة الجسم وشدته ، فكان أذهب لأثر الخطايا هذا معنى كلامه وهو محتاج إلى مزيد

---

(١) جزء من حديث عمر بن الخطاب الذي رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي .
(٢) « إغاثة اللهفان » (١/ ٥٦) .

بيان وشرح ، فاعلم أن ههنا أربعة أمور : أمران حسيان وأمران معنويان ، فالنجاسة التي تزول بالماء هي ومزيلها حسيان ، وأثر الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار هي ومزيلها معنويان ، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا » .

والقلب الطاهر :ـ

همه كله في اللَّه وحبه كله له ، وقصده له ، وبدنه له ، وأعماله ونومه له ويقظته وحديثه والحديث عنه أشهىٰ إليه من كل حديث ، وأفكاره تحوم علىٰ مراضيه ومحابّه ، وقرة عينه به وطمأنينته وسكونه إليه ، فهو كلما وجد من نفسه التفاتا إلىٰ غيره تلا عليها : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾ فهو يردد عليها الخطاب بذلك ليسمعه من ربه يوم لقائه فينصبغ القلب بين يدي إلهه ومعبوده بصبغة العبودية ، صفة له وذوقًا لا تكلفًا ، فيأتي بها تودداً وتحببًا وتقربًا كما يأتي المحب المقيم في محبة محبوبه بخدمته وقضاء أشغاله ، فكلما عرض له من ربه أمر أو نهي أحس من قلبه ناطقًا ينطق : « لبيك وسعديك ، إني سامع مطيع ممتثل ، ولك عليّ المنّة في ذلك ، والحمد فيه عائد إليك » .

القلب الطاهر أبيض أجرد فيه سراج يزهر :ـ

قال حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال رسول اللَّه ﷺ : « **تُعرض الفتن على القلوب عرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أُشربها** [١] **نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة** [٢] **بيضاء ، حتي تعود القلوب علي قلبين : قلب أسود مرْبادّا** [٣] **كالكوز مُجخيًا** [٤] **لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب**

(١) أُشربها : أي دخلت فيه دخولاً تامًا ، وحلَّت منه محل الشراب .
(٢) نُكتت نكتة : نُقطت نقطة .
(٣) الربدة : شيء من بياض يسير يخالط السواد .
(٤) المجخي : هو المنكوس المائل .

من هواه،وقلب أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض»[١] .

وصح عن حذيفة أنه قال : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهر ، فذلك قلب المؤمن . . . »[٢] .

والقلب الأجرد أي المتجرد مما سوى اللَّه ورسوله ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق ، فيه سراج يزهر وهو مصباح الإيمان .

فأشار بتجرده إلى سلامته من شبهات الباطل وشهوات الغي ، وبحصول السراج فيه إلى إشراقه واستنارته .

وحياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه ، قال تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا . . .** ﴾[٣] ، فجمع بين الأصلين : الحياة والنور ، فبالحياة تكون قوته ، وسمعه وبصره ، وحياؤه وعفته ، وشجاعته وصبره ، وسائر أخلاقه الفاضلة ومحبته للحسن ، وبغضه للقبيح ، فكلما قويت حياته قويت فيه هذه الصفات ، وإذا ضعفت حياته ضعفت فيه هذه الصفات ، وحياؤه من القبائح هو بحسب حياته في نفسه ، فالقلب الصحيح الحيّ إذا عرضت عليه القبائح نفر منها بطبعه وأبغضها ، ولم يلتفت إليها ، بخلاف القلب الميت ، فإنه لا يفرق بين الحسن والقبيح ، كما قال عبد الله بن مسعود ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ : « هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف وينكر به المنكر » .

وحياة القلب لا تحصل إلا بإدراك الحق وإرادته وإيثاره ، فلما كان في القلب قوتان : قوة العلم و التمييز ، وقوة الإرادة والحب ، كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه ، ولا سعادة للقلب ولا صلاح

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) « إغاثة اللهفان » (١/ ١٢) .

(٣) سورة الأنعام الآية (١٢٢) .

ولا نعيم إلا بأن يكون اللَّه هو إلهه ومعبوده وغاية مطلوبه ، وأحب إليه من كل ما سواه .

القلوب الطاهرة قلوب امتحنها اللَّه للتقوى :ـ

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[(١)] ، قال الألوسي في روح المعاني : « أخلصها للتقوىٰ ، أي جعلها خالصة لأجل التقوىٰ ، أو أخلصها لها ، فلم يبق لغير التقوىٰ فيها حق ، كأن القلوب خلصت ملكًا للتقوىٰ » .

والقلوب الطاهرة قلوب منيبة :ـ

قال اللَّه تبارك وتعالىٰ :﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[(٢)] فالذنوب والمعاصي تفسد القلب ، وتضعف توحيده ، وكلما ازداد العاصي خبثًا ازداد من اللَّه بعدًا ، ولهذا قال المسيح عليه السلام فيما رواه عنه الإمام أحمد في كتاب الزهد : « لا يكون البطالون حكماء ، ولا يلج الزناة ملكوت السماء » .

القلب الطاهر هو القلب السليم :ـ

قال تعالىٰ مادحًا خليله : ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[(٣)] ، وقال تعالىٰ ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[(٤)] ، فالقلب الطاهر «سلم من كل شهوة تخالف أمر اللَّه ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، فسلم من عبودية ما سواه ، وسلم من تحكيم غير رسوله ، فسلم في محبته مع تحكيمه لرسوله ، في خوفه ورجائه ، والتوكل عليه ، والإنابة

---

(١) سورة الحجرات الآية (٣) .

(٢) سورة ق الآية (٣٣) .

(٣) سورة الصافات الآية (٨٤) .

(٤) سورة الشعراء الآيتان (٨٨ ، ٨٩) .

إليه، والذل له ، وإيثار مرضاته في كل حال ، والتباعد من سخطه بكل طريق، هذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا للَّه وحده .

فالقلب الطاهر السليم : هو الذي سلم من أن يكون لغير اللَّه فيه شرك بوجه ما ، بل قد خصلت عبوديته للَّه تعالىٰ إرادة ومحبة ، وتوكلاً وإنابة ، وإخباتًا ، وخشية ورجاء ، وخلص عمله وأمره كله للَّه ، فإن أحبَّ أحبَّ في اللَّه ، وإن أبغض أبغض في اللَّه ، وإن أعطىٰ أعطىٰ في اللَّه ، وإن منع منع للَّه ،ولا يكفيه هذا حتىٰ يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم ، فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا علي الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال من أقوال القلب ، وهي العقائد ، وأقوال اللسان ، وهي الخبر عما في القلب ، فيكون الحاكم عليه في هذا كله دِقِّه وجُلِّه إلىٰ ما جاء به الرسول ﷺ »[(١)] .

القلب السليم قلب مطمئن مخبت وجل ليِّن :

قال اللَّه تبارك وتعالىٰ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[(٢)] .

وقال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[(٣)] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[(٤)] .

وقال تعالىٰ : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

---

(١) « إغاثة اللهفان » (١/ ٧ ـ ٨) .
(٢) سورة الرعد الآية (٢٨) .
(٣) سورة الأنفال الآية (٢) .
(٤) سورة الحج الآية (٥٤) .

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (١) .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير** » (٢) ، أي في رقتها ، وتوكلها وخوفها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن القلب الحي يكون صاحبه حي فيه حياء يمنعه عن القبائح ، فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب» (٣) .

طهارة القلب شرط في زكاته :

فزكاة القلب معنىٰ زائد عن طهارته ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ (٤) الآية ، وكذلك ترك الفواحش يزكو به القلب ، وكذلك ترك المعاصي ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ** ﴾ (٥) الآيات ، ،« هي التوحيد والإيمان الذي يزكو به القلب ، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوىٰ الحق من القلب ، وإثبات إلهية الحق في القلب ، وهو حقيقة « لا إله إلا اللَّه » وهذا أصل ما تزكو به القلب » (٦) .

فالقلب الطاهر لا فرح له ولا حياة ولا فلاح ولا نعيم إلا بتوحيده لربه ، فبه يطمئن ، وإليه يسكن ، وإليه يأوي ، وعليه يتوكل ، وبه يثق ، وإياه يرجو ، وله يخاف ، والالتفات إلىٰ غير اللَّه والتعلق بسواه داؤه ، والرجوع إليه دواؤه ، فإن في القلب فاقة لا يسدها شيء سوىٰ اللَّه تعالىٰ

(١) سورة الزمر الآية (٢٣) .
(٢) رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة .
(٣) « أمراض القلوب وشفاؤها » لابن تيمية (ص١٤) .
(٤) سورة التوبة الآية (١٠٣) .
(٥) سورة فصلت الآيتان (٦ ـ ٧) .
(٦) « أمراض القلوب وشفاؤها » لابن تيمية (ص٦ ـ ٧) ، المكتبة السلفية .

أبداً ، وفيه شعث لا يلمه غير الإقبال عليه ، وفيه مرض لا يشفيه غير الإخلاص له ، وعبادته وحده ، فهو دائمًا يضرب على صاحبه حتى يسكن ويطمئن إلى إلهه ومعبوده ، فحينئذ يباشر روح الحياة ، ويذوق طعمها ، ويصير له حياة أخرى غير حياة الغافلين المعرضين عن هذا الأمر الذي له خلق الخلق، ولأجله خلقت الجنة والنار ، وله أُرسلت الرسل ونزلت الرسل، ولو لم يكن جزاء إلا نفس وجوده لكفى به جزاءً وكفى بفوته حسرة وعقوبة .

ولله ما أحلى ربيع هذه القلوب وما أبها زينتها ، فقد كان من دعاء سيد الخلق ﷺ : « **اللّهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا** »[1] .

وقوله ﷺ في دعائه : « **اللّهم زيّنا بزينة الإيمان** » وهي زينة القلب[2] .

لا مكان للغلّ والحقد والحسد في القلوب الطاهرة :

فالقلب الطاهر سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر ، وحب الدنيا والرياسة ، فسلم من كل آفة تبعده من اللَّه ، وسلم من كل شبهة تعارض خبره ، ومن كل شهوة تعارض أمره ، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده ، وسلم من كل قاطع يقطع عن اللَّه ، فهذا القلب السليم في جنة معجلة عن الدنيا ، وفي جنة في البرزخ ، وفي جنة يوم المعاد ، ولا تتم له طهارته وسلامته مطلقًا حتى يسلم من خمسة أشياء : من شرك يناقض التوحيد ، وبدعة تخالف السنة ، وشهوة تخالف الأمر ، وغفلة تناقض الذكر ، وهوى يناقض التجريد والإخلاص ، وهذه الخمسة حجب عن اللَّه، وتحت كل واحد منها أنواع كثيرة تتضمن أفرادًا لا تنحصر .

---

(١) جزء من حديث صحيح .

(٢) جزء من حديث عمار بن ياسر ، رواه النسائي ، والحاكم ، وصححه الألباني .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **خير الناس ذو القلب المخموم واللسان الصادق** » ، قيل : ما القلب المخموم ؟ قال : « **هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد** » ، قيل : فمن على إثره ؟ قال : « **الذى يشنأ الدنيا ، ويحب الآخرة** » ، قيل : فمن على إثره ؟ قال : « **مؤمن فى خُلُقٍ حَسَن** »(١) .

قلوب سادات الطاهرين :

وقلَّما يخلو جسد من حسد ، ولكن اللئيم يبديه ، والكريم يخفيه ، قيل للحسن البصري : أيحسُدُ المؤمن ؟ فقال : ما أنساك إخوة يوسف لا أبا لك ؟ ولكن عمّه في صدرك فإنه لا يضرُّك ما لم تعد به يدًا أو لسانًا .

ومع أن المنافسة في الخير والغبطة مباحة ومحمودة إلا أن هناك حالة أكمل منها كما يوضحها كلام شيخ الإسلام ابن تيمية إذ قال ـ رحمه اللَّه ـ : « وعمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ نافس أبا بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ في الإنفاق كما ثبت في « الصحيح » عن عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « أمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نتصدَّق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقلت : الآن أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا ، قال : فجئت بنصف مالي ، قال : فقال لي رسول اللَّه ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك ؟** » قلت : مثله ، وأتى أبو بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ بكل ما عنده ، فقال له رسول اللَّه ﷺ : « **ما أبقيت لأهلك؟** » قال : أبقيت لهم اللَّه ورسوله ، فقلت : لا أسابقك إلى شيء أبدًا »(٢) .

---

(١) صحيح : روى شطره الأول ابن ماجه ، ورواه الحاكم ، والطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في «الحلية» ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، والسيوطي في « الجامع الكبير » ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٩١) .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، وابن أبي عاصم في « السنة » والبيهقي في «السنن» .

فكان ما فعله عمر من المنافسة والغبطة المباحة ، لكن حال الصديق - رضي اللّه عنه - أفضل منه ، وهو خال من المنافسة مطلقًا ، لا ينظر إلىٰ حال غيره ، وكذلك حال موسىٰ ﷺ في حديث المعراج : حصل له منافسة وغبطة للنبي ﷺ حتىٰ « بكىٰ لما تجاوزه النبي ﷺ ، فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : **أبكي لأن غلامًا بُعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخل الجنة من أمتي** »(١) .

ورویٰ في بعض الألفاظ المروية في غير الصحيح : « **مررنا على رجل وهو يقول ويرفع صوته : أكرمته وفضّلته ، قال : فرفعنا إليه فسلمنا عليه ، فردَّ السلام فقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد ، قال : مرحبًا بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، قال : ثم اندفعنا فقلت : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى ابن عمران ، قلت : ومَنْ يُعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك. قلت : ويرفع صوته ؟ قال : إن اللّه عز وجل قد عرف صدقه** » ، وعمر رضي اللّه عنه كان مشبهًا بموسىٰ ، ونبينا ﷺ حاله أفضل من حال موسىٰ ، فإنه لم يكن عنده شيء من ذلك .

أبوعبيدة بن الجراح طاهر القلب بم استحقَّ لقب « أمين هذه الأمة »؟ :

قال ابن تيمية : « وكذلك كان في الصحابة أبو عبيدة بن الجراح ونحوه ، كانوا سالمين من جميع هذه الأمور ، فكانوا أرفع درجة ممن عنده منافسة وغبطة وإن كان ذلك مباحًا ، ولذا استحق أبو عبيدة - رضي اللّه عنه - أن يكون « أمين هذه الأمة » فإن المؤمن إذا لم يكن في نفسه مزاحمة علىٰ شيء مما ائتمن عليه كان أحق بالأمانة ممن يخاف مزاحمته ، ولهذا يؤتمن علىٰ النساء والصبيان والخصيان ، ويؤتمن علىٰ الولاية الصغرىٰ من يُعرف

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

أنه لا يزاحم على الكبرى ، ويؤتمن على المال مَنْ يُعرف أنه ليس له غرض في أخذ شيء منه ، وإذا اؤتمن من في نفسه خيانة شُبِّه بالذئب المؤتمن على الغنم فلا يقدر أن يؤدي الأمانة في ذلك ، لما في نفسه من الطلب لما اؤتُمِن عليه »[(١)] .

رجل من أهل الجنة ذو قلب طاهر :

عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « كنا جلوسًا مع رسول اللَّه ﷺ فقال : «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** » فطلع رجل من الأنصار تنطف[(٢)] لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد اللَّه بن عمرو بن العاص فقال : إني لاحيت[(٣)] أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت ؟ قال : نعم ، قال أنس : وكان عبد اللَّه يُحدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعارّ[(٤)] وتقلب على فراشه ذكر اللَّه عز وجل وكبّر حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبد اللَّه : غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا ، فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله ، قلت : يا عبد اللَّه إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثمَّ ، ولكن سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول لك ثلاث مرار : **يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة** ، فطلعت أنت الثلاث مرار ، فأردت أن آوي إليك لأنظر

(١) « أمراض القلوب وشفاؤها » (ص١٨ ـ ١٩) .
(٢) نطف الماء ينطف إذا قطر قليلاً .
(٣) لاحيت أي خاصمت .
(٤) تعارَّ : أي استيقظ .

ما عملك فأقتدي به ، فلم أرك تعمل كثير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول اللَّه ﷺ ؟ فقال : ما هو إلا ما رأيت ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشًا ، ولا أحسدُ أحدًا على خير أعطاه اللَّه إياه ، فقال عبد اللَّه : هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق »[1] .

* * *

(١) صحيح : رواه أحمد في « مسنده » ، وقال المنذري : إسناده على شرط البخاري ومسلم والنسائي ورواته احتج بهم أيضًا إلا شيخه سويد بن نصر وهو ثقة ، وكذا رواه أبو يعلى والبزار بنحوه وسمَّى الرجل المبهم سعدًا ، وقال في آخره : فقال سعد : ما هو إلا ما رأيت يا بن أخي إلا أني لم أبت ضاغنًا على مسلم أو كلمة نحوها ، وذكره النسائي والبيهقي والأصبهاني ، وعند البيهقي أنه عبد اللَّه بن عُمر لا ابن عَمرو .

البريئــــــة

أيــديــهم

البريئة أيديهم

الأيدي البريئة . . . الأيدي المتوضئة . . . التي أزالت بماء السماء وطهرها غبش الأرض عنها . . . . الأيدي التي لا تمتد بسوء إلى الناس وإنما هي دائمًا للخير وفي الخير .

الأيدي البريئة تعلم جنايات الأيدي ؛ وأن معظم الكبائر والمعاصي لها متعلق باليد قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[١] ، وقوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[٢] .

الأيدي البريئة تخشى المساءلة يوم الحساب ويوم نطق الجوارح وتقدّر لهذا اليوم العقيم مكانته :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٤] .

- الأيدي البريئة لا تقتل النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق . . . كخير ولدي آدم .

قال تعالى : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾[٥] .

---

(١) سورة آل عمران الاية (١٨٢) .
(٢) سورة الروم الآية (٤١) .
(٣) سورة النور الآية (٢٤) .
(٤) سورة يس الآية (٦٥) .
(٥) سورة المائدة الآية (٢٨) .

تعلم قول رسول اللَّه ﷺ : « **الكبائر تسع ، أعظمهن إشراك باللّه، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، والفرار يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، واستحلال البيت الحرام ، قبلتكم أحياءً وأمواتًا** »[١] .

وقال ﷺ : « **الكبائر الإشراك باللّه ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس** »[*] .

تعلم حديث رسول اللَّه ﷺ : « **لزوال الدنيا أهون على اللّه من قتل مؤمن بغيرحق** »[٢] .

وقول رسول اللَّه ﷺ : « **أبغض الناس إلى اللّه ثلاثة : ملحد[٣] في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطّلِب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه** »[٤] .

وقال ﷺ : « **لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها؛ لأنه أول من سنّ القتل** »[٥] .

● الأيدي البريئة لا تجني على نفسها وتعذب نفسها :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **الذي يخنق نفسه يخنقها في النار ، والذي يطعنها يطعنها فى النار** »[٦] .

وقال ﷺ : « **من قتل نفسه بحديدة ، فحديدته في يده يتوجأ[٧] بها في**

---

(١) حسن : أخرجه أبو داود ،والنسائي عن عمير ،وكذا أخرجه الطحاوي ، والحاكم في «المستدرك» والبيهقي في « سننه » ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٤٦٠٥) .

(*) رواه أحمد ، والبخاري ،والترمذي ، والنسائي عن ابن عمرو .

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجه عن البراء ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٠٧٨).

(٣) أي : الذي يرتكب فيه ما حرّمه اللَّه .

(٤) رواه البخاري عن ابن عباس .

(٥) أخرجه أحمد ، والبخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي، وابن ماجه ، عن ابن مسعود.

(٦) أخرجه البخاري عن أبي هريرة .

(٧) أي يطعن .

بطنه، في نار جهنم ، خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن شرب سمّا ، فقتل نفسه ، فهو يتحساه[١] **في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تردى**[٢] **من جبل ، فقتل نفسه فهو يتردّى في نار جنم خالداً مخلداً فيها أبداً »**[٣] .

● الأيدي البريئة لا تكتب الربا ولا تشهد عليه :

قال ﷺ : « **آكل الربا ، ومُوكِلُه ، وكاتبه ، وشاهداه ، إذا علموا ذلك ، والواشمة ، والموشومة للحسن ولاوى الصدقة والمرتد أعرابياً بعد الهجرة ، ملعونون على لسان محمد يوم القيامة** »[٤] .

● الأيدي البريئة لا تخطّ شهادة الزور ولا تكتبها :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أكبر الكبائر الإشراك باللّه ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور** »[٥] .

● الأيدي البريئة لا ترهب مسلمًا :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا شهر المسلم على أخيه سلاحاً ، فلا تزال ملائكة اللّه تلعنه حتى يشيمه**[٦] **عنه** »[٧] .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة : فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك**

(١) أي يشربه .
(٢) أي : رمى بنفسه .
(٣) رواه أحمد ، والبخاري ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن أبي هريرة .
(٤) صحيح : أخرجه النسائي ، عن ابن مسعود ، وكذا أخرجه ابن خزيمة في « صحيحه » ، والحاكم في « المستدرك » ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥) .
(٥) أخرجه البخاري عن أنس .
(٦) أي يغمد سيفه ويخفيه .
(٧) حسن : أخرجه البزار عن أبي بكرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٣٥) .

الفرج ويكذبه »[١] .

• الأيدي البريئة لا تبطش ولا تزني ولا تظلم ولا تفتك :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن الظلم ظلمات يوم القيامة** »[٢] .

وقال رسول اللَّه ﷺ : « **من ضَرب بسوط ظلماً اقتُصّ منه يوم القيامة**»[٣] .

• الأيدي البريئة أبعد ما تكون عن الرشوة فقد قال رسول اللَّه ﷺ : «**لعنة اللَّه على الراشي ، والمرتشي** »[٤] .

• الأيدي البريئة بينها وبين السرقة كما بين المشرق والمغرب :

قال ﷺ : « **ألا إنما هي أربع : لا تشركوا باللَّه شيئاً ، ولا تقتلوا النفس التي حرّم اللَّه إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا** »[٥] .

وفي الحديث : « **ملعون من سبّ أباه ، ملعون من سبّ أمه ، ملعون من ذبح لغير اللَّه ، ملعون من غيرّ تخوم**[٦] **الأرض ، ملعون من كمّه**[٧] **أعمى عن طريق، ملعون من وقع على بهيمة ، ملعون من عمل بعمل قوم لوط** »[٨] .

• الأيدي البريئة لا تضاهي خلق اللَّه ولا تصوّر :

---

(١) رواه مسلم ، وأحمد ، والحاكم عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم ، والترمذي عن ابن عمر .

(٣) صحيح : رواه البخاري في « الأدب المفرد » ،والبيهقي في « سننه » ، والطبراني في « الأوسط» عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٣٧٤) .

(٤) صحيح : أخرجه أحمد في « مسنده » ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه عن ابن عمرو، وصححه الألباني في « الإرواء » رقم (٢٦٢١) وفي « صحيح الجامع » رقم (٥١١٤) .

(٥) صحيح : أخرجه أحمد ، والنسائي ، والحاكم عن سلمة بن قيس ، وصححه الحاكم في «المستدرك» ، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » رقم (١٧٥٩) ، و« صحيح الجامع » رقم (٢٦٤٠) .

(٦) معالمها وحدودها .

(٧) أي : أضلّ .

(٨) صحيح : أخرجه أحمد في « مسنده » عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٨٩١) .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أشد الناس عذابًا المصورون ، يُقال لهم أحيُوا ما خلقتم** »[١] .

● وهي بريئة من حمل الخمر وعصرها وشربها :

قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ،وساقيها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وبائعها ومشتريها ، وآكل ثمنها**»[٢] .

● وفي كبائر الأيدي قال رسول اللَّه : « **لعن اللَّه الواشمات ، والمستوشمات ، والنامصات ، والمتنمصات ، والمتفلجات[٣] للحسن ، المغيّرات خلق اللَّه** »[٣] .

● والأيدي البريئة لا تطفف الكيل والميزان :

قال رسول اللَّه ﷺ :

« **خمس بخمس ، ما نقض[٤] قوم العهد[٥] إلا سُلّط عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل اللَّه إلا فشا [٦] فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة [٧] إلا فشا فيهم الموت ، ولا طفّفوا الميكال إلا مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين [٨] ، ولا منعوا**

---

(١) صحيح : روه أحمد في « مسنده » عن ابن عمر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٩٩) .

(٢) صحيح : أخرجه الحاكم في « المستدرك » وصححه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » ، وابن حبان في « صحيحه » ، والضياء في « المختارة » عن ابن عباس ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٠٢) .

(٣) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن ابن مسعود والمتفلّجة : هي التي توسّع بين أسنانها ؛ تبتغي بذلك الزينة .

(٤) أبطلوه وتركوا العمل به .

(٥) عهد اللَّه وعهد رسوله ﷺ .

(٦) انتشر . (٧) الزنا .

(٨) مفردها سَنَة وهي : الجدب والقطر .

الزكاة إلا حُبس عنهم القطر»[1] .

● الأيدي المتوضئة البريئة لا تمس نردًا ولا تعبث ولا تلهو .

● الأيدي المتوضئة البرئية لا تدبّج فتاوىٰ الزور وتدنّس شرف العلم :

قال رسول اللَّهﷺ : « **إن أخوف ما أخاف على أمتي ، الأئمة المضلون** » .

● الأيدي البريئة . . . بريئة من فكر الزور والمحادة للَّه ورسوله فلا تخطّ بيمينها فكرًا عفنًا عقلانيًا يغتال الأمة ، ولا تدبّج المدائح في مدح الظلمة والطواغيت .

سجّل بكفك في القرطاس ما كتبت كلتا يديك به أمسيت مرهونا

● الأيدي البريئة الطاهرة تمد يدها بالخير ؛ تغيث المضطر والملهوف ، تصافح أهل الخير ، تبايع اللَّه ورسوله أن تكون دومًا مبسوطة بالخير والعون لكل محتاج : تهدي الأعمىٰ ، ترشد الضال ، تميط الأذىٰ عن الطريق ، تغرس الأشجار ، تحفر بئرًا ، تزرع نخلاً ، تبني مسجدًا ، تجهّز غازيًا ، تجاهد المنافقين ، وتردّ صولة المارقين بما تخطّه ببنانها وهذا أخصّ الجهاد وأشرفه .

* * *

(١) حسن : أخرجه الطبراني في « الكبير » عن ابن عباس ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٢٤٠) .

الذين إذا ذكرت ذكروا بي

وإذا ذكروا ذكرت بهم

الذين إذا ذكرت ذكروا بي
وإذا ذكروا ذكرت بهم

بأبي وأمي أولياء اللَّه أهل اللَّه الذين قال اللَّه تعالىٰ فيهم : ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[1] .

وقال فيهم رسول اللَّه ﷺ : « **أولياء اللَّه تعالى ، الذين إذا رُءوا ذُكر اللَّه تعالى** »[2] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن للَّه تعالى أهلين من الناس** ، قالوا من هم يا رسول اللَّه ؟ قال : « **أهل القرآن ، هم أهل اللَّه وخاصته** »[3] .

وللَّه در إقبال حين يقول :

الدين يحيا في سعادة أهله	**والكأس لا تبقى بغير الساقي**
أين الذين بنار حبك أرسلوا الأنـ	**ـوار بين محافل العشاق**
سكبوا الليالي في أنين دموعهم	**وتوضّأوا بمدامع الأشواق**
والشمس كانت من ضياء وجوههم	**تهدي الصباح طلائع الإشراق**[4]

(١) سورة يونس الآية (٦٢) .

(٢) صحيح : أخرجه الحكيم عن ابن عباس ، وكذا أخرجه ابن صاعد ، وأبو نعيم ، والديلمي ، وصححه الألباني في « السلسلة الصحيحة » رقم (١٦٤٦) ، و« صحيح الجامع » رقم (٢٥٨٧) .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والحاكم عن أنس ، وأخرجه الطيالسي ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وابن نصر ، وابن عساكر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢١٦٥) .

(٤) من قصيدة « شكوىٰ » لمحمد إقبال ترجمة الشيخ الصاوي شعلان ـ انظر : « الصوفية في إلهامهم » (ط/ ١٦١) ـ طبع المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية .

ولله در من قال بلسان حالهم :

أرواحنـــا فـوق السـماء ... مـع الكـواكب ساريـةْ
وقلوبنـا مثـل البـدور ... بكل ليـل زاهيـة
ونفوسـنا أنفاسُـها ... كالطيـب أمسـتْ زاكيـة
ولسـاننـا بيت المعـارف ... والعلـوم الراقيـة
وكنـوزنـا بقلوبنـا ... فيهـا المعـاني غاليـة
وأعضـاؤنا طـربت بحبك ... وهـي تـذكر صافيـة
والروح من وَجْدٍ عن الأغـ ... ـيـار عاشـت نائيـة
فنيـتْ به عـنَ غيـره ... فاستـمسـكتْ بالباقيـة
شـرُفتْ به وتلـذّذتْ ... بشهـوده في عافيـة
إن كان جسـمي بالفنـاء ... سقـوفـه متـداعيـة
فالروحَ بعـد فنائـه ... في الخلد شمس ساميـة

هم والله أجمل من نجوم السماء . . . وأين أنوار الكواكب من أنوار قلوب الصالحين .

أمرتقب النجوم من السماء ... نجوم الأرض أبهى في الضياءِ
فتلك تبينُ وقتا ثم تخفى ... وهذي لا تكـدّر بالخفـاء

هم حجج الله على خلقه ، ألبسهم النور الساطع من محبته ، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته ، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته ، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته ، وطهّر سرائرهم بمراقبته ، وطيّبهم بطيب أهل معاملته ، وكساهم حللاً من نسج مودّته ، ووضع على رءوسهم تيجان مسرته .

قد أقامهم على باب قربه ، وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته ، ثم قال : إن أتاكم عليل من فقدي فداووه ، أو آمن مني فحذّروه ، أو راغب في مواصلتي فمنّوه ، أو راحل نحوي فزوّدوه ، أو جبان في متاجرتي فشجّعوه ، أو آيس من فضلي فعِدُوه ، أو راجٍ لإحساني فبشّروه ، أو حسنُ الظنّ بي فباسطوه ، أو محب لي فواظبوه ، أو معظِّمٌ لقدري فعظِّموه ، أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه .

همومهم في الجدّ والطلب ، وأرواحهم في النجاة والقرب ، يستقلّون الكثير من أعمالهم ، ويستكثرون القليل من نعم اللَّه عز وجل عليهم ، إن أنعم اللَّه عليهم شكروا ، وإن مُنِعوا صبروا . . . أذاقهم اللَّه طعم محبّته ، ونعّمهم بمناجاته ، فقطعهم ذلك عن الشهوات وجانبوا اللذات ، وداموا في خدمة ملك الأرض والسموات ، قد اعتقدوا الرضا قبل وقوع القضاء . . . طاب واللَّه عيشهم ودام نعيمهم سليمًا ، وغناهم في قلوبهم مقيمًا ، كأنهم نظروا بأبصار القلوب إلى محجوب الغيوب فقطعوا كل محبوب ، وصار اللَّه جل جلاله هو المُنى والمطلوب .

دعاهم إليه فأجابوه بالجدّ ودوام السير ، فلم يقم لهم اشتغال إذا استيقنوا دعوة الجبار ، فعندها غابت عن قلوبهم أسباب الفتنة بدواهيها ، وظهرت أسباب المعرفة بما فيها ، فصار مطيتهم إليه الرغبة ، وسائقهم الرهبة ، وحاديهم الشوق من المحبة ، حتى أدخلهم في رقّ عبوديته ، وبصّرهم عظيم ربوبيته ، فليس تلحقهم فترة في نيّة ، ولا وَهن في عزمة ، ولا ضعف في خدمة ، ولا تأول في رخصة ، ولا ميل إلى داعي غرّة .

نظر إليهم ربهم نظرة رحمته ، فنثر عليهم من خزائن الربوبية نثار كرامات الخصوصية ، فقاموا بحقيقة العبودية فأغناهم وقرّبهم وناداهم ، وأكرمهم ولطف بهم ودعاهم ، فأتوه حين سمعوا نداءه ، فأيّدهم وقوّاهم ،

واكتنفهم وآواهم ، حتىٰ أجابوه فلبّاهم ، وفي السرّ ناداهم ، وفي كل وقت ناجوه ، وحنّوا إلىٰ مولاهم .

لا يعرف أحدهم له ربًا سواه ، فأعطاه سؤله ومناه ، واصطفاه لخدمته وهداه ، ولمحبته ارتضاه ، ولمعرفته اجتباه ، وأجرىٰ بين يديه أنهاراً من الصدق والصفاء ، والتحقيق والحياء ، والمحبة والرضاء ، والخوف والرجاء ، والصبر والوفاء ، والشكر والافتقار والافتخار ، والتعظيم والتسليم وترك الاختيار ، يزيده اللَّه كل وقت من اللطائف ما عجز الواصفون عن وصفه وهو في قرب من مولاه ، مستوحش من دنياه ، اشتغل باللَّه عن النظر في عقباه ، فهو في أرغد عيش مع مولاه .

لا تخلو الأرض من قائم للَّه بحجة منهم ؛ لكيلا تبطل حجج اللَّه وبيّناته ، أولئك هم الأقلون عددًا ، الأعظمون عند اللَّه قدراً ، بهم يدفع اللَّه عن حُججه حتىٰ يؤدوها إلىٰ نظرائهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هجم بهم العلم علىٰ حقيقة الأمر ، فاستلانوا ما استوعر منه المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلىٰ ، أولئك خلفاء اللَّه فىٰ أرضه ، ودعاته إلىٰ دينه ، هاه هاه ! شوقًا إلىٰ رؤيتهم »[١] .

ما برح للَّه ـ عزّت آلاؤه ـ في البرهة بعد البرهة ، عبادًا ناجاهم في فِكرهم ، وكلّمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظة في الأبصار والأسماع والأفئدة ، يذكّرون بأيام اللَّه ، ويخوّفون مقامه ، بمنزلة الأدلّة في الفلوات[٢] من أخذ القصْد حمدوا إليه طريقه ، وبشّروه بالنجاة ، ومن

(١) من كلام علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ لكميل بن زيد النخعي . قال فيه الخطيب البغدادي : هذا حديث حسن من أحسن الأحاديث معنىً ، وأشرفها لفظًا .

(٢) المفازات والقفار والصحاري .

أخذ يمينًا وشمالاً ذمّوا إليه الطريق وحذّروه الهلكة ، وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات ، وأدلة تلك الشبهات ، أخذوا الذكر من الدنيا بدلاً ، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه ، يقطعون به أيام الحياة ، ويهتفون بالزواجرعن محارم اللّه في أسماع الغافلين ، يأمرون بالقسط ويأتمرون به ، وينهوْن عن المنكر ويأتمرون به ، فكأنهم قطعوا الدنيا إلي الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك ، فكأنما اطّلعوا غيوبَ أهل البرزخ في طول الإقامة فيه ، وحقّقت القيامة عليهم عِدَاتها ، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا ، حتىٰ كأنهم يروْن ما لا يرىٰ الناس ، ويسمعون ما لا يسمعون .

فلوْ مثّلتهم لعقلك في مقاماتهم المحمودة ومجالسهم المشهودة ، وقد نشروا دواوين أعمالهم ، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم عن كل صغيرة وكبيرة أُمروا بها فقصّروا عنها ، أو نُهُوا عنها ففرّطوا فيها ، وحمّلوا ثقل أوزارهم ظهورَهم ، فنشجوا نشيجًا ، وتجاوبوا حنينًا ، يَعجُّون إلىٰ ربهم من مقام ندم واعتراف لرأيت أعلام هدىٰ ، ومصابيح دجىٰ ، قد حفّت بهم الملائكة ، وتنزّلت عَليهم السكينة ، وفُتحت لهم أبواب السماء ، وأُعدت لهم مقاعد الكرامات ، في مقام اطّلع اللّه عليهم فيه ، فرضىٰ سعيهم ، وحمد مقامهم .

يتنسمون[(١)] بدعائه رَوْح التجاوز ، رهائن فاقة إلىٰ فضله ، وأُسارىٰ ذلة لعظمته .

جَرَح طول الأسىٰ قلوبهم ، وطولُ البكاء عيونهم .

لكل باب رغبة إلىٰ اللّه منهم يد قارعة ، يسألون من لا تضيق لديه

---

(١) أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له .
والروْح : النسيم .

المنادح[1] ولا يخيب عليه الراغبون .

كانوا قومًا من أهل الدنيا وليسوا من أهلها ، فكانوا فيها كمن ليس منها ، عملوا فيها بما يبصرون ، وبادروا فيها ما يحذرون ، تقلّبُ أبدانهم بين ظهرانيْ أهل الآخرة ، يرون أهل الدنيا يعظّمون موت أجسادهم ، وهم أشد إعظامًا لموت قلوب أحيائهم .

هم المتقون أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضّوا أبصارهم عمّا حرم اللَّه ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم .

نُزّلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نُزّلت في الرخاء .

ولولا الأجل الذي كتب اللَّه عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقًا إلى الثواب ، وخوفًا من العقاب .

عَظُم الخالق في أنفسهم فصَغُر ما دونه في أعينهم ؛ فهم والجنّةُ كمن قد رآها فهم فيها منعّمون ، وهم والنار كمنْ قد رآها ؛ فهم فيها معذّبون ؛ قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة .

صبروا أيامًا قصيرة أعقبتهم راحة طويلة ، تجارة مربحة يسّرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يُريدوها ، وأَسَرَتْهُم ففدواْ أنفسهم منها ، أما الليل فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يُحزنُون به أنفسهم ، ويستثيرون دواء دائهم ، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا ، وظنّوا أنها نُصْب أعينهم ، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغواْ إليها مسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم

(١) المنادح : المواضع المتسعة .

وشهيقها في أصول آذانهم ، فهم حانون علىٰ أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، يطلبون إلىٰ اللّه تعالىٰ فكاك رقابهم .

وأما النهار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء ، قد براهم الخوف بَرْيَ القداح[١] ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضىٰ ، وما بالقوم من مرض ، ويقول قد خُولطوا[٢] ولقد خالطهم أمر عظيم ، لا يَرْضَوْن من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم مُتّهِمون ، ومن أعمالهم مشفقون .

فمن علامة أحدهم : أنك ترىٰ له قوة في دين ، وحزمًا في لين ، وإيمانًا في يقين ، وحرصًا في علم ، وعلمًا في حِلم ، وقصدًا في غنىٰ ، وخشوعًا في عبادة ، وتجمّلاً في فاقة ، وصبرًا في شدة ، وطلبًا في حلال ، ونشاطًا في هدىٰ ، وتحرّجًا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو علىٰ وَجَل ، يُمسي وهمّه الشكر ، ويصبح وهمّه الذكر ، يبيت حذرًا ، ويصبح فرحًا ، حذرًا لما حُذّر من الغفلة ، وفرحًا بما أصاب من الفضل والرحمة ، قرّة عَينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقىٰ .

تراه قريبًا أملهُ ، قليلاً زلَلُهُ ، خاشعًا قلبهُ ، قانعة نفسهُ ، منزورًا أكلُه ، سهلاً أمرُه ، حَرِيزًا دينه[٣] ، ميّتة شهوتُه ، مكظومًا غيظُه ، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون .

---

(١) جمع قِدح وهوالسهم قبل أن يراش . وبراه : نحته أي : رقّق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت .

(٢) خولط في عقله : أي مازجه خلل فيه ، والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هوالخوف الشديد من اللّه .

(٣) منزورًا أي : قليلاً ، حريزًا : حصينًا.

يعفو عن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشُه ، ليِّنًا قوله ، غائبًا منكره ، حاضراً معروفُه ، مقبلاً خيره ، مدبراً شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور .

لا يَحيفُ على مَن يُبغِضُ ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه ، لا يُضيع ما استحفظ ، ولا ينسى ما ذُكِّر ، ولا ينابز بالألقاب، ولا يُضارُّ بالجار ، ولا يشمت بالمصائب ، ولا يدخلُ في الباطل، ولا يخرج من الحق .

إن صمت لم يغمّه صمته ، وإن ضَحِك لم يعلُ صوته ، وإن بُغي عليه صبر حتى يكون اللَّهُ هو الذي ينتقم له ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه .

بعدُه عمّن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوّه ممن دنا منه لين ورحمة ، ليس تباعُدُه بكِبرٍ وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة » .

للَّه در أحدهم إذ يقول :

وقفتُ على نجوى الإله جوانحي ... لذلك قلبي منزل كله ذكرُ
وأخليت قلبي من مناجاة غيره ... فأصبح طوداً لا يزلزله الغيرُ
أسارع مشتاقاً وأسكت هائماً ... وأنطق إجلالاً وما عاقني سيرُ
ففي صحوتي شوقٌ وفي غفوتي هوى ... وفي مشيتي علم وفي وقفتي سرُّ
هُمُ الجواهر طبعاً لا يغيّرهم ... مرّ الزمان وهُم من أهله الدررُ
ملائك اللَّه ترعاهم وتتبعهم ... والفضل يحضرُ فيهم أينما حضروا
مَن أمّهم كان فضل اللَّه غامرهُ ... وحيث منزلهم يستنزل المطرُ

أزكى القلوب وأسماها وأشرفها من بالهــداية والإيمــان يأتزرُ
والقانتون لهم في الحب إن صبروا روض من العزّ لم يذبل لهُ ثمــرُ
مياهـــه الذكر والتقوى منابعه والعلم والدين والآيـــات والعبـــر
خلّ المعــارف للعشاق تقطفهـــا إن كنتَ منهم فسرْ واسهر كما سهروا

نعم هذي صفات أهل اللَّه والمتقين :

قومٌ كرام السجايا أينما جلسوا يبقى المكان على آثارهم عطرًا

نعم :

تشتاقكم كل أرض تنزلون بها كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشتهي العين فيكم منظرًا حسنًا كأنكم في عيــون النـــاس أقمار
لا أوحــش اللَّه ربعًا من زيارتكـــم يا مَن لهم فى الحشا والقلب تذكار

• **قال ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ :**

« النظر إلىٰ الرجل من أهل السنة يدعوا إلىٰ السنّة وينهىٰ عن البدعة عبادة »[(١)] .

• كان الناس إذا رأوا محمد بن سيرين داخلاً السوق سبّحوا اللَّه لمخايل النور التي علىٰ وجهه .

قال أبو عوانة : رأيت محمد بن سيرين في السوق ، فما رآه أحد إلا ذكر اللَّه[(٢)] ، وكذا أيوب السختياني .

• **قال أبو زرعة الرازي** : سمعت أبا جعفر الجمّال يقول : أتينا وكيعًا

---

(١) « شرح أصول الاعتقاد » للالكائي (١/ ٥٥) .
(٢) « السير » (٤/ ٦١٠) ، و« المعرفة والتاريخ » للفسوي بنحوه (٢/ ٦٣) .

فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة ، فلما بصرنا به ، فزعنا من النور الذي رأيناه يتلألأ من وجهه فقال رجل بجنبي : أهذا مَلَك ؟! فتعجَّبنا من ذلك النور (١) .

• ومحمد بن واسع كان وجهه كوجه الثكلى :

يقول جعفر بن محمد : كنت كلما قسىٰ قلبي نظرت إلىٰ وجه محمد ابن واسع .

• الفضل بن عياض :

قال شيخ الإسلام عبد اللَّه بن المبارك : إذا نظرت إلي الفضيل ، جدّد لي الحزن ، ومقتُّ نفسي ، ثم بكىٰ(٢) .

ابن المبارك سيد العلماء كما قال عنه الرشيد يقول هذا .

ابن المبارك الذي رآه أبو حاتم الفربري في المنام واقفًا علىٰ باب الجنة بيده مفتاح .

فقال له : ما يوقفك ههنا ؟

فقال : هذا مفتاح الجنة دفعه إليّ رسول اللَّه ﷺ وقال : « **حتى أزور الربّ ، فكن أميني فى السماء ، كما كنت أميني في الأرض** » .

ابن المبارك الذي ذكر البخاري في ترجمته لأبيه : « وصافح ابن المبارك» (٣) فهذه منقبة والد البخاري .

• الفضيل وأبو إسحاق الفزاري :

قال الفضيل بن عياض : « ربما اشتقت إلىٰ المِصِّيصة ، ما بي فضل

(١) انظر : « السير » ترجمة وكيع (٩/ ١٤٠ ـ ١٦٨) .
(٢) « سير أعلام النبلاء » (٨/ ٤٣٨) .
(٣) انظر : « هدي الساري مقدمة فتح الباري » .

الرباط إلا أن أرىٰ أبا إسحاق ـ رحمه اللَّه ـ »[1] .

• ورَوىٰ الذهبي بإسناده في « السير » عن رجل من خراسان قال : عندنا بخراسان يظنون أن أحمد لا يشبه البشر يظنون أنه من الملائكة .

وقال آخر : نظرة عندنا من أحمد تعدل عبادة سنة .

قال الذهبي : معلقًا : هذا غلو لا ينبغي ، لكن الباعث له حب ولي اللَّه في اللَّه .

قال المروزي : رأيت طبيبًا نصرانيًا خرج من عند أحمد معه راهب ، فقال : إنه سألني أن يجيء معي ليرىٰ أبا عبد اللَّه .

وأدخلت نصرانيًا علىٰ أبي عبد اللَّه ، فقال له : إني لأشتهي أن أراك منذ سنين ما بقاؤك صلاح للإسلام وحدهم ، بل للخلق جميعًا .

• وسفيان الإمام ... سفيان الثوري :

عن شعيب بن حرب قال : إني لأحب أنه يجاء غدًا بسفيان حجة من اللَّه علىٰ خلقه يقول لهم : لم تدركوا نبيّكم ، قد رأيتم سفيان[2] .

• الحافظ الأثري عبد الغني المقدسي :

قال عنه محمد بن سلامة الحرّاني بأصبهان : كان الحافظ يصطف الناس في السوق ينظرون إليه ، ولو أقام بأصبهان مدة وأراد أن يملكها ملكها .

قال الضياء المقدسي : « كان إذا خرج للجمعة لا نقدر نمشي معه من كثرة الخلق ، يتبركون به ويجتمعون حوله »[3] .

---

(١) « سير أعلام النبلاء » (٨/ ٥٤١) .

(٢) انظر : ترجمة الثوري في « السير » (٧/ ٢٢٩ـ٢٧٩) .

(٣) « السير » (٢١/ ٤٥٦ـ٤٥٧) .

ومن عجب أني أحنّ إليهم وأسأل شوقًا عنهمُ وهمُ معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي

وقال المتيم عبد اللَّه بن خضر الرومي في شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية :

فارقتُ من كان يرويني برؤيته إذا تبدّى بدا سرُّ العبادات
يروي الأحاديث عن سكّان كاظمة فيطرب الكون من طيب الروايات
ويُطنب الذكر في إحسان حُسنهمُ فيرقص القلب شوقًا نحو ساداتِ
هُمُ مرادي وهُم سؤلي وهم أملي وهم نهاية مقصودي وغاياتي
وهم سروري وهم سمعي وهم بصري وهم نعيمي وروضاني وجنّاتي
وهم حياتي وهم أنسي وهم شرفي وذكركم لم يزل في القلب جلواتي

أخي : حين تكون الصباحات منكفئة الشموس فتبدو مثل بئر عتمة ؛ فإن أفق الربانيين القانتين المحبين يبقى بهيًا . . ندي الضياء ، بينما أفق المارقين، يضجّ ظلمة ، حتى حين يكون غارقًا بمياه الشمس . . .

إن الهدى وحده الذي يسكب الندى والرحيق في الأرواح مهما ازدحمت الفضاءات بدخان الحرائق .

* * *

الذين يسبغون الوضوء

في المكاره

الذين يسبغون الوضوء في المكاره

« إذا قمت إلىٰ وضوئك فأيقن في نفسك واعزم في خاطرك علىٰ أن لهذا الماء سراً روحانيًا من أسرار الغيب والحياة ، وأنه رمز للسماء عندك ، وأنك إنما تتطهر به من ظلمات نفسك التي امتدت علىٰ أطرافك ، ثم سمّ اللَّه تعالىٰ ، ثم تَمَثَّل أنك غسلت يديك مما فيهما ومما تتعاطاه بهما من أعمال الدنيا ، وأنك آخذ فيهما من السماء لوجهك وأعضائك ؛ وقرِّر عند نفسك أن الوضوء ليس إلاّ مسحة سماوية تسبغها علىٰ كل أطرافك ليشعر بها جسمك وعقلك ، وأنك بهذه المسحة السماوية تستقبل اللَّه في صلاتك سماويًا لا أرضيًا .

فإذا أنت استشعرت هذا وعملت عليه وصار عادة لك ، فإن الوضوء حينئذ ينزل من النفس منزلة الدواء ، كلما اغتممت أو تكرّهت أو تسخطت أو غشيك حزن أو عرض لك وسواس ؛ فما تتوضأ علىٰ تلك النيّة إلا غسلت الحياة وغسلت الساعة التي أنت فيها من الحياة .

وترىٰ الماء تحسبه هدوءاً ليّنًا لين الرضىٰ ، وإذا هو ينساب في شعورك وفي أحوالك جميعًا »[1] .

● قال رسول اللَّه ﷺ : « **أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى**[2] **؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفيّ ، حتى وجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما في السموات وما في الأرض ، فقال : يا محمد ، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفّارات ، والدرجات ، والكفارات : المُكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي**

(١) « وحي القلم » لمصطفىٰ صادق الرافعي (٢/ ٩٨) .

(٢) أي الملائكة .

على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره ، قال : صدقت يا محمد! ومَنْ فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : يا محمد إذا صليت فقل : اللّهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي ، وترحمني وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام »(١) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « إسباغ الوضوء شطر(٢) الإيمان ، والحمد للّه تملأ الميزان ، والتسبيح والتكبير يملأ السماوات والأرض ، والصلاة نور ، والزكاة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها »(٣) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « إسباغ الوضوء في المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ؛ يغسل الخطايا غسلاً »(٤) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « ألا أدلكم على ما يكفّر اللّه به من الخطايا ، ويزيد في الحسنات ؟ إسباغ الوضوء على المكروهات ، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة »(٥) .

---

(١) صحيح : رواه عبد الرزاق في « مصنفه » ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي عن ابن عباس ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٩) .

(٢) شطر : نصف .

(٣) صحيح : رواه أحمد ، والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان عن أبي مالك الأشعري ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٢٥) .

(٤) صحيح : رواه أبويعلى ، والحاكم في « المستدرك » ، والبيهقي في « شعب الإيمان » عن علي وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٩٢٦) .

(٥) صحيح : رواه ابن ماجه عن أبي سعيد ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٦١٧) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحو اللّه به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط** »[(١)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ثلاث مهلكات ، وثلاث منجيات ، وثلاث كفّارات، وثلاث درجات :**

فأما المهلكات : فشحٌ مطاع ، وهوىً متّبَع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وأما المنجيات : فالعدل فى الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وخشية اللّه تعالى في السرّ والعلانية .

وأما الكفّارات : فانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء فى السبرات[(٢)] **، ونقل الأقدام إلى الجماعات .**

وأما الدرجات ،فإطعام الطعام وإفشاء السلام ،والصلاة بالليل والناس نيام»[(٣)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **كفارات الخطايا : إسباغ الوضوء علي المكاره ، وإعمال الأقدام إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة** »[(٤)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إذا توضأ الرجل المسلم خرجت خطاياه من سمعه وبصره ويديه ورجليه ، فإن قعد قعد مغفوراً له** »[(٥)] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يصلي الصلاة إلا غُفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها** »[(٦)] .

---

(١) رواه مسلم ومالك وأحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة .

(٢) السبرات : البرد الشديد .

(٣) حسن : واه الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر ،وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٤٥) .

(٤) صحيح : رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٨٩) .

(٥) حسن : رواه أحمد ، والطبراني في « الكبير » عن أبي أمامة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٨) .

(٦) صحيح : رواه النسائي وابن حبان عن عثمان ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٦٨٩) .

• وقال رسول اللّه ﷺ: «**ما من عبد مسلم توضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى للّه في كل يوم ثنتيْ عشرة ركعة، تطوعاً غير فريضة، إلا بنى اللّه له بيتاً في الجنة**»(١).

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يُقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة** »(٢).

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول حين يفرغ من وضوئه : أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمداًعبده ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء** »(٣).

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه** »(٤).

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظافره** »(٥).

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **من توضأ مثل وضوئي هذا ، وقام فصلى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه بشيء غُفِر له ما تقدّم من ذنبه** »(٦).

• وقال رسول اللّه ﷺ : « **أنتم الغرّ المُحَجّلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء**»(٧).

---

(١) رواه مسلم عن أم حبيبة .
(٢) رواه مسلم وأبو داود عن عقبة بن عامر .
(٣) رواه مسلم ، وأحمد ، وأبو داود والنسائي عن عمر .
(٤) حسن : رواه أحمد ، وأبو داود والحاكم في « المستدرك » عن زيد بن خالد الجهني ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (٦١٦٥) .
(٥) رواه مسلم وأحمد عن عثمان .
(٦) صحيح : رواه النسائي عن عثمان ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦١٧٥).
(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**أمتي يوم القيامة غرٌّ من السجود ، محجلون من الوضوء**»[(١)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**»[(٢)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ مبينًا أن الوضوء الحق مثل وضوئه فمن زاد فقد أساء قال ﷺ : « **هكذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء وظلم** »[(٣)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **هذا الوضوء فمن زاد على هذا فقد أساء أو تعدى وظلم** »[(٤)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : « **لا وضوء لمن لم يذكر اسم اللَّه عليه** »[(٥)] .

سيدنا بلال الطاهر دائماً المحافظ على وضوئه أبداً :

انظر إلىٰ هذه المنقبة العظيمة لبلال - رضي اللَّه عنه - وسببها الوضوء .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **يا بلال حدّثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دفّ نعليك بين يديّ في الجنة** » ، قال : « ما عملتُ عملاً أرجىٰ عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي » رواه أحمد والبخاري ومسلم .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي عن عبد اللَّه بن بسر ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٣٩٧) .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة .

(٣) حسن : رواه أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه عن ابن عمرو ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٠١٥) .

(٤) حسن : رواه أحمد ، وابن ماجه عن ابن عمر وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٩٨٩) .

(٥) صحيح : رواه الترمذي عن سعيد بن زيد ، ورواه الترمذي في « العلل » عن أبي هريرة ، وأحمد والترمذي في « العلل » ، وابن ماجه والحاكم في « المستدرك » عن أبي سعيد ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع » رقم (٧٥٧٣) .

وعند أحمد : « ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين » .

شيخ الإسلام عبد الغني المقدسي وحبه العجيب للوضوء :

كان ـ رحمه اللَّه ـ ربما توضأ سبع مرات أو ثمانيًا في الليل ، وقال : «ما تطيب لي الصلاة إلاّ ما دامت أعضائي رطبة» .

العالم الصالح الناسك ابن عنان المصري الشافعي لا يمكث على غير وضوء لحظة واحدة :

قال ـ رحمه اللَّه ـ : « لا أقدر أجلس على حدث قطّ ، وضوئي دائم ليلاً ونهاراً ، ولقد أصابتني جنابة مرة في ليلة باردة ، وكان على باب داري بركة جمد ظاهرها من البرد فنزلت فيها واغتسلت فوجدتها من شدة الهمة كأنها مُسخنه بالنار » وكان ـ رحمه اللَّه ـ إذا استنجى في الخلاء وأبطأ ماء الوضوء يرى أن يضرب يده في الحائط ويتيمم حتى يجيء الماء ولا يجلس على غير طهارة لحظة واحدة وكان يقول : « من ادّعى مجالسة اللَّه عز وجل وهو يمكث على حدث لحظة واحدة فهو قليل الأدب »(١) .

الوضوء عون للمؤمن :

قال أبو موسى المديني : سمعتُ من يحكي عن قوّام السنة شيخ الإسلام إسماعيل التيمي في اليوم الذي قُدم بولده ميتًا، وجلس للتعزية أنه جدّد الوضوء في ذلك اليوم مرات نحوالثلاثين، كل ذلك يصلي ركعتين(٢) .

وللَّه در القائل :

---

(١) « الكواكب السائرة » (١/ ٣٩ـ ٤٠) .
(٢) انظر ترجمته في « السير » (٢٠/ ٨٠ـ ٨٨) .

إن الوضـــوء ينير كلّ دروبنـــا رمز لطهر النفس والوجـــدان
يشفي من الأحقاد يطفئ غيظنا برد اليقين وراحة الحيـــران
فاحرص على إســباغه وأصوله تظفر برضوان من الرضــوان
الغــرّ معرفـــون يـــوم قيامــة أثرُ السجود وحجلة السِّيقان
فاحــرص على طُهرٍ فنعم سلاحُه نهر الوضوء مطـــهِّر الأدران[(١)]

* * *

(١) قصيدة «الوضوء» من ديوان «الحق المبين» لخيرالدين وانلي (ص١٥٤ـ١٥٥).

المحبـــون للـــه

المحبون لله

المحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون ، وإليها شخص العاملون، وإلىٰ عَلَمِها شمّر السابقون وعليها تفانىٰ المحبون ، وبرَوْح نسَيمها تروّح العابدون ؛ فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرّة العيون ، وهي الحياة التي مَن حرمها فهو من جملة الأموات ، والنور الذي مَن فقده فهو في بحار الظلمات ، والشفاء الذي مَن عُدِمه حلّت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام . . . ، تحمل أثقال السائرين إلىٰ بلاد لم يكونوا إلا بشقّ الأنفس بالغيها ، وتوصّلهم إلىٰ منازل لم يكونوا بدونها أبداً واصليها ، وتُبوِّئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها ، وهي مطايا القوم التي مسراهم علىٰ ظهورها دائمًا إلىٰ الحبيب ، وطريقهم الأقوم الذي يبلّغهم إلىٰ منازلهم الأولىٰ من قريب .

تاللَّه لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة ؛ إذْ لهم من معيّة محبوبهم أوفر نصيب .

فيالها من نعمة علىٰ المحبين سابغة !!

تاللَّه لقد سبق القوم السعاة ، وهم علىٰ ظهور الفرش نائمون ، وقد تقدّموا الرَّكْب بمراحل ، وهم في سيرهم واقفون .

مَنْ لي بمثـــل سيـــرك المدللِ تمشـــي رويداً وتجـــي في الأوّل[1]

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

(١) « مدارج السالكين » (٣/ ٦) .

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [(١)] .

وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [(٢)] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [(٣)] .

وفي « الصحيحين » : عن أنس - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال : **«والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم ، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»** .

● وفي « الصحيحين » أيضًا : أن عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - قال : يا رسول اللَّه ، واللَّه لأنت أحبّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي ، فقال : « **لا يا عمر ، حتى أكون أحبّ إليك من نفسك** » . فقال : واللَّه لأنت أحبّ إليّ من نفسي ، فقال : « **الآن يا عمر** » .

ومعلوم أن محبة الرسول ﷺ تابعة لمحبة اللَّه عز وجل ، فما الظن بمحبة اللَّه عز وجل ؟ .

وفي « الصحيحين » عن أنس - رضي اللَّه عنه - ، عن النبي ﷺ قال : **«ثلاث مَن كُنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان : أن يكون اللَّه ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبّه إلا للَّه ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذْ أنقذه**

---

(١) سورة التوبة الآية (٢٤) .
(٢) سورة البقرة الآية (١٦٥) .
(٣) سورة المائدة الآية (٥٤) .

اللَّه ، كما يكره أن يقذف في النار » .

وفي آخر حديث اختصام الملأ الأعلىٰ الذي رواه معاذ بن جبل - رضي اللَّه عنه - « قال : سل ، قلت : اللَّهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت بقوم فتنة فتوفّني إليك غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب كل عمل يقربني إلىٰ حبك » ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **إنها حق فادرسوها، ثم تعلموها** »[1] .

وفي « الصحيحين » عن أنس أن رجلاً سأل النبي ﷺ ، قال : متىٰ الساعة يا رسول اللَّه ؟ قال : « **ما أعددت لها** ؟ » قال : ما أعددتُ لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكني أحب اللَّه ورسوله ، فقال رسول اللَّه ﷺ : « **أنت مع من أحببت** » .

وفي رواية للبخاري : فقلنا : ونحن كذلك ؟ قال : « **نعم** » ، قال أنس : ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا .

وفي رواية لمسلم : قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحًا أشدّ من قوله : « **أنت مع من أحببت** » .

قال أنس : فأنا أحب اللَّه عز وجل ورسوله ﷺ ، وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم ، وإن لم أعمل بأعمالهم .

قال سمنون : « ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة ؛ لأن رسول اللَّه ﷺ قال : « **المرء مع من أحب** »[2] فهم مع اللَّه في الدنيا والآخرة .

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح ، وخرّجه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في « صحيح الترمذي » رقم (٢٥٨٢) .

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس ، ورواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود .

قال إبراهيم بن أدهم : أعلى الدرجات أن يكون ذكر اللَّه عندك أحلى من العسل ، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف .

يا مَنْ يذكّرني بعهـــد أحبّتـــي — طاب الحديث بذكرهم ويطيبُ
أعـد الحديث عليّ من جنباتـــه — إنّ الحديث عن الحبيب حبيبُ
ملأ الضلوع وفاضَ عن أجنابها — قلب إذا ذُكر الحبيبُ يـذوبُ
ما زال يخفـق ضـاربًا بجناحـــه — يا ليت شعري هل تطير قلوبُ

وللَّه در القائل :

خطـرات ذكري تستثير مودّتـــي — وأحس منها في القلـــوب دبيبًا
لا عضـو لي إلاّ وفيـــه محبّـة — فكأنّ أعضائي خُلِقـن قلـــوبًا

وكمال الحب في أن يحب المرء اللَّه عز وجل بكل قلبه ، وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره ، فبقدر ماينشغل بحب غيراللَّه ينقص منه حب اللَّه .

● ومرتبة الخلّة أعلى مقامات المحّبة ، وهي للخليلين محمد وإبراهيم صلى اللَّه عليهما وسلّم .

و«الخلة » : هي المحبة التي تخلّلتْ روح المحب وقلبه ، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب ، كما قيل :

قد تخللت مسلكَ الروح مني — وبذا سُـــمّي الخليلُ خليـــــلاً

وهذه المرتبة انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى اللَّه عليهما وسلم، كما صحّ عنه ﷺ أنه قال : « **لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً دون ربي ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن اللَّه اتخذ صاحبكم خليلاً** »[(١)] .

---

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود .

وقال ﷺ : « **لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لاتخذت ابن أبي قحافة خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الله** »[١] .

وقال ﷺ: « **إن الله اتخذني خليلاً ، كما اتخذ إبراهيم خليلاً** » [٢] .

أطيب الحياة أن تكون محباً لله محبوباً :

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ، عن النبي ﷺ قال : « **يقول الله عز وجلّ: مَنْ عادى لي وليّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذ بي لأُعيذنه ، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته** »[٣] .

قال ابن القيم : « أطيب الحياة : حياة هذا العبد ؛ فإنه محب محبوب ، ومتقرّب إلىٰ ربه ، وربه قريب منه ، قد صار له حبيبه لفرط استيلائه علىٰ قلبه، ولهجه بذكره ، وعكوف همته علىٰ مرضاته ، بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله ، وهذه آلات إدراكه وعمله وسعيه ؛ فإن سمع سمع بحبيبه ، وإن أبصر أبصر به ، وإن بطش بطش به ، وإن مشىٰ مشىٰ به .

فإن صعب عليك فهْم هذا المعنىٰ ، وكون المحب الكامل المحبّة يسمع ويبصر ويبطش ويمشي بمحبوبه ، وذاته غائبة عنه ؛ فاضرب عنه صفْحًا وخلّ هذا الشأن لأهله .

خلّ الهـــــوى لأناسٍ يُعرفون به قد كابدوا الحب حتى لان أصعبهُ

---

(١) رواه مسلم عن ابن مسعود .

(٢) رواه مسلم والحاكم في « المستدرك » عن جندب بن سمرة .

(٣) رواه البخاري في « صحيحه » كتاب الرقائق باب التواضع .

إن المحب يشرع أولاً في التقربات بالأعمال الظاهرة ، وهي ظاهر التقرّب، ثم يترقى من ذلك إلى حال التقرب ، وهو الانجذاب إلى حبيبه بكلّيته ، بروحه وقلبه ، وعقله وبدنه ، ثم يترقّى من ذلك إلى حال الإحسان ، فيعبد اللَّه كأنه يراه ، فيتقرّب إليه حينئذ من باطنه بأعمال القلوب ؛ من المحبة والإنابة والتعظيم والإجلال والخشية ، فينبعث حينئذ من باطنه الجود ببذل الروح ، والجود في محبة حبيبه بلا تكلّف ، فيجود بروحه ونفسه ، ونَفَسه وإرادته ، وأعماله لحبيبه حالاً لا تكلّفا .

فإذا وجد المحبّ ذلك فقد ظفر بحال التقرّب وسرّه وباطنه ، وإن لم يجده فهو يتقرّب بلسانه وبدنه وظاهره فقط ، فليدُم على ذلك ، وليتكلّف التقرّب بالأذكار والأعمال على الدوام فعساه أن يحظى بحال القرب .

ووراء هذا «القرب الباطن » أمرآخرأيضًا ، وهو شيء لا يعبّر عنه بأحسن من عبارة أقرب الخلق إلى اللَّه ؛ رسول اللَّه ﷺ عن هذا المعنى ؛ حيث يقول حاكيًا عن ربه تبارك وتعالى : « **مَنْ تقرّب مني شبراً تقرّبت منه ذراعًا، ومن تقرّب مني ذراعًا تقرّبت منه باعًا ، ومَن أتاني يمشي أتيته هرولة** » فيجد هذا المبحث في باطنه ذوْق معنى هذا الحديث ذوقًا حقيقيًا .

فذكر من مراتب القرب ثلاثة ، ونبّه به على ما دونها وما فوقها ، فذكر تقرّب العبد إليه بالبرّ ، وتقرّبه سبحانه إلى العبد ذراعًا، فإذا ذاق العبد حقيقة هذا التقرب انتقل منه إلى تقرّب الذراع ، فيجد ذوق تقرّب الربّ إليه باعًا ، فإذا ذاق حلاوة هذا القرب الثاني ؛ أسرع المشي حينئذ إلى ربه ، فيذوق حلاوة إتيانه إليه هرولة ، وها هنا منتهى الحديث ، منبّهًا على أنه إذا هرول عبده إليه كان قرب حبيبه منه فوق هرولة العبد إليه ، فإما أن يكون قد أمسك عن ذلك لعظيم شاهد الجزاء ، أو لأنه يدخل في الجزاء الذي لم

تسمع به أذن ، ولم يخطر على قلب بشر ، أو إحالة على المراتب المتقدّمة ، فكأنه قيل له : وقِس على هذا .

فعلى قدر ما تبذل منك متقربًا إلى ربك يتقرب إليك بأكثر منه ، وعلى هذا فلازم هذا التقرّب المذكور في مراتبه ؛ أيْ : من تقرّب إلى حبيبه بروحه وجميع قواه ، وإرادته وأقواله وأعماله ؛ تقرّب الرب منه سبحانه بنفسه في مقابلة تقرّب عبده إليه .

ما زلتُ أنزلُ من ودادك منـــزلاً تتحيّرُ الألبـــاب عنـــد نزوله

وليس القرب في هذه المراتب كلها قرب مسافة حسيّة ولامُماسة ، بل هو قرب حقيقي ، والرب تعالى فوق سماواته على عرشه ، والعبد في الأرض ، وهذا الموضع هو سرّ السلوك وحقيقة العبودية .

ومِلاك هذا الأمر : هو قصد التقرّب أولاً ، ثم التقرّب ثانيًا ، ثم حال القرب ثالثًا ؛ وهو الانبعاث بالكلية إلى الحبيب .

وحقيقة هذا الانبعاث : أن تفنى بمراده عن هواك ، وبما منه عن حظّك ، بل بضير ذلك هومجموع حظك ومرادك ، وقد عرفت أن من تقرّب إلى حبيبه بشيء جُوزي على ذلك بقرب هوأضعافه ، وعرفت أن أعلى أنواع التقرّب : تقرب العبد بجملته - بظاهره وباطنه - وبوجوده إلى حبيبه ، فمن فعل ذلك فقد تقرّب بكلّه ، ولم تبق منه بقيّة لغيرحبيبه ؛ كما قيل :

لا كان من لســـواك فيه بقيـــةٌ يجد السبيـــل بها إليه العُـــذّلُ

وإذا كان المتقرّب إليه بالأعمال يعطي أضعاف أضعاف ما تُقُرِّب به ، فما الظن بمن أُعطي حال التقرّب وذوقه ووجده ؟! فما الظنّ بمن تقرّب إليه بروحه ، وجميع إرادته ، وهمته وأقواله وأعماله؟!

وهذه الحياة : هي حياة الدنيا ونعِيمها في الحقيقة ، فمن فقدها ففقْده لحياته الطبيعية أولى به .

هذي حياة الفتى فإن فُقِدتْ ففقده للحياة أليقُ به

فلا عيش إلا عيش المحبين الذين قرّت أعينهم بحبيبهم ، وسكنت نفوسهم إليه ، واطمأنت قلوبهم به ، واستأنسوا بقربه ، وتنعّموا بحبه ، ففي القلب فاقة لا يسدّها إلا محبة اللَّه والإقبال عليه والإنابة إليه ، ولا يلّم شعثه بغير ذلك ألبتة ، ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات ؛ فإنه إن كان ذا همة عالية تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات ، فإن همته لا ترضى فيها بالدون، وإن كان مهينًا خسيسًا فعيشه كعيش أخس الحيوانات ، فلا تقرّ العيون إلا بمحبة الحبيب الأول .

أبو بكر الصديق يسبق الأمة بحبه للّه :

عن بكرالمزني قال : ما فاق أبو بكر أصحاب محمد ﷺ بصوم ولا صلاة؛ ولكن بشيء وقر في قلبه .

قال إبراهيم : بلغني عن ابن عليّة أنه قال : في عقيب هذا الحديث : الذي كان في قلبه الحب للَّه عز وجلّ والنصيحة لخلقه[(١)] .

ابن عمر يسأل اللّه حبه :

كان ابن عمر يدعو على الصفا والمروة وفي مناسكه : « اللَّهم اجعلني ممن يحبك ، ويحب ملائكتك ، ويحب رسلك ، ويحب عبادك الصالحين، اللَّهم حببني إليك وإلى ملائكتك ، وإلى رسلك وإلى عبادك الصالحين »[(٢)] .

(١) « استنشاق نسيم الأنس » لابن رجب الحنبلي (ص١٣) ـ المكتب الإسلامي .
(٢) المصدر السابق (ص٤١) .

والعباس عمّ النبي ﷺ يوصي ابنه حبر القرآن بحب اللَّه :

عن عبد اللَّه بن إبراهيم القرشي قال : لما نزل بالعباس بن عبد المطلب الموت قال لابنه عبد اللَّه : إني موصيك بحب اللَّه وحب طاعته ، وخوف اللَّه وخوف معصيته ، وإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت متى أتاك [1] .

وحكيم بن حزام سيد شعاره الحب :

كان ـ رضي اللَّه عنه ـ يطوف بالبيت ويقول : لا إله إلا اللَّه ، نعم الربّ ونعم الإله ، أحبّه وأخشاه [2] .

قال هرم بن حيان : المؤمن إذا عرف ربه أحبّه ، وإذا أحبه أقبل إليه ، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا وتروّحه في الآخرة .

سيروا إلى ربكم بحبه سيراً جميلاً :

قال خُليد العصري : يا إخوتاه : هل منكم من أحد لا يحبّ أن يلقى حبيبه ؟ ألا فأحبوا ربكم عز وجل وسيروا إليه سيراً جميلاً ، لا مصعداً ولا مميلاً [3] .

وللَّه در القائل :

أروحُ وقد ختمتُ على فؤادي ... بحبِّك أنْ يحلَّ به سواكا
فلو أني استطعتُ غضضتُ طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا
أحبُّك لا ببعضي بلْ بكلّيّ ... وإنْ لم يُبْقِ حبُّك لي حِراكا
وفي الأحباب مختصٌّ بوجْدٍ ... وآخرُ يدَّعِي معه اشتراكا

---

(١) « استنشاق نسيم الأنس » (ص١٢٨) .
(٢) المصدر السابق (ص١٢٩) .
(٣) المصدر السابق (ص١٢٧ ، و« حليه الأولياء » (٢/ ٢٣٢) ، و« صفة الصفوة » (٣/ ٢٣٧) .

وكلٌّ يـدعي حبـًـا لـــــربي ... وربي لا يُقـــرّ لهم بـــذاكــا
إذا اشتبكتْ دمـــوعٌ في خــدودٍ ... تبيّــن مَـن بكى ممّـــنْ تباكـــا
فأما من بكـى فيـذوبُ وَجــداً ... وينطق بالهوى من قـد تباكـــا

قال نعيم بن صبيح السعدي : همم الأبرار متصلة بمحبة الرحمن ، وقلوبهم تنظر إلىٰ موضع العزّ من الآخرة بنور أبصارهم .

ضيغم بن مالك السيد المحب الوَجِل :

قال ـ رحمه اللَّه ـ يومًا لمولىٰ له : « منعني ـ واللَّه ـ حب اللَّه من الاشتغال بحبِّ غيره ، ثم سقط مغشيّا عليه »[(١)] .

« وكان رحمه اللَّه يقول هو ساجد : إلهي ، كيف عزَفَتْ قلوب الخليقة عنك ؟! وربما أصابته الفترة ، فإذا وجد ذلك اغتسل ، ثم دخل بيتًا فأغلق بابه وقال : إلهي ، إليك جئت. . .فيعود إلىٰ ما كان من الركوع والسجود .

قالت له أمه ذات يوم : ضيْغَم . . . قال : لبيك يا أماه .

قالت : كيف فرحك بالقدوم علىٰ اللَّه؟ فصاح صيْحة لم يسمعوه صاح مثلها قط ، وسقط مغشيّا عليه فجلست العجوز تبكي عند رأسه وتقول : بأبي أنت !! ما تستطيع أن نذكر بين يديك شيئًا من أمر ربك »[(٢)] .

فتح الموصلي :

قال المعافىٰ بن عمران ياقوتة العلماء : « كلّمت فتْحًا الموصلي في شيء، فقال : لم تترك المحبة للَّه في قلوب أوليائه موضعًا لمحبة غيره » .

---

(١) المصدر السابق (ص١٣٣) .
(٢) « صفة الصفوة » (٣/ ٣٥٩ـ ٣٦٠) .

وعتبة الغلام سيد من سادات المحبين :

« قال سليم الحنيف : رمقتُ عُتبة ذات ليلة ، فما زاد ليلته تلك على هذه الكلمات : إن تعذبني فإني لك محب ، وإن ترحمني فإني لك محب، فلم يزل يرددها ويبكي حتى طلع الفجرُ .

وكان ـ رحمه اللَّه ـ يقول : تُراك مولاى تعذب محبيك وأنت الحي الكريم؟!

قال عنبسة الخواص : فلم يزل يرددها حتى واللَّه أبكاني .

وكان عتبة ـ رحمه اللَّه ـ يقول : من عرف اللَّه أحبه ، ومن أحبّ اللَّه أطاعه ، ومَن أطاع اللَّه أكرمه ، ومن أكرمه أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه ، فلم يزل يقول : وطوباه حتى خرّ ساقطًا مغشيًا عليه »[١] .

كلاب بن جري المحب :

كان ـ رحمه اللَّه ـ يقول في سجوده : وعزتك ، لقد خالط قلبي من محبتك ما يكلّ لساني عمّا أجد منه في نفسي .

يحيى بن معاذ أنموذج عال للمحب الغالي :

للَّه دره وهو يقول : « عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ؟! ورضوانه يستغرق الآمال فكيف حبه ؟!وحبه يدهش العقول فكيف وده؟! ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه ؟!

وقال: مثقال خردلة من الحبّ أحب إليّ من عبادة سبعين سنة بلا حب .

(١) « حلية الأولياء » (٦/ ٢٣٤-٢٣٦) .

وقال : قلب المحب يهيم بالطيران، وتكلمه لدغات الشوق والخفقان .

وقال ـ رحمه اللَّه ـ : « لو أدركت القلوب كنه المحبّة لخالقها ، لانخلعت مفاصلها وَلَهًا ، ولطارت الأرواح إليه من أبدانها دهشًا ، سبحان من أغفل الخليقة عن كنْه هذه الأشياء ، وألهاهم بالوصف عن حقائق هذه الأشياء » .

وقال ـ رحمه اللَّه ـ : أولياؤه أُسراءُ نعمه ، وأصفياؤه رهائن كرمه ، وأحباؤه عبيدُ منَنه ، فهم عبيد محبة لا يُعتقون ، ورهائن كرم لا يُفكّون ، وأسراء نعم لا يُطَلَقون .

قال ـ رحمه اللَّه ـ :

طرب الحبّ على الحبِّ مع الحبِّ يدومْ

عجبـــا لمـــن رأينـــا ... هُ علـــى الحـب يلـــومْ

حـول حبّ اللَّه مـا عشــ ... ــتُ مع الشوقِ أحـــومْ

وبـــه أقعدُ مـــا عشــ ... ــتُ حيــاتي وأقـــومْ

* * *

وقال ـ رحمه اللَّه ـ

نفسُ المحبِّ إلى الحبيب تَطلّــــعُ ... وفؤادهُ من حبــه يتقطّـــعُ

عزُّ الحبيب إذا خــلا في ليلـــــه ... بحبيبه يشكو إليه ويضــرَعُ

ويقــومُ في المحراب يشكو بثّـــهُ ... والقلــبُ منه إلى المحبة ينـزعُ

* * *

وانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يقول :

أموت بدائي لا يُصـــاب دوائيـــا ... ولا فــرجٌ ممَّا أرى في بلائيـــا

يقولون يحيي جُنَّ من بعد صحــّة ولا يعلم العذّال ما في حشائيا
إذا كان داء المرء حب مليكــــــه فمن غيره يرجو طبيباً مداويّــا
ذروني وشأني لا تزيدوا كربتــــي وخلّوا عناني نحو مولى المواليـا
ألا فاهجروني وارغبوا في قطيعتي ولا تكشفوا عمّا يجنّ فؤاديــا
كلوني إلى المولى وكفّوا ملامتــي لآنس بالمولى على كل مابيــــا

* * *

سمنون وما أدراك ماسمنون ؟!

قال له بعض الخلفاء : يا سمنون ، كيف وصلتَ إليه ؟ قال : ما وصلتُ حتى عملتُ ستة أشياء : أمَتُّ ما كان حيًا وهو النفس ، وأحييتُ ما كان ميّتًا وهو القلب ، وشاهدت ما كان غائبًا وهو الآخرة ، وغيّبت ما كان شاهدًا وهو الدنيا ، وأبقيْت ما كان فانيًا وهو المرادُ ، وأفنيتُ ما كان باقيًا وهو الهوىٰ ، واستوحشت مما تأنسون ، وأنست مما تستوحشون .

قال ـ رحمه اللَّه ـ :

لقد كان يسبي القلبَ في كلِّ ليلةٍ ثمانون بلْ تسعون نفساً وأرجــحُ
يهيمُ بهـــذا ثـــم يألفُ غيــــرَهُ ويــسلُوهُمُ من فوره حين يُصبــحُ
وقــد كان قلبي خالياً قبلَ حُبِّكمُ وكان بحبِّ الخلقِ يلهو ويمــرحُ
فلمــــا دعا قلبي هـــواك أجابَــه فلستُ أراهُ عن خبائك يَبْــــرَحُ
حُرِمْتُ مُنائي منك إن كنتُ كاذباً وإنْ كنتُ في الدنيا بغيرك أفــرحُ
وإنَ كان شيءٌ في الوجود سواكمُ يَقَرُّ به القلبُ الجريحُ ويفــــرحُ
إذا لعبتْ أيدي الهـــوى بمُحبِّكم فليس له عن بابكمُ متزَحْــــزَحُ

فإن أدركتْهُ غربـــةٌ عن دياركــم   فحبُّكم بـين الحشا ليس يَـبْـرحُ
وكمْ مشترٍ في الخلقِ قد سـام قلبُهُ   فلم يـره إلا لحبـــك يَصلـــحُ
هوى غيركم نارٌ تلـظّى ومَحْبَـسٌ   وحُبُكُمُ الفردوسُ بل هو أَفْسَحُ

* * *

الجنيد : جبرك اللَّه يا تاج العارفين :

قال الكتاني : جرت مسألة المحبة بمكة أيام الموسم ، فتكلم فيها الشيوخ ، وكان الجُنيد أصغرهم سنّا ، فقالوا : هات ما عندك يا عراقي .

فأطراق رأسه ودمعت عيناه ، ثم قال : « عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، أحرقت قلبَه أنوار هيبته ، وصفا شربه من كأس ودّه ، وانكشف له الجبّار من أستار غيْبه ، فإن تكلمّ فباللَّه ، وإن نطق فعن اللَّه ، وإن تحرّك فبأمر اللَّه ، وإن سكت فمع اللَّه ؛ فهو باللَّه وللَّه ومع اللَّه » ، فبكى الشيوخ وقالوا : « ما على هذا مزيد ، جبرك اللَّه يا تاج العارفين » .

أرواح المحبين :

اعلم يا أخي أن أرواح المحبين خرجت بالعبادة من أبدان العادات ، وهي في حواصل طيْرالشوق ، ترفرف على أطلال الوجْد ، وتسرحُ في رياض الأنس ؛ هؤلاء عندهم شغل عن كل شيء سوى محبوبهم ، ما ترى عيونهم إلا « فبي يسمع وبي يبُصر » .

قال أحد الصالحين : سبحان من أخرج قلوب المشتاقين في رياض الطاعة بين يديه ، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوي البصائر ، فهي لا تعتمد إلا عليه ، سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة ، فهي لا تحنّ إلا إليه» .

وقال أحدهم : إن للَّه عز وجل - عبّادًا قدح في قلوبهم زندَي الشوق والمَوْق ، فأرواحهم تسرح في الملكوت ، وتنظر ما ذُخِر لها في حُجُب الجبروت ؛ أولئك قوم آووا إلى كنف محبته ورحمته » .

ذو النون المحب المشتاق :

قال - رحمه اللَّه - « إن للَّه عبادًا ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته ، وهيّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته ، سبحان موفِّقهم ومُؤنسِ وحشتِهم وطبيب أسقامهم ، إلهي ، لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة ، وانبسطت أيديهم إلى ما طيَّبت به عيشهم وأدمْتَ به نعيمهم ، بك أَنِست محبة المحبين وعليك معوَّل شوق المشتاقين » .

هم الذين خدموه خدمة الأبرار الذين تدفّقت قلوبهم ببره وعاملوه ببره .

ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته ، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده .

هاموا بالشوق فلا يحطوُّن رحال الهمّ إلا بفِناء محبوبهم ، فلو رأيتهم لرأيت أقوامًا أزعجهم الهَمّ عن أوطانهم ، فهممهم إلى مولاهم سائرة ، وقلوبهم إليه من الشوق طائرة .

فداخل هموم القوم للخلق وحشة   فصاح بهم أنس الجليل إلى الذكر
فأجسادهم في الأرض هونًا مقيمةٌ   وأرواحهم تسري إلى معدن الفخرِ
فهذا نعيم القوم إن كنت تبتغي   وتعقلُ عن مولاك آداب ذوى القدْرِ

حتى لا يدّعي الخليّ حرقة الشجيّ :

قيل للبيضاء بنت الفضل : هل للمحب للَّه دلائل يُعرف بها ؟ فقالت : والمحب للسيد لا يخفى ، لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفي .

فقيل لها : صفيه ، قالت : لو رأيت المحب للّه ـ عز وجل ـ لرأيت عجبًا ؛ من والهٍ ما يقرّ على الأرض ، طائر مستوحش ، أنسه في الوحدة ، قد مُنع الراحة ، طعامه الحبّ عند الجوع ، وشرابه الحب عند الظمأ ، لا يملّ من طول الخدمة للّه تعالى .

• وقال أبو عبد الرحمن المغازلي : لا يُعطى طريق المحبة غافل ولا ساه، المحب للّه عز وجل طائر القلب ، كثير الذكر ، متسبِّبٌ إلى رضوانه بكل سبيل .

وقال محمد بن النضر الحارثي : ما يكاد يملّ القربة إلى اللّه عز وجل محب للّه عز وجل ، ولا يكاد يسأم من ذلك .

• وقال ابن عيينة : لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من اللّه عز وجل ، فمن أحبّ القرآن فقد أحبّ اللّه .

• وقال عروة البارقي : حبّ اللّه عز وجل : حب القرآن ، وحب رسول اللّه ﷺ العمل بسنته .

• قال الحسن ـ رحمه اللّه ـ : ادعى قوم على عهد رسول اللّه ﷺ فابتلاهم اللّه بهذه الآية ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١) .

قال أحد العباد : إذا سئم البطالون من بطالتهم ، فلن يسأم محبوّك من مناجاتك وذكرك .

• وكان عبد العزيز بن سليمان العابد يقول في كلامه : أنت أيها المحبّ تزعم أن محبتك للّه تحقيق ، أما واللّه لو كنت كذلك لضاقت عليك الأرض بما رحبت حتى تصل إلى رضا حبيبك ، وإلى النظر إلى وجهه في

---

(١) سورة آل عمران الآية (٣١) .

دار كبريائه وعزّه .

● قال مسلم بن يسار : ما تلذّذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة اللَّه عز وجل ، عجبتُ للخليقة كيف أنست بسواك !! بل عجبتُ للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك ؟ .

وكان أبو محمد حبيب العجمي يخلو في بيته ، ثم يقول : من لم تقرّ عينه بك فلا قرّت ، ومن لم يأنس بك فلا أنِس .

قال أحمد بن أبي الحواري : دخلتُ علىٰ أبي سليمان فرأيته يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟

قال : « ويحك يا أحمد ! إذا جنّ الليل ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، افترش أهل المحبة أقدامهم ، وجرت دموعهم علىٰ خدودهم ، وأشرف الجليل جلّ جلاله عليهم » .

للَّه در من تلذذ بكلامه ، واستروح إلىٰ مناجاته ، وهو مطلع عليهم في خلواتهم يسمع أنينهم ، ويرىٰ بكاءهم وحنينهم ، فإذا وردوا القيامة عليه أسفر لهم عن وجهه ومنحهم رياض قدسه .

قريب الوجد ذو مرمى بعيد … عن الأحرار منهم والعبيدِ
غريب الوصف ذو علم غريب … كأن فؤاده زبر الحديدِ
لقد عزت معانيه وجلتْ … عن الأبصار إلا للشهيدِ
يرى الأعياد في الأوقات تجري … له في كل يومٍ ألفُ عيدِ

هنيئاً لمن أضحى وأنت حبيبه … ولو أن لوعات الغرام تذيبه
وطوبى لصبٍّ أنت ساكن سرّه … ولو بان عنه إلفه وقريبُهُ
وما ضرّ صبّا أن يبيتَ وماله … نصيب من الدنيا وأنت نصيبُه
ومن تك راض عنه في طيّ غيبه … فما ضرّه في الناس من يستغيبُه

فيا علة في الصدر أنت شفاؤها ويا مرضاً في القلب أنت طبيبه
عُبيدك في باب الرجا متضرّع إذا لمْ تُجبه أنت من ذا يُجيبه
بعيدٌ عن الأوطان يبكي بذلة وهل ذاق طعم الذلّ إلا غريبه
تصدّق على مَنْ ضاع منه زمانه ولم يدر حتى لاح منه مشيبه[1]

* * *

(١) «استنشاق نسيم الأنس» (ص١٠٤).

الذين يغضبـــون

لمحـــارم الله إذا اســـتحلت

الذين يغضبون لمحارم الله إذا استحلت

« والذين يغضبــــون لمحــــارمي إذا استُحِلَّتْ ، كما يغضب النمر إذا حَرِب»[1] .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **المؤمن يغار واللّه أشد غيْراً** »[2] .

وقال النبي ﷺ : « **أتعجبون من غيّرة سعد ؟ ! لأنا أغير منه ، واللّه أغــيــــر منــي** »[3] .

والغيرة المحمودة هي غيرة العبد لربه لا عليه ، وهي نوعان : « غيرة من نفسه ، وغيرة من غيره ، فالتي من نفسه : أن لا يجعل شيئًا من أعماله وأقواله وأحواله وأوقاته وأنفاسه لغير ربه ، والتي مِن غيره : أن يغضب لمحارمه إذا انتهكها المنتهكون ، ولحقوقه إذا تهاون بها المتهاوِنون .

وغيرة العبد من نفسه : أهم من غيرته من غيره ، فإنك إذا غِرْت من نفسك صحّتْ لك غيرتك للَّه من غيرك ، وإذا غِرْت له من غيرك ، ولم تغرْ من نفسك ، فالغيرة مدخولة معلولة ولا بد . . فتأملها وحقق النظر فيها»[4] .

قال ابن القيم : « ومِلاك الغيرْة وأعلاها ثلاثة أنواع : غيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه وتُضيَّع حدوده ، وغيرته على قلبه أن يسكن إلى غيره

(١) أي إذا اشتد غضبه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الشيخان .

(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٤٤) .

وأن يأنس بسواه ، وغيرته على حُرمته أن يتطلع إليها غيره ، فالغيرة التي يحبها اللَّه ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة ، وما عداها فإنها من خِدع الشيطان»[١] .

لَهْفي على محارم اللَّه :ـ

لهفي على شرع اللَّه المعطّل المغيب عن ديار المسلمين يستبدل بقوانين الغرب الكافر .

لهفي على القرآن عطلت أحكامه وغاب نوره .

لهفي على السنة انمحى نورها وقلّ اتباعها في زمن علا فيه شأن الذوق والمواجيد .

لهفي على بدع ومنكرات يُدافع عنها .

لهفي على عقيدة الصحابة يُقَدَّمُ عليها العقل وعلم الكلام ومنطق أرسطو .

لهفي على أحاديث الرسول ﷺ تردّ بالهوى والعقل والذوق .

لهفي على أنوار الخلافة التي ضاعت ، وظلام الطواغيت الذي انتشر .

لهفي على العبودية للَّه استبدلوها بمظاهر الشرك من دعاء غير اللَّه والاستغاثه بغير اللَّه . . ماذا بقي من الإسلام في دياره ؟!

لهفي على أعراض المسلمات في البوسنة والهرسك وكوسوفوا وفلسطين وكشمير والفلبين تنتهك ، وتغتصب الطاهرات حتى بعد موتهن .

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليُتَّمِ
صادفت أسماعنا لكنها لم تصادف نخوة المعتصمِ

(١) «روضة المحبين» لابن القيم (ص٣٢٠) .

لَهْفِي على الإسلام من أشياعه   لَهْفِي على القرآن والإيمان
لَهْفِي عليه تَنكّرتْ أعلامُهُ   إلا على الخِرِّيتِ في ذا الشّان
لَهْفِي عليه أصبحتْ أنوارُه   محجوبةً عن سالكٍ حيران
لَهْفِي عليه أصبحتْ أنصارُهُ   في قلّةٍ في هذه الأزمان
لَهْفِي عليهم أصبحوا في ضَيْعة   أنوارهم تَخْفَى على العميان
لَهْفِي عليهم أُوْجدوا في أمة   قَنعت من الإسلام بالعُنْوَان
لا يُعْرَفُ المعروفُ فيما بيننا   والنُكْرُ مألوفٌ بلا نكران
تَرَكَ المنابرَ مَنْ يقومُ بحقها   من كل ذي لَسْنٍ وذي عرفان
ونزا عليها سَفْلَةٌ يا ليتهم   قد أُدْرِجُوا من قَبْلُ في الأكفان
كم يأمرون بمُحْدَثات فوقها   تقضي على سُنَنٍ سُنَنٌ حسان
تبكي المنابرُ منهمُوا وتَوَدُّ لَوْ   تَنْدَكُّ تحتهمُ إلى الأركان
ثكلتهمُ الآباءُ إنَّ حياتَهُمْ   موتٌ لسُنَّة خاتَم الأديان
لا يرجعون لآيةٍ أو سنةٍ   أو سيرةِ الماضين بالإحسان
بل يرجعون لرأيِ من أَلْفَوْا لهم   بأزِمّة التقليد والأَرْسَان
وكذاك يرجعُ من تَصَوّفَ فيهمُوا   للذوق ولتَخيُّلٍ شيطاني
وكذا رءوسهم الطغاة فإنهم   لم يرفعوا رأساً بذا الفرقان
ما حكّمُوا فيهم شرائعَ دينهم   والعدلُ فيها قائمُ الأركان
بل حكموا في الناس آراءً لهم   من وحي شيطانٍ أخي طغيان
وَيْحَ الشريعة من مَشَايِخِ جُبَّةٍ   واللابسين لنا مُسُوكَ الضّأن
ورءوسَ سُوْءٍ لا اهتمامَ لهم   بدينٍ قامَ أو قد خرّ للأذقان

* * *

لهفي على ديار كرّمها اللَّه في كتابه تستباح لقتلة الأنبياء وإخوان القردة والخنازير .

لهفي على أوامر اللَّه التي يستهان بها ، من التهاون بالفرائض والسنن، لهفي على مسرى الرسول ﷺ تُركت لليهود بعرض حقير .

لا يعلم إلا اللَّه ما سيكون إن لم يأمر الربانيون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والوحل والحضيض الذي تعيش فيه الأمة يدمي القلوب والعيون، والمسلمون ينحدرون من هاوية إلى هاوية ، ويتهافتون من خراب إلى خراب ، أَلِفت الأمة الآثام ، حتى أمست جزءاً من كيانها تتمسك به وتدافع عنه ، حالهم مثل حال الأمم التي قال اللَّه عز وجل فيها : ﴿ **تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ** ﴾[(١)] .

جعل القبيح في عيونهم حسنًا ، والمرّ في مذاقهم حلواً ، وكرّه لهم الاستقامة ووحي السماء ، فهم لا يرتضون إلا ما ابتدعوا ، ولا يقبلون عنه بديلاً .

كان القذر الجنسي يتم في خفاء ، ثم صار يبدو على استحياء ،ثم تواضع عليه الرعاع ،ثم صار قانونًا يُعمل به ، ثم انعقدت مؤتمرات عالمية تدعوا إليه ولا ترى فيه عوجًا فمن يُعرّي هؤلاء العراة ويفضحهم غيرة لدين الله ومحـارمـه .

ناشئة حديثة تكره اللَّه ورسوله ، وتنقم على الإسلام ووحيه و تريد باسم العلمانية أن تعيدنا إلى جاهلية عمياء .

من لهؤلاء الأقزام يصدهم غيرة لدين اللَّه إلا الجبال الشم من الربانيين الذين ذاقوا حلاوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاستعذبوا ما

---

(١) سورة النحل الآية (٦٣) .

يلاقون، ابتغاء وجه ربهم الأعلى .

يا جيل المصاحف .. يا خمير الأرض .. يا غرس الشهادة

أكلت مواسمنا الجنادب ، واستبدّ بنا الحواة ، وغادرتنا آخر السحب الحميمة في السماء ...

يا جيل المصاحف .. يا أصحاب الغيرة لدين اللّه لكَمْ تباطأ في الرحيل عن القرى عام الرّمادة .

أخي : عزّ على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في اللّه لومة لائم، آمر بالمعروف ساع في سد هذه الثُلْمة ، متكفل بعملها متقلد لتنفيذها، مجدد لهذه السنة الدائرة ، ناهض بأعبائها ، متشمر في إحيائها ، مستأثر من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ، ومستبدٌ بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها .

قال تعالى : **﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾**(١) .

أهل الغيرة على دين اللّه يواجهون هبوط الأرواح وكلل العزائم ، يعلمون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبودية ودينونة للّه وغيرة على محارمه في أبهى صورها .

• والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والغيرة على محارم اللّه صيانة للأمة من أن يعبث بها كل ذي هوى ، وكل ذي شهوة .

• بدون الغيرة على محارم اللّه تتحول الحياة إلى مستنقع آسن : حكم بغير شرع اللّه ، اقتصاد يقوم على الربا ، مجتمع قانونه لا يعتبر الزنا جريمة

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠) .

إلا في حالة الإكراه ، ولا يُعاقب حتى في حالة الإكراه بشريعة اللَّه ، وخمور يُباح تداولها ، ولا يُعاقب شاربها إلا على حالة السكر البيّن في الطريق العام ، وحتى هذه لا يُعاقب فيها بحدّ اللَّه ، وشذوذ ، . . بل وسب لدين اللَّه ورسـوله .

عن عبد الله بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تقوم الساعة حتى يأخذ اللَّه شريطته من أهل الأرض ، فيبقى فيها عَجَاجة لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا** »[(١)] .

وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إنها ستأتي على الناس سنون خدّاعة ، يصدق فيها الكاذب ، ويُكذّب فيها الصادق ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويُخوّن فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضة** »[(٢)] ، قيل : وما الرويبضة ؟ قال : « **السفيه يتكلم في أمر العامّة** »[(٣)] .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : « من أشراط الساعة ـ أن يعلو التُّحوتُ الوعولَ » أكذلك يا عبد اللَّه بن مسعود سمعتَه من حِبِّي ؟ قال : نعم ورب الكعبة ، قلنا : وما التُّحوتُ ؟ قال « فسول الرجال ، وأهل البيوت الغامضة ، يُرفعون فوق صالحهم ، والوعول أهل البيوت الصالحة »[(٤)] .

أهل الغيرة لا يُبقون على منكر وهم قادرون على تغييره ، ولا يقعدون عن

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد في « مسنده » (١١/ ١٨١ ـ ١٨٢) وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
شريطته : أي أهل الخير والدين ، والأشراط من الأضداد يقع على الأشراف والأراذل .
والعجاجة والعجاج : الأراذل ، ومن لا خير فيهم .

(٢) الرُّويبضة : تصغير الرابضة ، وهو العاجز الذي بطن عن معالي الأمور ، وقعد عن طلبها ، والتافه الخسيس الحقير .

(٣) إسناده جيد : رواه أحمد في « مسنده » ، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٥/ ٣٧ ـ ٣٨) : إسناده حسن ومتنه صحيح ، وقال ابن كثير في « النهاية في الفتن والملاحم » : هذا إسناد جيد .

(٤) رواه الطبراني في « الأوسط » ، وقال الهيثمي : في الصحيح بعضه ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن الحارث وهو ثقة .

معروف وهم قادرون على تحقيقه .

قال رسول اللَّه ﷺ : « **أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة** »(١) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ، ثم صلة الرحم ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** »(٢) .

• وقال ﷺ : « **إن من أمتي قوماً يُعطْون مثل أجور أولهم ، ينكرون المنكر** »(٣) .

• وقال ﷺ : « **إذا عُمِلت الخطيئة في الأرض ، كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرَضِيَها كان كمن شهدها** »(٤) .

• وقال ﷺ : « **ما من قوم يعمل فيهم المعاصي ، هم أعز وأكثر ممن يعمله ، ثم لم يغيّروه ، إلا عمّهم اللّه تعالى منه بعقاب** »(٥) .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو ليوشكن اللّه أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم** »(٦) .

---

(١) صحيح : رواه الطبراني في « الكبير » عن سلمان وقبيصة وابن عباس ،ورواه أبونعيم في «الحلية» عن أبي هريرة وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٠٣١) .

(٢) حسن : رواه أبو يعلي في « مسنده » عن رجل من خثعم ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع» رقم (١٦٦) .

(٣) صحيح : رواه أحمد في « مسنده » عن رجل ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٢٢٤).

(٤) حسن : رواه أبو داود عن العرس بن عميرة ، وحسنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٨٩) .

(٥) صحيح : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن جرير ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٧٤٩) .

(٦) حسن : رواه أحمد والترمذي عن حذيفة ، وحسّنه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٠٧٠).

أمثلة وضيئة شفافة في الغيرة :ـ

الإمام القدوة أبو الوليد : عبادة بن الصامت :

عن قبيصة بن ذؤيب ، أن عبادة أنكر على معاوية شيئًا ، فقال : لا أساكنك بأرض ، فرحل إلى المدينة ، قال عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره بفعل معاوية ، فقال له : ارحل إلى مكانك ، فقبّح اللَّه أرضًا لست فيها وأمثالك ، فلا إمرة له عليك [(١)] .

أبو أيوب الأنصاري ينكر علَى من ؟ علَى عبد اللَّه بن عمر !!

عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر قال : أعرستُ ، فدعا أبي الناس ، فيهم أبو أيوب ، وقد ستروا بيتي بجُنادي أخضر ، فجاء أبو أيوب فطأطأ رأسه ، فنظر فإذا البيت مُستّر ، فقال : يا عبد اللَّه ، تسترون الجُدُر ؟ فقال أبي : واستحيا : غلبنا النساء يا أبا أيوب ، فقال : مَن خشيت أن تغلبه النساء ، فلم أخشَ أن يغلبنكَ ، لا أدخل لكم بيتًا ، ولا آكل لكم طعامًا [(٢)] .

ابن أم مكتوم يقتل من تؤذيه في النبي ﷺ :ـ

عن عبد اللَّه بن معقل قال : نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة كانت تَرْفُقه وتؤذيه في النبي ﷺ ، فتناولها فضربها فقتلها ، فرُفع ذلك إلى النبي ﷺ فقال : أما واللَّه إن كانت لترفقني ، ولكن آذتني في اللَّه ورسوله ، فقال النبي ﷺ : « **أبعدها فقد أبطلتُ دمها** » [(٣)] .

---

(١) « سير أعلام النبلاء » (٢/٧) .

(٢) إسناده قوي : أخرجه الطبراني ، والذهبي في « السير » (٢/٤٠٨-٤٠٩) .
والجنادي : هو جنس من الأنماط والثياب يستر بها الجدران .

(٣) أخرجه أبو داود وابن سعيد ، وضعفه الألباني في « ضعيف أبي داود » (٩٣٧) وصححه الألباني في « إرواء الغليل » (١٢٥١) .

والصحابي الأعمىٰ الذي قتل أم ولد له كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي فقتلها وقال للنبي ﷺ : « يارسول اللَّه . . كانت تشتمك ، وتقع فيك ، فأنهاها فلا تنتهي ، وأزجرها فلا تنزجر ، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة ، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك ، فأخذت المِغْول[1] فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتىٰ قتلتها ، فقال النبي ﷺ : « **ألا اشهدوا أن دمها هدر** »[2] .

عبد اللَّه بن مغفل يقول لمن يخالف السنة : لا أكلمك أبدًا :

أخرج الشيخان عن عبد اللَّه بن بريدة أن عبد اللَّه بن مغفل رأىٰ رجلاً يخذف فنهاه ، وقال : إن رسول اللَّه ﷺ نهىٰ عن الخذف ، وقال : « **إنه لا يرد الصيد ، ولا ينكأ العدو ، ولكنه يكسر السن ويفقأ العين** » فرآه بعد ذلك يخذف ، فقال : أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ ثم تخذف ، واللَّه لا أكلمك أبدًا » .

● وعن عمران بن حُصَين ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **الحياء خير كله** » فقال بشير بن كعب : إنا نجد في بعض الكتب : أن منه سكينة ووقارًا ، ومنه ضعفًا ، فغضب عمران بن حصين حتىٰ احمرت عيناه ، وقال : أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ وتعارض فيه ، وفي رواية « وتحدثني عن صحفك » ولفظ ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » قال عمران : أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ وتجيء بالمعاريض ، لا أحدثك بحديث ما عرفتك ، فقالوا : يا أبا نُجيد إنه طيب الهوىٰ . . وإنه . . وإنه ، فلم يزالوا به حتىٰ سكن .

● وحبر القرآن وترجمانه ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ يقول : أيها

---

(١) سيف قصير دقيق .

(٢) صحيح : أخرجه أبو داود والنسائي ، وصححه الألباني في « صحيح أبي داود » .

الناس ، توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول لكم : قال رسول اللَّه ﷺ وتقولون : قال أبو بكر وعمر !!

• وروىٰ مسلم عن عبد اللَّه بن عمر قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : « **لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنّكم** » .

قال سالم بن عبد اللَّه : فقال بلال بن عبد اللَّه : واللَّه لنمنعهن ، قال سالم : فأقبل عليه عبد اللَّه ، فسبّه سبًّا سيئًا ، ما سمعته سبّه مثله ، وقال : أخبرك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول : واللَّه لنمنعهن ؟!

• لما قتل هشام بن عبد الملك غيلان الدمشقي ببدعته كتب إليه رجاء بن حيوة : « بلغني أنه دخلك من قبل غيلان وصالح ، فأقرّ باللَّه ، لقتلهما ، أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم » .

• والحسن البصري الغيور علىٰ السنّة يقول : « من وقّر صاحب بدعة فقد سعىٰ في هدم الإسلام » .

• وابن أبي ذئب يحدث ابن سماك بن فضل الشهابي بحديث رسول اللَّه ﷺ ، فقال له ابن سّماك : يا أبا الحارث أتأخذ بهذا ؟ فضرب صدره وصاح عليه صياحًا كثيراً ، ونال منه ، وقال : أحدثك عن رسول اللَّه ﷺ وتقول : تأخذ به ؟! نعم آخذ به ، وذلك الفرض عليّ وعلىٰ من سمعه .

• وقال رجل لسفيان الثوري : رجل يكذّب بالقدر ، أأصلي وراءه ؟ قال : لا تقدموه ، قال : هو إمام القرية ، ليس لهم إمام غيره ، قال : لا تقدموه ، لا تقدموه وجعل يصيح .

• وابن المبارك يقول : « إنا نحكي كلام اليهود والنصارىٰ ، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية » .

• وأبو إسحاق الفزاري : هو الذي أدّب أهل الثغر وعلّمهم السنة ،

وكان يأمر وينهىٰ ، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه .

« يروىٰ أن هارون الرشيد أخذ زنديقًا ، فقال الرجل : أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟ قال : فأين أنت يا عدو اللَّه من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها، فيخرجانها حرفًا حرفًا » ، وما هذا إلا غيرة للسنّة .

● وأيوب السختياني سيد شباب أهل البصرة : يقول له رجل من أهل الأهواء : أُكلمك كلمة ، قال : لا ، ولا نصف كلمة .

● وسأل رجل الشافعي عن مسألة فقال : روي عن النبي ﷺ أنه قال كذا وكذا ؛ فقال السائل : يا أبا عبد اللَّه أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال : ويحك ، أي أرض تقلّني ، وأي سماء تظلني ، إذا رويت عن رسول اللَّه ﷺ شيئًا فلم أقل به ؟! نعم ، علىٰ الرأس والعينين ، علىٰ الرأس والعـينين .

وفي رواية : أرأيت في وسطي زِنّارًا ؟ أتراني خرجت من الكنيسة ؟! أقول : قال النبي ﷺ وتقول لي : أتقول بهذا ؟ أروي عن رسول اللَّه ﷺ ولا أقول به ؟ !!

● وقال ـ رحمه اللَّه ـ : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويحملوا علىٰ الإبل ، ويطاف بهم في العشائر ، ينادىٰ عليهم : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل علىٰ الكلام .

وقال أيضاً : مذهبي في أهل الكلام تقنيع رءوسهم بالسياط ، وتشريدهم في البلاد .

قال الذهبي : هذا النَّفَس الزكيّ متواتر عن الشافعي .

ودخل الشافعي علىٰ المأمون وعنده بشرا لمريسي ، فقال المأمون : أتدري من هذا ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، قال : هذا بشرالمريسي ، قال : فقال

الشافعي لبشر : أدخلك اللّه أسفل السافلين ، مع فرعون وهامان وقارون .

• وشيخ المحدثين وقامع البدع يزيد بن هارون الذي خافه المأمون فما أظهر بدعة خلق القرآن .

قال المأمون : لولا مكان يزيد بن هارون لأظهرت أن القرآن مخلوق .

• وإمام أهل السنة لما قالوا له : ذكروا لابن قُتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال : قوم سوء ، فقام الإمام أحمد وهو ينفض ثوبه ويقول : زنديق زنديق زنديق . . ودخل بيته .

• والفضيل بن عياض يقول : من جلس مع صاحب بدعة في طريق ، فجز في طريق غيره ، وقال : من عظم صاحب بدعة ، فقد أعان على هدم الإسلام ، ومن تبسّم في وجه مبتدع ، فقد استخف بما أنزل اللّه على محمد ﷺ .

• ودخل عبد العزيز الكناني على ابن أبي دؤاد في مرضه وقال له : لم آتك عائداً ، بل لأحمد اللّه أن سجنك في جلدك .

الأوزاعي يصدع عبد اللّه بن علي بمرّ الحق :-

رحم اللّه الأوزاعي إمام الشام :

لما فرغ عبد اللّه بن علي عمّ السفّاح من قتل بني أميّة ، وكان قتل يومئذ نيّفًا وسبعين ، أرسل إلى الأوزاعي ، ودخل الأوزاعي مجلس عبد اللّه وجعل يتخطى القتلى ، قال الأوزاعي : « قلت لأصدقنه، واستبسلت للموت » .

فقال عبد اللّه : « يا أوزاعي ، ما تقول في دماء بني أمية؟ قلت: جاءت الآثار عن رسول اللّه ﷺ أنه : «**لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث**» الحديث .

فنكت بالخيزرانة نكتًا شديداً ، وأطرق مليّا ، ثم رفع رأسه ، فقال : يا أوزاعي ، ما تقول في أموال بني أميّة ؟

فقلت : إنْ كانت لهم حرامًا فهي عليك حرام ، وإن كانت لهم حلالاً فما أحلها اللَّه لك إلا بحقها » . . . وقام الأوزاعي .

قال ـ رحمه اللَّه ـ « فقمتُ ، فجعلتُ لا أخطو خطوة إلاّ قلت : إن رأسي يقع عندها » .

قال الذهبي في « السير » (٧/ ١٢٥) : « قد كان عبد اللَّه بن علي ملكًا جبّارًا ، سفّاكًا للدماء ، صعب المراس ، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمرّ الحق كما ترىٰ ، لا كخلْقٍ من علماء السوء ، الذين يُحسِّنون للأمراء ما يقتحمونه من الظلم والعسْف ، يقلبون لهم الباطل حقًا ـ قاتلهم اللَّه ـ أو يسكتون مع القدرة علىٰ بيان الحق » .

الثوري إمام الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبول الدم إن لم ينكر :

قال ـ رحمه اللَّه ـ : إني لأرىٰ الشيء يجب عليّ أن آمر فيه وأنهىٰ فأبول دمًا[1] .

ويقول : إني لأرىٰ المنكر ، فلا أتكلم ، فأبول أكدم دمًا[2] .

قال يحيىٰ بن أبي غُنَيّة : ما رأيت رجلاً قطّ أصفق وجها في اللَّه عز وجل من سفيان الثوري[3] .

قال عبد اللَّه بن المبارك : إن سفيان دخل علىٰ أبي جعفر ، فقال : حاجتك؟

(١) « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم (١/ ١٢٤) .
(٢) « السير » (٧/ ٢٥٩) .
(٣) « الجرح والتعديل » (١/ ١٠٨) .

فقال : حاجتي أن لا تدعوني حتى آتيك ، وأبو جعفر أبو جعفر .

فقال سفيان الثوري : أُدخلت على المهدي ، فقلت له : انظر إلى عمر ابن الخطاب .

فقال : عمر كان له أصحاب . فقلت : فعمر بن عبد العزيز ، فقد كان في فتنة وفي ما كان فيه ، فما تكلّم بشيء إلاّ صار سنّة .

فقال : إن لم أطق ؟ فقلت : اجلس في بيتك .

ابن أبي ذئب إمام قوّال بالحق :

قال فيه الإمام أحمد بن حنبل : كان يُشبّه بسعيد بن المسيب .

فقيل لأحمد : خلّف مثله ؟ قال : لا ، ثم قال : كان أفضل من مالك ، إلا أن مالكًا أشدّ تنقية للرجال منه .

وقال أحمد : هو أورع أقوْل بالحق من مالك[1] .

قال ابن أبي ذئب للمنصور : قد هلك الناس ، فلوْ أَعَنْتهم من الفيء .

فقال : ويلك ، لولا ما سددتُ من الثغور ، لكنت تُؤتي في منزلك فُتذبح .

فقال ابن أبي ذئب : قد سدّ الثغور ، وأعطى الناس مَن هو خير منك : عمر ـ رضي اللّه عنه ـ فنكّس المنصور رأسه ـ والسيف بيد المسيب ـ ثم قال : هذا خير أهل الحجاز .

قال أحمد بن حنبل : ابن أبي ذئب ثقة ـ قد دخل على أبي جعفر المنصور ، فلم يَهُلْه أن قال له الحق ، وقال : الظلم ببابك فاش ، وأبو جعفر أبو جعفر .

---

(١) « السير » (٧/ ١٤٠ ، ١٤٢) .

الإمام العمري الأمّار بالمعروف :

قال مصعب الزبيري : ما أدركت بالمدينة رجلاً أهيب منه ، وقدم الكوفة لِيُخوّف الرشيد باللَّه ، فرجفت لمجيئه الدولة ، حتىٰ لو كان نزل بهم من العدو مائة ألف ، ما زاد من هيْبته ، فردّ من الكوفة .

عبد اللَّه بن عبد العزيز العمري الذي يقول للرشيد : إن الرجل لَيُسرف في ماله ، فيستحقّ الحَجر عليه ، فكيف بمن أسرف في مال المسلمين ! ثم مضىٰ وهارون يبكي[١] .

كرز بن وَبَرَة يأمر بالمعروف فيضربونه حتى يغشى عليه :

عن ابن فُضيل عن أبيه أو عن نفسه ، قال : كان كُرز إذا خرج أمر بالمعروف ، فيضربونه حتىٰ يغشىٰ عليه[٢] .

شيخ الإسلام ابن أنعم الإفريقي يقول للسّفاح : جئت لأُعْلِمُك الجور ببلدنا فإذا هو يخرج من دارك:

الإمام القدوة عبد الرحمن بن زيد بن أنعم الإفريقي قاضي إفريقية وعالمها .

كان الثوري يعظمه جداً .

قال إسماعيل بن عيّاش : ولي السفاح ، فظهر جور بإفريقية ، فوفد ابن أنعم علىٰ أبي جعفر مُشتكيًا ، ثم قال : جئت لأُعلمك بالجور ببلدنا ، فإذا هو يخرج من دارك ! ! فغضب ، وهمّ به .

قال له : كيف لي بأعوان ؟ قال : أفليس عمر بن عبد العزيز كان يقول : الولي بمنزلة السوق ، يُجلب إليه ما ينفق فيه[٣] .

---

(١) « صفة الصفوة » (٢/ ١٨٢) .

(٢) « السير » (٦/ ٨٥) .

(٣) « السير » (٦/ ٤١٢) .

شيخ الإسلام أبو نعيم ، الفضل بن دُكين :

قال عنه الإمام أحمد بن حنبل : قام للَّه بأمر لم يُقم به كبير أحد[1] .

وقال عنه : تراحم به سفيان بن عيينة لما أدخل على الوالي ليمتحنه ـ أي في القرآن مخلوق أم لا ـ فقال : « أدركت الكوفة وبها أكثر من سبعمائة شيخ ، الأعمش فمَن دونه ، يقولون : القرآن كلام اللَّه ، وعنقي أهون من زرّي هذا .

فقام إليه أحمد بن يونس ، فقبّل رأسه ـ وكان بينهما شحناء ـ وقال : جزاك اللَّه من شيخ خيراً[2] .

ابن حنبل إمام أهل السنة نسيج وحده في الغيرة على محارم اللَّه :

مَن في الناس كأحمد ، وكل موقف يتضاءل دون موقفه وثباته في فتنة خلق القرآن ، وثبتت الأمة بثبات إمامها ، يقول للخليفة : « ايتوني بشيء من كلام اللَّه أو سنة رسوله ﷺ » ويضرب بسياط لو ضرب بها فيل لبرك وهو الشيخ الطاعن في السن .

عن علي بن أبي صالح السوّاق قال : كنّا في وليمة باب القبر قال : فجاء أحمد بن حنبل ، فلما دخل نظر إلى كرسي عليه فضة فخرج فلحقه صاحب المنزل ، فنفض يده في وجهه وقال : زيّ المجوس ، زيّ المجوس وخرج »[3] .

* * *

الإمام البويطي القائل : لأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون

---

(١) « السير » (١٠/١٤٩) ، و« تاريخ بغداد » (١٢/٣٤٩) .

(٢) « تاريخ بغداد » (١٢/٣٤٩) ، و« مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي (ص٤٨١) .

(٣) « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي (ص٣٤٨ـ٣٤٩) .

أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم :

سيد الفقهاء يوسف بن يحيىٰ البويطي صاحب الشافعي .

امتحنه والي مصر في محنة خلق القرآن فلم يجُب ، وكان الوالي حسن الرأي فيه ، فقال له : قل فيما بيني وبينك .

قال : إنه يقتدي بي مائة ألف ، ولا يدرون المعنىٰ !! فأمر به فحمل إلىٰ بغداد .

قال الربيع بن سليمان : رأيته علىٰ بغل فى عنقه غُلّ ،وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لبنة ـ طوبة ـ وزنها أربعون رطلاً ، وهو يقول: «إنما خلق اللَّه الخلق بـ« كن » ، فإذا كانت مخلوقة ، فكأنّ مخلوقًا خُلق بمخلوق ، ولئن دخلتُ عليه لأصدُقنَّه ـ يعني الواثق ـ ولأموتن في حديدي هذا حتىٰ يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم»[1] .

والإمام نعيم بن حماد يُدفن في قيوده ويقول : « إني مخاصم » :

كان ـ رحمه اللَّه ـ شديدًا في الرد علىٰ الجهمية ، حُمل إلىٰ العراق مع البويطي مقيدَيْن .

قال ابن يونس : حُمل علىٰ القول بتلك الفرية ،فامتنع أن يجيب ، فسجن ومات في سجنه وجرّ بأقياده ، فألقي في حفرة ، ولم يكفّن ، ولم يُصل عليه ـ وأوصىٰ نعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال : « إني مخاصم» .

* * *

(١) « السير » (١٠/ ٦١٠) .

الإمام أحمد بن نصر الخزاعي :

كان أمّاراً بالمعروف ، قوّالاً بالحق ، من أكابر العلماء العاملين .

حُمل من بغداد إلىٰ سامرّاء مقيّدا ، وجلس له الواثق ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : كلام اللَّه .

قال : أفمخلوق هو ؟ قال : كلام اللَّه . قال : فترىٰ ربك يوم القيامة؟ قال : كذا جاءت الرواية . . . فدعا الواثق بالسيف ، وقام ، وقال : إني لأحتسب خُطاي إلىٰ هذا الكافر ، فضرب عنقه ، بعد أن مدوا له رأسه بحبل ، وهو مقيّد .

شيخ الإسلام ابن الحطيئة وغيرته الشديدة على السنّة :

قال شجاع المدلجي ـ وكان من خيار عباد اللَّه ـ : كان شيخنا ابن الحطيئة شديداً في دين اللَّه فظّا غليظًا علىٰ أعداء اللَّه ، ولقد كان يحضر مجلسه داعي الدعاة[1] مع عظم سلطانه ، ونفوذ أمره ، فما يحتشمه ، ولا يكرمه ، ويقول : أحمق الناس في مسألة كذا وكذا : الروافض ؛ خالفوا الكتاب والسنة ، وكفروا باللَّه ، وكنتُ عنده يومًا في مسجده بشرق مصر ، وقد حضره بعض وزراء المصريين ـ أظنه ابن عباس ـ فاستسقىٰ في مجلسه ، فأتاه بعض غلمانه بإناء فضة ، فلما رآه ابن الحطيئة وضع يده علىٰ فؤاده ، وصرخ صرخة ملأت المسجد ، وقال : واحَرّها علىٰ كبدي ، أتشرب في مجلس يُقرأ فيه حديث رسول اللَّه ﷺ في آنية الفضة ؟! لا ، واللَّه لا تفعل ، وطرد الغلام ، فخرج ، وطلب الشيخ كوزاً قد تثلم ، فشرب واستحيىٰ من الشيخ ، فرأيته واللَّه ـ كما قال اللَّه ﴿**يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ**﴾[2][3] .

---

(١) قاضي الرافضة الفاطمين : قاضي الخليفة الفاطمي العاضد .

(٢) سورة إبراهيم الآية (١٧) .

(٣) « سير أعلام النبلاء » (٣٤٦/٢٠) .

شيخ الإسلام الهروي الأنصاري طود شامخ في الدفاع عن السنة :

قال الذهبي : « كان سيفًا مسلولاً علىٰ المتكلمين ، له صولة وهيبة واستيلاء علىٰ النفوس ببلده يعظمونه . . . وكان طودًا راسيًا في السنّة ، لا يتزلزل ولا يلين ، وقد امتحن مرات وأُوذي ، ونفي من بلده .

قال ابن طاهر : سمعته يقول : عُرضت علىٰ السيف خمس مرات ، لا يُقال لي : ارجع عن مذهبك ، لكن يقال لي : اسكت عمّن خالفك ، فأقول : لا أسكت[(١)] .

وقال الحافظ أبو النضر الفامي : كان شيخ الإسلام أبو إسماعيل بكر الزمان ، وواسطة عقد المعاني ، وصورة الإقبال في فنون الفضائل وأنواع المحاسن ، منها نصرة الدين والسنة ، من غير مداهنة ولا مراقبة لسلطان ولا وزير .

شيخ الإسلام بنان الحمّال وغيرته على دين اللّه :

« من يضرب بعبادته المثل ، وقد امتحن في ذات اللّه فصبر ، وارتفع شأنه .

نقل أبو عبد الرحمن السلمي في « محن الصوفية » أن بنانًا الحمال قام إلىٰ وزير خُمارويه صاحب مصر ـ وكان نصرانيًا ـ فأنزله عن مركوبه ، وقال : لا تركب الخيل وغَيِّرْ ، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة ، فأمر خمارويه بأن يُؤخذ ويُوضع بين يدي سَبُع ، فطرح ، فبقي ليلة ، ثم جاءوا والسبع يلحسه وهو مستقبل القبلة ، فأطلقه خمارويه واعتذر إليه .

قال أبو علي الروذباري : كان سبب دخولي مصر حكاية بنان الحمّال ؛ وذلك أنه أمر ابن طولون بالمعروف ، فأمر به أن يُلقىٰ بين يدي سبع ،

---

(١) « سير أعلام النبلاء » .

فجعل السبع يشمه ولا يضرّه ، فلما أُخرج من بين يدي السبع ، قيل له : ما الذي كان في قلبك حين شمّك ؟ قال : كنت أتفكّر في سؤر السباع ولعابها»[١] .

مثال غالٍ وأنموذج عالٍ في الغيرة : الحافظ عبد الغني المقدسي :

قال عنه الضياء المقدسي :

« أخبرني خالي موفق الدين ، قال : كان الحافظ عبد الغني جامعًا للعلم والعمل ، وكمّل اللَّه فضيلته بابتلائه بأذىٰ أهل البدعة وعداوتهم .

قال الضياء : كان لا يرىٰ منكرًا إلا غيّره بيده أو بلسانه ، وكان لا تأخذه في اللَّه لومة لائم ، وقد رأيته يهريق خمرًا ، فجبذ صاحبه السيف فلم يخف منه ، وأخذه من يده ، . . . وكثيرًا ما كان بدمشق ينكر ويكسر الطنابير والشبّابات ، قال خالي الموفق : كان الحافظ لايصبر علىٰ إنكار المنكر إذ رآه . .

وسمعت أبا بكر بن أحمد الطحّان ، قال : كان بعض أولاد صلاح الدين قد عُمِلت لهم طنابير ، وكانوا في بستان يشربون ، فلقي الحافظ الطنابير فكسّرها .

قال : فحدثني الحافظ ، قال : فلما كنت أنا وعبد الهادي عند حمّام كافور ، إذا قوم كثير معهم عِصِيّ فخففت المشي ، وجعلت أقول : « حسبي اللَّه ونعم الوكيل » ، فلما صرت علىٰ الجسر لحقوا صاحبي ، فقال : أنا ماكسرت لكم شيئًا ، هذا هو الذي كسر ، قال : فإذا فارس يركض فترجّل ، وقبّل يدي ، وقال : الصبيان ما عرفوك ، ـ وكان قد وضع اللَّه له هيبة في النفوس ـ »[٢] .

---

(١) « السير » (١٤/٤٨٨ـ٤٨٩) .
(٢) « السير » (٢١/٤٥٣ـ٤٥٥) .

قال أبو بكر الطحّان : كان في دولة الأفضل فجعلوا الملاهي عند الدّرج ـ درج جيرون ـ فجاء الحافظ فكسّر شيئًا كثيراً ، ثم صعد المنبر يقرأ الحديث ، فجاء رسول القاضي يأمره بالمشي إليه ليناظره في الدف والشبابة، فقال : ذاك عندي حرام ، ولا أمشي إليه ، ثم قرأ الحديث ، فعاد الرسول ، فقال : لابدّ من المشي إليه ، أنت قد بطّلت هذه الأشياء علىٰ السلطان .

فقال الحافظ : ضرب اللَّه رقبته ورقبة السلطان .

فمضىٰ الرسول وخفنا ، فما جاء أحد »[١] .

ولقد ناظر الفقهاء ، وغار لعقيدة أهل السنة وصدع بها فبدّعوه وكفّروه وهمّوا أن يقتلوه .

العماد المقدسي يغشى عليه من الضرب لما أمر بالمعروف :

قال عنه الضياء المقدسي : « كان قويا في أمر اللَّه ، ضعيفًا في بدنه ، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم ، أمّاراً بالمعروف ، لايرىٰ أحداً يُسيء في صلاته إلاّ قال له ، وعلّمه .

قال : وبلغني أنه أتىٰ فسّاقًا ، فكسّر ما معهم ، فضربوه حتىٰ غُشي عليه ، فأراد السلطان ضربهم ، فقال : إن تابوا ولازموا الصلاة فلا تُؤذهم وهم في حِلّ . فتابوا »[٢] .

البربهاري شيخ وقته الداعي إلى الأثر :

كان قوّالاً بالحق ، داعية إلىٰ الأثر ، لا يخاف في اللَّه لومة لائم ، وكان له ـ رحمه اللَّه ـ مجاهدات ومقامات في الدين ، وكانت له المنزلة

---

(١) « السير » (٢١/ ٤٥٥ـ٤٥٦) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٤٩ـ٥٠) .

الرفيعة في قلوب الناس .

قال أبو يعلى عنه : « شيخ الطائفة في وقته ، ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع ، والمباينة لهم باليد واللسان » .

وقال ابن الجوزي : « جمع العلم والزهد . . . وكان شديدًا على أهل البدع » .

وقال ابن كثير : « كان شديدًا على أهل البدع والمعاصي » .

قال البربهاري ـ رحمه اللَّه ـ : « مثل أصحاب البدع مثل العقارب ، يدفنون رءوسهم وأبدانهم في التراب ، ويخرجون أذنابهم ، فإذا تمكّنوا لدغوا ، وكذلك أهل البدع ، فهم مختفون بين الناس ، فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»[(١)] .

شيخ الإسلام ابن تيمية : شيخ مشايخ الإسلام في الغيرة للسنة :

حامل راية الدعوة إلى الكتاب والسنة ، وإرجاع الإسلام إلى منابعه الصحيحة .

نصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين ، وأُوذي في ذات اللَّه من المخالفين ، وأُخيف وسجن في نصر السنة المحمدية حتى مات في سجنه ، وأعلى اللَّه مناره .

قال عنه الحافظ المزي : « ما رأيت أحدًا أعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه »[(٢)] .

قال عنه أبو حفص البزار : « وأما ما خصه اللَّه تعالى به من معارضة أهل البدع في بدعتهم ، وأهل الأهواء في أهوائهم ، وما ألفه في دحض

(١) « طبقات الحنابلة » (٢/ ٤٤) .
(٢) « الرد الوافر » لابن ناصر الدين الدمشقي (ص١٢٩) ـ المكتب الإسلامي .

أقوالهم، وتزييف أمثالهم وأشكالهم وإظهار عوارهم وانتحالهم ، وتبديد شملهم وقطع أوصالهم . . . حتىٰ انكشف قناع الحق » .

وقال ابن فضل اللّه العمري : « أخمد من أهل البدع كل حديث وقديم، ولم يكن فيهم إلا من يجفل عنه إجفال الظليم ، ويتضاءل لديه تضاؤل الغريم»(١) .

ومن غيرته للسنة ومذهب أهل الحديث وعقيدة السلف الصالح :

• دحض مناهج الفلاسفة والمتكلمين ، ورد علىٰ الأشاعرة وتأويلهم، وكان لهم منه أوفر نصيب .

• وردّ علىٰ القدرية والشيعة ، وأفحم النصارىٰ في كتابه « الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح » .

• وهاجم ضلاّل الصوفية والاتحادية وأصحاب وحدة الوجود . . . رد علىٰ ابن الفارض وابن عربي والعفيف التلمساني والصدر القونوي وابن سبعين ، وألف « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » .

• وتصدىٰ للأحمدية والرفاعية ، وتحدىٰ زعمهم أنه يدخلون النيران، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام ، تحداهم أن يدخل معهم النار التي يزعمون دخولهم فيها ، وأنها تحرقهم إن شاء اللّه ولا تحرقه ، وتحدّاهم بمحضر نائب السلطنة فتابوا علىٰ يديه وللّه دره وهو يقول لنائب السلطنة عن الأحوال الشيطانية لمبتدعة الرفاعية لما سأله : فبأي شيء تبطل هذه الأحوال؟ فقال له : بهذه السياط الشرعية ، فأعجب الأمير وضحك ، وقال : إي واللّه، بالسياط الشرعية تبطل هذه الأحوال الشيطانية ، كما قد جرىٰ مثل ذلك لغير واحد ، ومن لم يُجب إلىٰ الدين بالسياط

---

(١) « الرد الوافر » (ص٩٦) .

الشرعية فبالسيوف المحمدية .

وأمسك ابن تيمية بسيف الأمير وقال : هذا نائب رسول اللَّه ﷺ وغلامه، وهذا السيف سيف رسول اللَّه ﷺ ، فمن خرج عن كتاب اللَّه وسنة رسوله ضربناه بسيف اللَّه .

ابن قيم الجوزية الصادق في غيرته وعهده مع اللَّه :

يقول ـ رحمه اللَّه ـ في نونيته مناجيًا ربه ومعاهدًا له :

فوحق نعمتك التي أوليتني ... وجعلت قلبي واعَي القرانِ
لأجاهدنَّ عداك ما أبقيتني ... ولأجعلنَّ قتالَهم دَيْـدَاني
ولأفضحنَّهُم على رُوس المَلا ... ولأفْرِيَنَّ أديمهَم بلساني
ولأكْشِفَنَّ سرائرًا خفيتْ على ... ضعفاء خلقكَ منهمُ ببيانِ
ولأتبعنهم إلى حيث انتهوا ... حتى يُقالَ أبعدُ عبادانِ
ولأرجمنهمُ بأعلام الهدى ... رَجْم المريد بثاقب الشهبانِ
ولأقعدن لهم مراصدَ كيدِهم ... ولأحْصُرنَّهم بكل مكانِ
ولأجعلن لحومهم ودماءهم ... في يوم نصرك أعظم القربانِ
ولأحملن عليهم بعساكر ... ليست تَفِرُّ إذا التقى الزحفانِ
بعساكر الوحيين والفطرات بالـ ... ـمعقول والمنقول بالإحسانِ
ولأنصحن اللَّه ثم رسوله ... وكتابه وشرائع الإيمانِ
إن شاء ربي ذا يكون بحوله ... إن لم يشأ فالأمر للرحمنِ (١)

ولقد صدق في عهده مع ربه أيما صدْق ، ووفى أعظم توفية أسكنه اللَّه فسيح جنته .

---

(١) « النونية » لابن القيم .

• • أين الغاضبون ؟ هذي ديار المسلمين تبكي :

أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبانُ
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم قتلى وأسرى فما يهتزّ إنسان
يا من لذلة قوم بعد عزّهم أحال حالهمُ كفرٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكًا في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عُبْدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوانُ
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يا رُبَّ أم وطفلٍ حِيل بينهما كما تفرّق أرواح وأبدانُ
وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ طلعتْ كأنما هي ياقوت ومرجانُ
يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيرانُ
لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلامٌ وإيمان[1]

• • ومأساة البوسنة ترويها طفلة :

في عالمٍ قطع الرقابَ وأشعل النيران في صدر العذارى المؤمنات
في عالم أعطى الكلاب الحق في عرض البنات
الآن يا مولاي في صمت المنابر
يشرب الأوغاد دم المسلمين
الآن يأكل ثدي أمي ألف نخّاسٍ
ويشرب من دمائي ألف قوّادِ
ويعبث في مآذننا ضلال المفسدينْ
آلان أرحل في قطار الموت ألعن كل خائن

---

(١) من قصيدة أبي البقاء الرندي في « رثاء الأندلس » انظرها كاملة في « نفح الطيب » (٦/ ٢٧٩ - ٢٨١).

من خان يوماً مسجداً من باع آلاف المآذن

* * *

• • وقبلها وبعدها القدس والمسجد الأقصى :

أعيني لا تَرْقَى من العَبرات صلي في البكا الآصالَ بالبكُرات
لعلّ سيولَ الدمعِ يُطفئُ فيضُها توقُّدَ ما في القلب من جمرات
ويا قلبُ أسْعِرْ نار وجدكَ كلما خبت بادّكارٍ يبعثُ الحسرات
ويا فمُ بُحْ بالشجو منك لعلهُ يُرَوِّحُ ما ألقى من الكرُبات
على المسجد الأقصىَ الذى جلّ قَدْرُه على موطنِ الإخبات والصلوات
على منزلِ الأملاكِ والوحي والهدى على مَشهدِ الأبدالِ والبدَلات
على سُلم المعراج والصخرة التي أنَافَتْ بما في الأرض من صَخَرات
على القبلة الأولى التي اتجهت لها صلاةُ البرايا في اختلافِ جهات
على خير معمورٍ وأكرم عامرٍ وأشرفِ مبْنِيٍّ لخير بناة
وما زال فيه للنبيين معبدٌ يوالون في أرجائه السجَدات
عفا المسجد الأقصى المباركُ حوله الـ رفيعُ العمادِ العالي الشرفات
عفا بعدما كان للخير موسماً وللبرِ والإحسانِ والقربات
يُوافي إليه كلٌّ أشعثَ قانتٍ لمولاه برٍ دائمِ الخلَوات
خلا من صلاة لا يَملُّ مُقيمها تُوشّح بالآيات والسوَرات
خلا من حنين التائبين وحزنِهم فمن بين نوّاحٍ وبين بُكاة
لتبك على القدسِ البلادُ بأسرِها وتعلنُ بالأحزانِ والترّحات
لتبك عليها مكةٌ فهي أختُها وتشكو الذي لاقتَ إلى عرفاتَ
لتبك على ما حل بالقدس طيبةٌ وتشرحه في أكرم الحجرات
فمن لي بِنُواح ينحن على الذي شجاني بأصوات لهن شجاة

يُرَدِّدْن بيتًا للخزاعي قاله يُؤَبّنُ فيه خيرة الخيرَات
مدارسُ آياتٍ فلتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مُقعفرُ العَرَصاتِ[١]

* * *

(١) القصيدة لشهاب الدين يعقوب بن محمد المجاور من كتاب « بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية » لعبد الجليل حسن (ص٢٤٠ ـ ٢٤٢) ـ دار البشير .

الذين يعمرون المساجد

الذين يعمرون المساجد

سبق الكلام على من يعمرون المساجد تحت قوله ﷺ : « **ورجل قلبه معلق بالمسجد** » .

عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - عن النبي ﷺ قال : « **إن للمساجد أوتاداً ، الملائكة جُلساؤهم ، إن غابوا يفتقدونهم ، وإن مرضوا عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم** »[(١)] .

جليس المسجد على ثلاث خصال : أخ مستفاد أو كلمة محكمة أو رحمة منتظرة » .

وعن عبد اللّه بن سلام - رضي اللّه عنه - : « إن للمساجد أوتاداً هم أوتادها لهم جلساء من الملائكة ، إن غابوا سألوا عنهم ، وإن كانوا مرضى عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم »[(٢)] .

قال الرافعي - رحمه اللّه - في « وحي القلم » :

« المسجد في حقيقته هو موضع الفكرة الواحدة الطاهرة ، المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع ، هو فكر واحد لكل الرءوس ، ومن ثَمّ فهو حلّ واحد لكل المشاكل ، وكما ينشق النهر فتقف الأرض عند شاطئيه لا تتقدّم ، يقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله » .

ويقول - رحمه اللّه - :

« ما المسجد بناءً ولا مكانًا كغيره من البناء والمكان ، بل هو تصحيح

---

(١) إسناده حسن : أخرجه أحمد في « المسند » رقم (٩٤١٤) ، وقال الدكتور الحسيني هاشم : إسناده حسن (١٨/ ١١٠) .

(٢) صحيح : أخرجه الحاكم في « المستدرك » (٢/ ٣٩٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين موقوف ولم يخرجاه .

للعالَم الذي يموج من حوله ويضطرب ؛ فإن في الحياة أسباب الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها ، وهذه كلها يمحوها المسجد إذ يجمع الناس مرارا في كل يوم على سلامة الصدر ، وبراءة القلب ، وروحانية النفس ، ولا تدخله إنسانية الإنسان إلا طاهرة منزهة مُسبغة على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعار الطهر الذي يُسمَّى الوضوء ، كأنما يغسل الإنسان آثار الدنيا عن أعضائه قبل دخوله المسجد »[١] .

وقال : « إنما يتلقى المسجد من يدخله لساعته التي يدخله فيها ، ولو أنه حاسبه عن أمس وأول منه وما خلا من قبل ، لطرده من العتبة ! إن المسجد يا بني إنما يقول لداخله : ادخل في زمني ودَعْ زمنك ، وتعال إليّ أيها الإنسان الأرضيّ ، لتتحقق أن فيك حاسّة من السماء وجئني بقلبك وفكرك ، ليشعرا ساعة أنهما فيّ لا فيك »[٢] .

عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه لينادي يوم القيامة : أين جيراني ، أين جيراني ؟ قال : فتقول الملائكة : ربنا ! ومن ينبغي أن يجاورك ؟ فيقول : أين عمّار المساجد ؟** »[٣] .

* * *

(١) « وحي القلم » لمصطفى صادق الرافعي (١/ ٣١٧ـ٣١٨) .

(٢) « وحي القلم » (٢/ ١٢٣) .

(٣) سنده جيد : رواه الحارث بن أبي أسامة في « مسنده » (١/١٦) ، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٧٢٨) .

المستغفرون بالأسحار

المستغفرون بالأسحار

• في كل الليل تهبّ الرياح ، ولكن لنسيم السحر خاصيّة ما أظنه تعطّر إلا بأنفاس المستغفرين ، فلنَفَس المحب عطر ينمّ علىٰ قدر طيبه .

قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) .

قال أبو السعود : « هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون علىٰ الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم » .

وفي بناء الفعل علىٰ الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه »(٢) .

« ينزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم »(٣) .

• وقال تعالىٰ : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾(٤) .

قال القاسمي : « والاستغفار يحتمل طلب المغفرة بالذكر بقولهم : ربنا اغفر لنا ، وطلب المغفرة بالفعل ، أي بالأسحار يأتون بفعل آخر طلباً للغفران وهو الصلاة والأول أظهر والثاني عند المفسرين أشهر »(٥) .

قال العلامة ابن جرير بعد ذكر الأقوال في تأويل هذه الآية : ـ

(١) سورة الذاريات الآيتان (١٧ ـ ١٨) .

(٢) « تفسير أبي السعود » (٥/ ١٠١) .

(٣) « لطائف الإشارات » للقشيري (٦/ ٣١) .

(٤) سورة آل عمران الآية (١٧) .

(٥) « محاسن التأويل » للقاسمي (ص٥٥٢٧) .

« وأولى هذه الأقوال : قول من قال : هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها ، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء ، وقد يحتمل معناه تعرّضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء »[(١)] .

« والاستغفار بالأسحار يلقي ظلالا رفّافة ندية عميقة . . . الاستغفار بالأسحار في الفترة التي يصفو فيها الجوّ ويرق ويسكن ، وتترقرق فيها خواطر النفس وخلجاتها الدفينة ، فإذا انضمت إليها صورة الاستغفار ألقت تلك الظلال المناسبة في عالم النفس وفي ضمير الوجود سواء »[(٢)] .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني :

« إن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، ويشهد له قوله تعالى : ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ ، وإن الدعاء في ذلك الوقت مجاب »[(٣)] .

● عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **لن يُنجي أحداً منكم عمله** » قالوا : وأنت يا رسول اللّه ؟ قال : « **ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمته ، سدّدوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد تبلغوا** »[(٤)] .

وفي موضع آخر من البخاري : « **إن الدين يسر ، ولن يشاد هذا الدين أحداً إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة** »[(٥)] .

---

(١) « تفسير الطبري » (٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧) طبعة دار المعارف .
(٢) « ظلال القرآن » (٣/ ٥٩) الطبعة الأولى عيسى الحلبي .
(٣) « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٣/ ٣٨) .
(٤) رواه البخاري ومسلم .
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (١٠/ ١٥) ، والنسائي .

والدُّلجة والإدلاج : سير آخر الليل ، والمراد به هاهنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار .

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة اللَّه غالية ، ألا إن سلعة اللَّه الجنة»**(١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **« أقرب ما يكون الربّ من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر اللَّه في تلك الساعة فكُن »**(٢) .

قال المناوي : « صفة الجوف على أن ينصف الليل ويجعل لكل نصف جوف ، والقرب يحصل في جوف النصف الثاني فابتداؤه يكون من الثلث الأخير »(٣) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **« أفضل الساعات جوف الليل الأخير »**(٤) .

● وقال ﷺ : **« أفضل الساعات جوف الليل الآخـر »**(٥) .

● وعن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **« إن للَّه تبارك وتعالى ديكاً براثنه**(٦) **في الأرض السفلى ، وعنقه مثني تحت العرش ،**

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي ، والحاكم في « المستدرك » ، وعبد بن حميد ، والعقيلي في «الضعفاء»، وأبو نعيم في « الحلية » ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب ؛ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٠٩٨) .

(٢) صحيح : أخرجه الترمذي واللفظ له ، والنسائي ، والحاكم في « المستدرك » ، وابن خزيمة عن عمرو بن عبسة ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي ، وصححه البغوي ، والألباني في « صحيح الجامع» رقم (١١٨٤) و«صحيح الترغيب » (٦٢٤) و« تخريج المشكاة» .

(٣) « فيض القدير » للمناوي (٢/ ٦٩) .

(٤) صحيح : أخرجه الطبراني في « الكبير » عن عمرو بن عبسة ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١١٧) .

(٥) صحيح : رواه أحمد ، وصححه الألباني في « الصحيحة » رقم (٥٥١) (جـ٢/ ٨٣) .

(٦) جمع برثن ، وهي من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان .

وجناحاه في الهواء يـــخفق[١] **بهما سحر كلّ ليلة ؛ سبّحوا القدوس ، ربنا الرحمن لا إله غيره »**[٢] .

● عن زيد بن خالد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **لا تسبّوا الديك فإنه يوقظ للصلاة »**[٣] .

قال الطيبي : « إن العادة جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفـــجر ، وفي الثلث الأخير وقت قيامه ﷺ . . . فيذكر الناس بصراخه للصلاة .

وفي حديث عائشة : « كان إذا سمع الصارخ قام فصلى » والصارخ الديـــــك ، رواه البخاري ومسلم والنسائي .

وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : « إن كان رسول اللَّه ﷺ ليوقظه

---

(١) يخفق بهما : أي يحرّكهما ، « النهاية » (٢/ ٥٥) .

(٢) صحيح لغيره : أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » ، والسيوطي في « الوديك في أخبار الديك » (ص٥) وعزاه إلى جعفر الفريابي في « فضل الذكر » وأبو الشيخ في « العظمة » ، وفي إسناده ضعف .

قال السيوطي بعد أن ساقه في « اللآلي المصنوعة » (١/ ٦١) « من رواية أبي الشيخ : أيوب بن سويد روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وضعفه أحمد وجماعة ، وباقي رجاله ثقات»اهـ.

وله شاهد من حديث صفوان بن عسّال موقوفًا أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (٨/ ٨١)، رقم (٧٣٩١) بسنده عن عاصم بن بهدلة عن زر عنه : . . . قال : « إن للَّه ديكا رأسه تحت العرش وجناحه في الهواء ، وبراثنه في الأرض ، فإذا كان في الأسحار وأدبار الصلوات خفق بجناحه وصفّق بالتسبيح ، فتصيح الديكة فتجيبه بالتسبيح » قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ١٣٤) : « وعاصم بن بهدلة ضعيف وقد حسن حديثه » اهـ . وحديثه في « الصحيحين » مقرون ، فبهذا الشاهد يصح الحديث ، لا سيما هناك عدة أحاديث في هذا المعنى .

(٣) إسناده صحيح : رواه أبو داود ، وأخرجه النسائي مسندًا ومرسلاً كما قال المنذري ، وصحح إسناده النووي في « الأذكار » و« الرياض » ، وصححه المناوي وحسّنه السيوطي والألباني في «صحيح الجامع » رقم (٧١٩١) و« تخريج المشكاة » رقم (٤١٣٦) .

اللَّه عز وجلّ بالليل فما يجيء السحر حتى يفرغ من حزبه»[(١)] .

قال لقمان لابنه : يا بنيّ ، لا يكون الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم .

قم بنا يا أخي لما نتمنّى وأطرد النوم بالعزيمة عنّا
قم فقد صاحت الديوك ونادتْ لا تكون الديوك أطرب منّا

وفي « الزهد » لابن حنبل : « إن داود سأل جبريل فقال : يا جبريل أي الليل أفضل ؟ قال : يا داود ما أدري إلاّ أن العرش يهتز من السحر » .

ورُوي أنه لما قال أبناء يعقوب له : ﴿ **استغفر لنا** ﴾ أخّرهم إلى السحر بقوله : ﴿ **سوف أستغفر لكم** ﴾ .

قال سفيان : إن للَّه ريحًا مخزونة تحت العرش تهبّ عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار .

يا نسيم الريح من كاظمة شدّ ما هجت الأسى والبرحا
الصّبا إن كان لابدّ الصبا إنها كانت لقلبي أروحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قرّبت من نزحا
وارحموا صبّا إذا غنىّ بكم شرب الدمع وعاف القدحا

قال الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ : « أمامك كل يوم لحظة بالغداة ، ولحظة بالعشيّ ، ولحظة في السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ فتظفر بخير الدنيا والآخرة .

أخي : لن تحلّ في جوار الجبّار حتى تحلّ بضائع الأسحار .

- أرواح الأسحار أقوات الأرواح .
- قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هبّ عليها نسيم السحر

(١) إسناده حسن : رواه أبو داود في الصلاة باب وقت قيام النبي ﷺ ، وسكت عنه المنذري وقال الشيخ عبد القادر الأرناءوط : إسناده حسن ، انظر : « التعليق على شرح السنة » .

التهبت وأجّج ما فيها من شوق إلى اللَّه عز وجل .

• مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجرة بالأغصان ، فهزّ منهم الخوف أفنان القلوب ، فانتثرت الأفنان ، فاللسان يتضرّع ، والعين تدمع ، والوقت بستان ، خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعيم ونعمان ، سورهم أساورهم والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم فما درٌّ ولا مرجان .

• ريح الأسحار ركابيّ الرسائل ، ونسيم الفجر ترجمان الجواب .

فيا ريح الصبا اقترحي على الأحشاء واحتكمي
أراك نَسمْتِ تختبرين ما عهدي وما ذممي
فهذي في يدي كبدي وذا في وجنتيّ دمي

• يا من كان له قلب فانقلب ، يا من كان له وقت مع اللَّه فذهب ، دعاء السحر يستوحشُ لك ، وصيام النهار يُعاتبك .

قلت لليل هل بجوفك سر أنبئني ما أروع الأسرار
قال ما ضاء في ظلامي سر كدموع المنيب في الأسحار

• لو شممت رحيق الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور يا نائمًا طول الليل . . . كنت تستطيب رياح الأسحار وما تغيّر المحب عز وجل ، كنت مع الرعيل الأول فما الذي ردّك إلى الساقة ؟ .

• يا نائمًا طول الليل ما تحسّ برد السحر ، لقد دلّت أغاريد الحمام على دنوّ الفجر ، صاح الديك فلم تنتبه ، وأعاد فلم تفق ، فقوي ضرب الجناحيْن لطمًا على غفلتك .

• أرواح الأسحار لا يستنشقها مزكوم غفلة ، إنها لتأتي بألطاف الحبيب ثم تعود تطلب رسالة ألا من مستغفر فأغفر له .

• لو رأيت رياح الأسحار تحرك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة .

يا لذة خلوهم بالحبيب ، ويا وفور نصيبهم من ذلك النصيب .

• قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللّه يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا فنادى : هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر** »[١] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللّه يمهل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثاه قال : لا يسألن عبادي غيري ، من يسألني استجب له ، من يسألني أعطه ، من يستغفرني أغفر له حتى يطلع الفجر** »[٢] .

هبّت رياح وصالهم سحــراً   لحدائق الأشــــواق في قلبـــي
واهتزّ عُود الوصل من طـــربٍ   وتســاقطت ثمـــر من الحــبِّ
ومضت خيول الهجر ســادرة   مطـــرودة بعســـاكر القـــرب
وبدت شموس الوصل خـــارقة   بشعـاعها لســُرادق الحَجْــب
وصفــا لنا وقت أضـــاء بـــه   وجه الرّضا عن ظلمة العتّــب[٣]

قفِ في السحر على أقدام الذل وقل : يا أيها العزيز قد مسّنا وأهلنا الضرّ ، اقعد على جانب وادي السحر فلعلّ إبل القوم تمرّ بك « منهم تعلّمت الحمام النوح والإبل الحنينا » وآسف المتقاعد عنهم ، واحسرة العبيد منهم .

واعجبا ! رسائل الأسحار تُحمل ولا يدري بها الفلك ، وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها المَلَك .

صحائفنــــا إشـــارتنــا   وأكثـــر رســـلنا الحـــرق

---

(١) رواه أحمد في « مسنده » ، ومسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة معا .

(٢) صحيح : أخرجه ابن ماجه عن رفاعة الجهني ،وصححه الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٩١٣) ، و« الإرواء » (٤٤٩) .

(٣) « التبصرة » (ج٢/ ٣٢٥) .

لأن الكُتب قد تُقرا بغير الدمع لا نشقُ

رياح الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التائبين ، ثم تعود بردّ الجواب .

فازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرىٰ ، وما عند أهل الغفلة والنوم خبرٌ مما جرىٰ .

يا نفس قومي فقد نام الورى إن تبغي الخير فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى عند الصباح يحمد القوم السرى(١)

● يا هذا ، إذا حضر قلبك فنسيم السحر يذكّرك ، وإن غاب قلبك فمائة ألف نبيّ لا يوصلون التذكرة إليك .

ولي ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهبُ

إن لم تكن مع القوم في السحر ، تلمّح آثار الحبيب عليهم وقت الضحىٰ ، ترىٰ في صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار « وجوه زهاها الحسنُ أن تتبرقعا » .

قاموا في السحر علىٰ قدم الاعتذار ، ثم تساندوا إلىٰ رواحل البكاء والاستغفار ، رفعوا رسائل الجوىٰ فعاد جواب الأبرار .

● وآسفىٰ متىٰ رحلوا ؟ ليت شعري أين نزلوا ؟ .

● أما تستنشق ريح السحر ؟! أما تجدُ برد الفجر ؟!

يا مطولاً بالقيام مستلذا بالمنام
قمْ فقد فاتك يا مغبون أرباح الكرام
وخلَواْ دونك بالمولى وفازوا بالمرام
وكذا يسبقك القوم إلى دار السلام

---

(١) « لطائف المعارف » لابن رجب (٤٢ ـ ٤٣) .

• يا نائمًا طول الليل سارت الرفقة ، طلعت شمس المشيب وما انتهيت من الرقدة ، لو قمت وقت السَّحر رأيت طريق العبّاد قد غصّ بالزحام ، ولو وردت ماء مدين وجدت عليه أمة من الناس يسقون ، وأسحرة ليل القوم ما أضواها ، قاموا على أقدام التحير بين كنّ الحذر ، وشارع الشوق ، سترهم ذيل الليل تحت مخيّم الظلام .

سقوا بمياه أعينهم هناك الضال والرّنْدا
بأنفاس كبرق في أنين يشبه الرعدا

• عن نافع « أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا فيقول : لا فيعاود ، فإذا قال : نعم ، قعد يستغفر اللَّه حتى يصبح »[(١)] .

• وتمثّل محمد بن نافع في السحر ببيت من الشعر فرفع هرم بن حيّان عليه السوط وجلده على الظهر قائلاً له : « أفي هذه الساعة التي ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثّل بالشعر »[(٢)] .

• وكان لأبي مسلم الخولاني سوط يعلقه في مسجده ، فإذا كان السحر ونعس أو ملّ أخذ السوط وضرب ساقيه ، ثم قال : لأنت أولى بالضرب من شر الدواب »[(٣)] .

• وقال ابن أيوب السختياني عنه : كان يجهر بالقرآن من الليل ، وكان يقوم بالسحر الأعلى .

• وكان البخاري ـ رحمه اللَّه ـ يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة كما قال خادمه محمد بن أبي حاتم الورّاق .

---

(١) سنده جيد : أخرجه الطبراني في « المعجم » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، وابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٣٤٩) ، وقال : « سنده جيد » .
(٢) « الزهد » لابن حنبل (ص٢٣٢) .
(٣) « مختصر قيام الليل » (ص٢٨) .

• وكانت عجردة العمية تحيي الليل صلاة ، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون : إليك قطع العابدون دجى الليالي بتبكير الدلج إلى ظلم الأسحار يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلهي لا بغيرك أسألك أن تجعلني في أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعني إليك في درجة المقرّبين ، وأن تلحقني بعبادك الصالحين ، فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء » ، ثم تخرّ ساجدة فلا تزال تبكي وتدعو في سجودها حتى يطلع الفجر فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة [1] .

• وكانت حبيبة العدوية تقبل على صلاتها بالليل ، فإذا كان السحر قالت : اللّهم وهذا الليل قد أدبر ، وهذا الصباح قد أسفر ، فليت شعري هل قبلت مني ليلتي فأُهنَّى ، أم رددتها عليّ فأُعَزَّى ، فوعزّتك لهذا دأبي ودأبك أبدًا ما أبقيتني ، وعزّتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك ، ولا وقع في قلبي غير جودك وكرمك »[2] .

• وعمرة امرأة حبيب العجمي تنبهه في السحر وتقول : « قم يا سيدي فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل ، وقوافل الصالحين قد سارت قدّامنا ونحن قد بقينا »[3] .

• قال الأوزاعي ـ رحمه اللّه ـ : « كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشيء ، كأنما على رءوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حميمًا لأحدهم قد غاب عنه حينًا ، ثم قدم ما التفت إليه » .

• وكان أحد الصالحين في بعض المغازي يحيي الليل حيث كان على ظهر دابته ، أو على الأرض وكان إذا نظر إلى الفجر يلمع ضوءه قال : « يا إخوتاه عند بلوغ الماء يفرح الواردون بتعجيل الرواح » .

• وكان عمير بن حبيب يقول لأهله : « يا أهلاه ! الدُّلجة الدُّلجة . . . إنه مَنْ يُسبق إلى الماء يظمأ ، . . . يا أهلاه ، الدلجة الدلجة . . . إنه من

(١) « صفة الصفوة » (٤/ ٣١) .
(٢) « صفة الصفوة » (٤/ ٣٢) .
(٣) « صفة الصفوة » (٤/ ٣٥) .

يُسبق إلىٰ الظل يضحىٰ .

وقال يحيىٰ بن معاذ : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرّع عند السحر ، ومجالسة الصالحين »[(١)] .

● قال الحسن بن عرفة ليزيد بن هارون : يا أبا خالد: ما فعلت العينان الجميلتان ؟

قال : ذهب بهما بكاء الأسحار .

● وكان عتبة الغلام يبكي من السحر بكاءً شديدًا ويقول لما يُسأل في ذلك: « إني واللَّه ذكرت يوم العرض علىٰ اللَّه » ، ثم يقول وقد غشي عليه: «قطّع ذكر يوم العرض علىٰ اللَّه أوصال المحبين » ويقول : « تراك مولاي تعذّب محبيك وأنت الحي الكريم »[(٢)] .

● وقال أبو عاصم العبّاداني عن عابد من بني سعد : كان يصلي الليل والنهار لايكاد يفتر ، فإذا كان السحر احتبىٰ ، واستقبل البحر فجعل يبكي وينوح علىٰ نفسه ، فإذا أحسّ بإنسان أمسك ، قال : فخرجت ذات ليلة إلىٰ الساحل فإذا أنا بصوته وإذا هو يبكي ويقول في بكائه :

ألا يا عينُ ويحك أسعديني بطول الدّمـــع في ظلم الليالي
لعلّك في القيامة أن تفوزي بخير الدهر في تلك العـــلالي[(٣)]

● وكان أحد العبّاد يقوم الليل حتىٰ إذا برق عمود الصبح وثب قائمًا علىٰ قدميه ونادىٰ بأعلىٰ صوته : ذهب الليل ، وأقبل النهار بدواهيه ، ولم أقض من خدمتك وطرًا، خسر من أتعب لغيرك بدنه وألجأ إلىٰ سواك همه»[(٤)] .

---

(١) « صفة الصفوة » (٤/ ٩٢) .
(٢) « صفة الصفوة »(١/ ٣٧٠ ، ٣٧١) .
(٣) « صفة الصفوة »(٤/ ٥٩) .
(٤) « صفة الصفوة »(٤/ ٤٠٧ ، ٤٠٨) .

• وكان خليفة العبدي يقوم الليل يصلي حتى يطلع الفجر ، وكان يدعو في السحر يقول : « هب لي إنابة إخبات ، وإخبات منيب ، وزيّني في خَلقك بطاعتك ، وحسّني لديك بحسن خدمتك ، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون ،فأنت خير مسئول وخير معبود وخير مشكور وخير محمود» .

وكان إذا دعا في السحر يقول: « قام البطّالون وقمت معهم ، قمنا إليك ونحن متعرّضون لجودك ، فكم من ذي جرم قد صفحت له عن جرمه، وكم من ذي كرب عظيم قد فرجت له عن كربه ، وكم من ذي ضرّ كبير قد كشفت له عن ضرّه ، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعدما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذي عرّفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمَّل لكل خير ، والمرجوّ عند كل نائبة »[١] .

• وكان بعض الصالحين يقوم الليل فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته : «يا أيها الركب المعرسون ، أكلّ هذا الليل ترقدون ؟! ألا تقومون فترحلون؟ فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم ، فيسمع مِن هنا باك ، ومِن هنا داعٍ ، ومِن هنا تال ، ومن هنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : « عند الصباح يحمد القوم السرى »[٢] .

* * *

(١) « حلية الأولياء » (٦/ ٣٠٣-٣٠٤) .

(٢) « لطائف المعارف» (ص٤٢) .

العلمـــاء الربانيـــون

العلمـــــاء الربانيون

العلماء العاملين ممن يظلهم اللّه في ظله . كما قال البخاري[1] :

قال أبو المظفّر محمد بن أحمد بن حامد بن إبراهيم البخاري : لما عُزِل أبو العباس الوليد بن إبراهيم بن زيد الهمذاني عن قضاء الريّ ورد بخارىٰ سنة ثماني عشرة وثلاث مائة لتجديد مودة كانت بينه وبين أبي الفضل محمد بن عبيد اللَّه البلعمي فنزل في جوارنا ، قال : فحملني معلّمي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الخُتُّلي إليه ، وقال له : أسألك أن تحدّث هذا الصبيّ بما سمعت من مشايخك ـ رحمهم اللَّه ـ فقال : ما لي سماع ، قال : فكيف وأنت فقيه ، فما هذا ؟ قال : لأني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي إلىٰ طلب الحديث ، ومعرفة الرجال ، ودراية الأخبار ، وسماعها ، فقصدت محمد بن إسماعيل البخاري ببخارىٰ صاحب « التاريخ » والمنظور إليه في معرفة الحديث ، فأعلمته مُرادي ، وسألته الإقبال عليّ بذلك . فقال لي : يا بنيّ لا تدخل في أمر إلاّ بعد معرفة حدوده والوقوف علىٰ مقاديره . قال : فقلت له : عرِّفني حدود ما قصدتُ له ومقادير ما سألتك عنه . قال : اعلم أن الرجل لا يصير مُحَدِّثًا كاملاً في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعًا مع أَرْبع كأربع مثل أربع في أربع عند أربع بأربع علىٰ أربع عن أربع لأربع ، وكل هذه الرباعيات لا تتم بأربع مع أربع ، فإذا تمّتْ له كلها هانت عليه أربع ، وابتلي بأربع ، فإذا صبر علىٰ ذلك أكرمه اللَّه تعالىٰ في الدنيا بأربع وأثابه في الآخرة بأربع .

قال : قلت له : فسِّر لي ـ رحمك اللَّه ـ ما ذكرت من أحوال هذه

---

(١) قصة لا تثبت عن أستاذ الأستاذين الإمام البخاري .

الرُّباعيّات عن قلب صافٍ بشرح كافٍ ، وبيانٍ شافٍ طلبًا للأجر الوافي .

قال : نعم .

أما الأربعة التي تحتاج إلى كِتْبَتِها فهي : أخبار رسول اللَّه ﷺ وشرائعه، والصحابة ومقاديرهم ، والتابعين وأحوالهم ، وسائر العلماء وتواريخهم ، مع أسماء الرجال وكُناهم ، وأمكنتهم ، وأزمنتهم ، كالتحميد مع الخطب ، والدعاء مع التَّرسل ، والبسملة مع السور ، والتكبير مع الصلوات ، مثل المُسنَدات ، والمُرْسلات ،والموقوفات ، والمقطوعات في صغره ، وفي إدراكه ، وفي شبابه، وفي كهولته ، عند شغله ، وعند فراغه، وعند فقره وعند غناه، بالجبال ، والبحار ، والبلدان والبراري ، على الأحجار والأصواف والجلود والأكتاف ، إلى الوقت الذي يمكنه نقلها إلى الأوراق عمن هو فوقه وعن من هو مثله وعمّن هو دونه، وعن كتاب أبيه ، يتيقّن أنه بخط أبيه دون غيره لوجه اللَّه تعالى طالبًا لمرضاته ، والعمل بما وافق كتاب اللَّه منها ، ونشرها بين طالبيها ومُحبيها والتأليف في إحياء ذكره بعده ، ثم لا تتم له هذه الأشياء إلا بأربع التي هي من كسب العبد أعني : معرفة الكتابة ، واللغة ، والصرف ، والنحو ؛ مع أربع هي من إعطاء اللَّه عز وجل ، أعني : الصحّة والقدرة والحِرْص والحِفظ ، فإذا تمَّتْ له هذه الأشياء هان عليه أربع : الأهل ، والولد ، والمال، والوطن ، وابتلي بأربع : بشماتة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجهلاء ، وحسد العلماء ؛ فإذا صبر على هذه المحن أكرمه اللَّه تعالى في الدنيا بأربع : بعزّ القناعة ، وبهيبة النفس ، وبلذّة العلم ، وبحياة الأبد .

وأثابه في الآخرة بأربع : بالشفاعة لمن أراد من إخوانه ، وبظل العرش حيث لا ظلّ إلا ظله ، وبسقي من أراد حوض نبيه محمد ﷺ ، وبجوار

النبيين في أعلىٰ عليين في الجنة .

فقد أعلمتك يا بنيّ مجملاً جميع ما كنتُ سمعتُ من مشايخي متفرّقًا في هذا الباب ، فأقبل الآن علىٰ ما قصدتني له ، أوْ دَع .

قال : فهالني قوله وسكتّ متفكرًا ، وأطرقت نادمًا ، فلما رأىٰ ذلك مني .

قال : فإنْ لا تُطق احتمال هذه المشاق كلها فعليك بالفقه الذي يُمكنك تعلّمه وأنت في بيتك قارّ ساكن لا تحتاج إلىٰ بُعْد الأسفار وطيّ الديار ، وركوب البحار ، وهو مع ذا ثمرة الحديث ، وليس ثواب الفقيه بدون ثواب المحدِّث في الآخرة ولا عزّه بأقلّ من عزّ المحدِّث .

فلما سمعت ذلك نقص عزمي في طلب الحديث ، وأقبلت علىٰ علم ما أمكنني علمه بتوفيق اللّه ومَنّه ، فلذلك لم يكن عندي ما أُمليه علىٰ هذا الصبي يا إبراهيم ، فقال : يا أبا إبراهيم : إن هذا الحديث الذي لا يُوجد عند أحدٍ غيرك خير من ألف حديث يوجد مع غيرك »[(١)] .

هذه الرباعيات مشهورة لها ذكر في كتب التاريخ وشروح الحديث وعلم المصطلح ، ذكرها السيوطي والقسطلاني والسخاوي ومحمد حبيب الشنقيطي . أنكرها وحكم عليها بالوضع الحافظ ابن حجر فقال : « قلبي نافر من صحتها ، غير مستعد لقبولها تلوح أمارات الوضع عليها وتلمع إشارات التلفيق فيها . . . أما قول القائل الذي في آخرها إن هذا خير من ألف حديث ، فكذب لا مزيد عليه »[(٢)] .

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٤/ ٤٦١ ـ ٤٦٤) تحقيق بشّار عوّاد معروف ـ طبع مؤسسة الرسالة .

(٢) « الجواهر والدرر » (١/ ٣٠٧-٣٠٨) ، واستنكرها الأبياري ، والسيد أحمد صقر .

فصل خاص

بطلاب العلم

فصل خاص بطلاب العلم

متن الحديث وسنده

أ ـ تخريج الحديث :

● أخرجه مالك في « الموطأ » كتاب الشعر ، باب (ما جاء في المتحابين في اللَّه) .

● وأخرجه البخاري في « الصحيح » كتاب الأذان : باب (من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد) (٢/ ١٤٣) حديث رقم (٦٦٠ ـ مع « فتح الباري »)[١] .

● وفي كتاب الزكاة : باب (الصدقة باليمين) (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣) حديث رقم (١٤٢٣)[٢] .

● وفي كتاب الرقائق : باب (البكاء من خشية اللَّه عز وجل) (١١/ ٣١٢) حديث رقم (٦٤٧٩) وأورده مختصراً جداً[٣] .

● وكتاب الحدود باب (فضل من ترك الفواحش) (١٢/ ١١٢) حديث رقم (٦٨٠٦)[٤] .

● ومسلم في « الصحيح » : كتاب الزكاة باب (فضل إخفاء الصدقة) (٢/ ٧١٥) حديث رقم (١٠٣١)[٥] .

● والنسائي : في « السنن الكبرىٰ » في كتاب القضاء وكتاب الرقائق ،

---

(١) « فتح الباري » (٢/ ١٤٣) .
(٢) « فتح الباري » (٣/ ٢٩٣) .
(٣) « فتح الباري » (١١/ ٣١٢) .
(٤) « فتح الباري » (١٢/ ١١٢) .
(٥) « شرح مسلم » (٧/ ١٢٠) .

كما في « تحفة الأشراف » (٩/ ٣٢٢) .

وفي « المجتبىٰ » : كتاب أداب القضاة باب (الإمام العادل) (٨/ ٢٢٢) .

• وأخرجه الترمذي في « الجامع » كتاب الزهد باب (ما جاء في الحب في اللَّه) (٤/ ٥٩٨_٥٩٩) .

• وأحمد في « مسنده » (٢/ ٤٣٩) .

• وابن المبارك في « الزهد » (١٣٤٢) ، وابن حبان في « صحيحه » (٧/ ٩_١٠) رقم (٤٤٦٩ _مع الإحسان) .

• والبيهقي في « السنن الكبرىٰ » كتاب الصلاة ، باب (فضل المساجد) (٣/ ٦٥) .

وكتاب قتال أهل البغي : باب (فضل الإمام العادل) (٨/ ١٦٢) .

وكتاب الزكاة : باب (فضل صدقة السر) (٤/ ١٩٠) ، كما خرجه في « الأربعين الصغرىٰ » وفي « الآداب » .

• وأبو نعيم في « فضل العادلين » .

وابن أبي حاتم في « العلل » (٢/ ٤٠٧_٤٠٨) .

• وخرجه أيضًا البيهقي في « الأسماء والصفات » ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» وابن زنجويه في « الأموال » كلهم عن مالك .

• **سند الحديث** :

• رواه مالك بالشك بين أبي سعيد أو أبي هريرة .

• والبخاري لم تختلف روايته . عن أبي هريرة فقط .

• ومسلم له رواية عن غير مالك إلىٰ أبي هريرة ، ورواية أخرىٰ عن طريق مالك بالشك بين أبي سعيد وأبي هريرة ، أي وافق مالكًا .

• والنسائي يرويه عن أبي هريرة فقط .

• والترمذي عن طريق مالك وبرواية الشك كذلك ، ورواية أخرىٰ عن عبيد اللَّه بن عمر من غير طريق مالك وعن أبي هريرة فقط .

فتكون كل الروايات عن غير طريق مالك بالجزم عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - ، وطريق مالك فقط في « الموطأ » هي التي فيها الشك بين أبي سعيد وأبي هريرة ، بينما لم يذكره أحد عن طريق أبي سعيد .

• ولقد أورد الزرقاني في شرحه علىٰ الحديث أنه جاء عن مالك بثلاث حالات سوىٰ ما في « الموطأ » :

١ - إفراد أبي هريرة . ٢ - إفراد أبي سعيد . ٣ - اشتراكهما معًا بالواو .

ولكنه ناقشها ، وهي كالآتي :

١ - رواه في « الموطأ » بالشك .

٢ - مصعب الزبيري وموسىٰ بن طارق ، فجعلاه عنهما بواوالعطف ، وشذّا في ذلك عن أصحاب مالك ، قاله الحافظ ، وذكر أبو عُمر أن أبا معاذ البلخي عن مالك تابعهما في روايته بالواو وقال :

٣ - وورواية زكريا بن يحيىٰ الوقاد ، عن ابن وهب وابن القاسم ويوسف ابن عمر بن يزيد ، كلهم ، عن مالك ، عن خبيب ، عن حفص ، عن أبي سعيد وحده .

٤ - ورواه عبيد اللَّه بن عمر ، عن حفص بن عاصم ، عن خاله خبيب ، عن جده حفص ، عن أبي هريرة وحده .

قال الحافظ في « الأمالي » : المحفوظ عن مالك بالشك ، ورواية زكريا خطأ ، والمحفوظ عن حفص بن عاصم ، عن أبي هريرة وحده ، وكذلك أخرجه الشيخان والنسائي من طريق عبيد اللَّه وهو أحد الحفاظ الأثبات وخبيب خاله وحفص جده ولم يشك فروايته أولىٰ .

وتابعه مبارك بن فضالة عن خبيب . أخرجه الطيالسي ، وقال في

«الفتح» : والظاهر أن عبيد اللَّه حفظه لكونه لم يشك فيه ، لكونه من رواية خاله وجده[1] .

فمالك شارك الجميع في أبي هريرة وخالف الجميع في أبي سعيد ، فكأنه معه زيادة ، مما يعطي السند قوة ، لا أن يُسبب له ضعفًا ، ويكفي وجوده في هذه المراجع الأم بالنسبة للحديث : البخاري ومسلم والنسائي والترمذي و« مسند أحمد » .

كما أن الروايات الأخرىٰ عن مالك عن أبي سعيد وأبي هريرة بواو العطف ، وعن أبي سعيد وحده قد ساقها ابن عبد البر مع رواية أو التي للشك المثبتة في « الموطأ »[2] وكلها بطريق حفص بن عاصم أيضًا .

مبحث ألفاظ الحديث وحصرها :

قال الشيخ عطية سالم في كتابه «في ظلال عرش الرحمن» (١٩ـ ٢٣) :

يتضح من إيراد النصوص المتقدمة لهذا الحديث ، أنه توجد مغايرات في بعض ألفاظه بزيادة أونقص ، أو استبدال لفظ مكان آخر ، أو صنف من السبعة بدل صنف آخر . كما يتضح أيضًا وجود مغايرة في ترتيبه ونسق الأصناف السبعة ، من تقديم بعضها علىٰ بعض وذلك كالآتي :

أولاً : في ألفاظه : ونقدمها جملة جملة :

الأولى : « سبعة يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله » .

هذه الجملة ساقها مالك في « الموطأ » ووافقه البخاري ومسلم والترمذي في الموضعين الأوليين ، أما الموضع الثالث فزاد فيها : « يوم

---

(١) « شرح الزرقاني علىٰ الموطأ » (٤/ ٣٤٣) .

(٢) « التمهيد » لابن عبد البر (٢/ ٢٨٠) .

القيامة» وهي عند النسائي فقال : « **سبعة يظلهم اللّه يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » ولم يأت لفظ العرش في رواية من تلك الروايات كما ترىٰ .

إثبات لفظ العرش :

ساق ابن عبد البر في « التمهيد » هذه الجملة بثلاث روايات ، وهي كالآتي :

١ ـ الرواية الأولىٰ : « **سبعة يظلهم اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » . وهي عن أبي هريرة وأبي سعيد .

٢ ـ « **سبعة في ظل اللّه يوم لا ظل إلا ظله** » ، وهي كذلك بأو ، عنهما .

٣ ـ « **سبعة يظلهم اللّه في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله** » ، وهذه عن أبي سعيد وحده ، فتكون لفظة : « **عرشه** » ثابتة عند ابن عبد البر في «التمهيد» ، وسندها عنده كالآتي : أخبرنا علي بن إبراهيم قال : حدثنا الحسن بن رشيق قال حدثنا أبو محمد سعيد بن أحمد بن زكرياء ، كاتب العمري زكرياء بن يحيىٰ الوقاد ، حدثنا عبد اللَّه بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم ويوسف ابن عمر بن يزيد كلهم يقول : حدثني مالك بن أنس ، عن خبيب إلىٰ آخر السند .

وذكر الزرقاني لفظة (العرش) قال : في حديث سلمان عن سعيد بن منصور بإسناد حسن : « **سبعة يظلهم اللّه في ظل عرشه** » .

فالمغايرة هنا : بزيادة : يوم القيامة ، ولفظ : عرشه .

الثانية :

أ ـ « **إمام عادل** » هذه الجملة منكرة الطرفين ، رواية « الموطأ » ووافقه عليها البخاري في المكان الرابع ، وكذلك هي عند الترمذي والنسائي .

ب ـ « **الإمام العادل** » : بتعريف الطريفين : رواية البخاري في أول إيراد

الحديث ووافقه عليها مسلم .

جـ « **إمام عدل** » : بالنعت بالمصدر ، رواية البخاري في الموطن الثاني من إيراد الحديث .

د ـ «**إمام مُقسط في رعيته**» : من روايات السيوطي في «الجامع الصغير» .

والمغايرة هنا بين تنكير وتعريف الطريفين ، وإمام عادل وإمام عادل وإمام مقسط .

الثالثة :

أ ـ « **شاب نشأ في عبادة اللّه** » : رواية « الموطأ » ووافق عليها البخاري في الموطن الثاني ، وفي الموطن الرابع ، والنسائي وزاد : (**عز وجل**) .

ب ـ « **شاب نشأ في عبادة ربه** » للبخاري في الموطن الأول .

جـ ـ « **شاب نشأ بعبادة اللّه** » لمسلم وللترمذي .

والمغايرة هنا في عبادة اللّه ، في عبادة ربه ، وبعبادة اللّه بالباء .

الرابعة :

أ ـ « **ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه** » : هذه رواية «الموطأ» (**بالمسجد**) بالباء .

ب ـ «**ورجل قلبه معلق في المسجد** » : للبخاري في (الرابع) في المسجد .

جـ ـ «**ورجل قلبه معلق في المساجد** » : بالجمع للبخاري في (الأول) ومسلم .

د ـ « **ورجل معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه** » : بدون ذكر القلب لمسلم .

هـ ـ « **ورجل كان قلبه معلقاً بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه** » : بزيادة

(**كان**) للترمذي .

و ـ « **ورجل قلبه معلق بالمساجد من شدة حبه إياها** » : للترمذي أيضًا .

ز ـ « **ورجل كان قلبه معلقًا في المسجد** » . للنسائي .

والمغايرة هنا بين أفراد المسجد وجمعه، وتعدي معلق : بالباء أو في .

الخامسة :

أ ـ « **ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا على ذلك وتفرقا** » : « للموطأ » .

ب ـ « **ورجلان تحابا في الله عز وجل** » . للنسائي .

جـ ـ « **ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»: البخاري في الأولى، ولمسلم .

د ـ « **ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا** » . البخاري في الثاني .

هـ ـ « **ورجل يحب رجلاً لا يحبه إلا لله** » . للسيوطي .

والمغايرة هنا في الاجتماع والتفرق ، وتثنية (رجل) مع (تحابا) ، وإفراده وصدور الحب منه هو .

السادسة :

أ ـ « **ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** » : الترمذي و« للموطأ » لبخاري الأول والثاني ولمسلم .

ب ـ « **ورجل ذكر الله في خلاء** » : للبخاري في الرابعة ، وللنسائي .

جـ ـ « **وعين بكت من خشية الله** » : للسيوطي .

المغايرة هنا : في « **رجل** » وفي « **عين** » و« **خاليًا** » وفي « **خلاء** » .

السابعة :

أ ـ « **ورجل دعتــه امــرأة ذات حسب وجمــال فقال : إني أخــاف الله** » « للموطأ » .

ب ـ « **ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها** » : النسائي .

جـ ـ « **ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله** » : للبخاري في الرابع ومسلم .

د ـ « **ورجل دعته ذات حسب وجمال** » : بدون ذكر امرأة للترمذي .

هـ ـ « **ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال** » : للبخاري في الأولى .

و ـ « **ورجل عرضت عليه نفسها ذات منصب وجمال فتركها لجلال الله**» : وهذه للسيوطي .

والمغايرة هنا في الحسب والمنصب ،وطلبت ، وعرضت ، وذكر المرأة وحذفها .

الثامنة :

أ ـ « **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » : «للموطأ» وللبخاري في الثاني والرابع وللترمذي .

ب ـ « **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه** » : للنسائي .

جـ ـ « **ورجل تصدق فأخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** » : للبخاري في الأول .

د ـ « **ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لم تعلم شماله ما أنفقت يمينه** » : في « التمهيد » .

هـ ـ « **ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله** » : لمسلم بإسناد الإنفاق لشماله .

و ـ « **ورجل يعطي الصدقة بيمينه فيكاد يخفيها عن شماله** » :

والمغايـرة هنا بين : ما تنفق وأنفقت ، ودلالـة تنفق على التكرار أكثر، وبين أنفقت يمينه وأنفقت شماله ، وأنفقت شماله أدخل في

الإخفـاء، وبين أنفقت وصنعت .

• المغايرة في ألفاظ الحديث وأصنافه :

لم تقع مغايرة في الأصناف السبعة التي وردت في الحديث إلا عند السيوطي ، فقد زاد ونقص فيما أورد زيادة على الرواية المتفق عليها .

في الرواية الأولى :

أ ـ أنقص : « **شاب نشأ في عبادة الله** » .

و« **رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه** » .

ب ـ وذكر بدلاً منهما : « **ورجل كان في سرية مع قوم فلقوا العدو فانكشفوا فحمى آثارهم حتى نجا ونجوا أو استشهد** » .

وفي الرواية الثانية :

أ ـ حذف شاب ، وإمام عادل ، ورجل تصدق .

ب ـ وذكر : « **ورجل غض عينه عن محارم الله** » و « **عين حرست في سبيل الله** » .

* * *

ترتيب الحديث في إيراد جمله السبع من حيث التقديم والتأخير

• قال الشيخ عطية سالم :

لا شك أن لترتيب الحديث أثرًا في ربط المعاني وأوجه الدلالة ، وإن كانت تلك الأصناف السبعة كلها مغايرة بعضها لبعض ، وكل قسم منها قائم بذاته ، مستقل عن غيره ، لو أفرد بنفسه .

ولكن للترتيب صلة بالتعليل والسببية ، وهو مقصد بلاغي عظيم ، له

أثره في الحديث النبوي الشريف ، كما له الأثر البالغ في القرآن الكريم .

وقد لاحظنا تقديمًا وتأخيراً وذلك كالآتي :

أولاً : اتفقوا على تقديم الإمام العادل ، والتثنية بالشاب الناشئ في عبادة اللَّه .

ثانيًا : جاء الصنف الثالث : التعلق بالمسجد عند الجميع ، ما عدا موضعًا للبخاري هو الرابع ، جاء محله « ذكر اللَّه خاليًا » .

ثالثًا : جاء الصنف الرابع : الحب في اللَّه عند الجميع ، ما عدا البخاري في الموضع الرابع جاء محله المسجد .

رابعًا : الصنف الخامس : جاء الذكر عند مالك والترمذي ، والحب عند البخاري في الرابع بينما جاءت المرأة عند البخاري في الأول والثاني ، وعند مسلم .

خامسًا : جاء الصنف السادس : المرأة عند مالك والبخاري في الرابع والترمذي ، بينما جاءت الصدقة عند البخاري في الأول ومسلم .

سادسًا : جاء الصنف السابع : الصدقة عند مالك والبخاري في الرابع والترمذي ، بينما جاء الذكرعند البخاري في الأول ومسلم .

فمسلم والبخاري متفقان تمامًا في الترتيب بدءًا بالإمام العادل ، وختمًا بذكر اللَّه تعالى .

ومالك والترمذي متفقان تمامًا بدءًا بالإمام وختمًا بالصدقة .

ومعلوم أن رواية الترمذي عن طريق مالك فلم يختلف معه في الترتيب وعلى هذا فإنا بدراسة الحديث وظهور الارتباط بين الأصناف فإننا نختار تقديمه على حسب ترتيب الشيخين البخاري ومسلم ، لاتفاقهما عليه من

جهة ، ولظهور قوة الربط وبيان وجه السببية للأصناف بعضها لبعض على ما سيأتي إن شاء اللّٰه .

ولبيان صورة الترتيب نقدم هذا الجدول باختصار :

الرواة / الأصناف	مالك	البخاري	(٢)	(٤)	مسلم	الترمذي	النسائي
١) الإمام	=	=	=	=	=	=	=
٢) الشاب	=	=	=	=	=	=	=
٣) المساجد	=	=	=	الذكر خاليًا	المساجد	=	الذكر خاليًا
٤) الحب في الله	=	=	=	المساجد	الحب في الله	=	المساجد
٥) الذكر خاليًا	=	امرأة	=	الحب في الله	امرأة	الذكر	الحب في الله
٦) امرأة	=	صدقة	=	امرأة	صدقة	امرأة	امرأة
٧) صدقة	=	الذكر	=	صدقة	الذكر	صدقة	تصدق

تفرد مالك بترتيبه : اتفق البخاري في (١) و(٢) مع مسلم . ٣ - واتفق النسائي مع البخاري في (٤) ووافق الترمذي مالكًا لأنه عن طريقه رواه .

نص الحديث على ترتيب البخاري في الموضعين ومسلم :

« سبعة يظلهم اللّٰه في ظله يوم لا ظل إلا ظله » .

١ - الإمام العادل .

٢ - وشاب نشأ في عبادة ربه .

٣ - ورجل قلبه معلق في المسجد .

٤ - ورجلان تحابا في اللّٰه اجتمعا عليه وتفرقا عليه .

٥ - ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف اللّٰه .

٦ - ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

٧ـ ورجل ذكر اللَّه خاليًا ففاضت عيناه »[١] .

نظم من يظلهم الله في ظله

قال العلاّمة أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل في نظمه للسبعة الذين يظلهم اللَّه في ظله :

وقال النبيُّ المصطفى إنَّ سبعةً يُظِلهم اللَّه الكريمُ بفضله
مُحِبٌّ عفيفٌ ناشيءٌ متصدقٌ وباكٍ مُصَلٌّ والإمامُ بعدلَه

وزاد ابن حجر سبعًا فقال :

وزِدْ سبعةً إظلالُ غازٍ وعونُه وإنظارُ ذي عُسْرٍ وتخفيفُ حَمْلَه
وحامي غُزَاةٍ حينَ ولّوا وعَوْن ذي غرامة حقٍّ مَعْ مُكاتِبِ أهلهِ[٢]

ونظمها مرة أخرىٰ فقال :

وزد سبعة إظلال غاز وعونه وإنظار ذي عسر وتخفيف حمله
وإرفادُ ذي غُرْمٍ وعون مكاتب وتاجر صدق في المقال وفعله

ونظمها مرة أخرىٰ فقال في السبعة الثانية :

وتحسين خُلُق مع إعانة غارم خفيف يدٍ حتى مُكاتب أهلهِ

وزاد سبعة في بيتين آخرين :

وزد سبعة : حُزْنٌ ومشيٌ لمسجدٍ وكرهُ وضوءٍ ثم مُطعِمُ فضله
وآخذُ حقٍّ باذلٌ ثُمَّ كافِلٌ وتاجرُ صدقٍ في المقال وفعله

---

(١) « في ظلال عرش الرحمن » (٢٤ـ٢٦) .

(٢) « فتح الباري » (٢/ ١٤٤) ، و« تنوير الحوالك » (٣/ ١٢٨) ، و« شرح الزرقاني على الموطأ» (٤/ ٣٤٧) .

ولقد أورد السيوطي نظم ابن حجر للأربع سبعات التي نوّه عنها في «الفتح» والتي أودعها جزء « الأمالي » .

ثم زاد ما تحصل له من سبعات له هو وذلك كالآتي :

أولاً : ما هو لابن حجر ونصه :

وزدْ سبعةً إظلالَ غازٍ وعونَه وإنظارَ ذي عسرٍ وتخفيف حمله
وحامي غزاة حين ولّوْا وعونَ ذي غرامةِ حقٍ مع مُكاتبِ أهله

قال ـ أي ابن حجر ـ : ثم تتبعت فجمعت سبعة أخرىٰ ، ثم سبعة أخرىٰ ، ولكن أحاديثها ضعيفة ، ونظمت ذلك فقلت :

وزد مع ضَعْفٍ سبعتين إعانةً لأخْرَقَ مع أخذٍ لحقٍ وبذله
وكُرْهُ وضوءٍ ثم مشيٌ لمسجدٍ وتحسينُ خُلق ثم مُطْعِم فَضْلَه
وكافل ذي يُتْمٍ وأرملةً وَهَتْ وتاجرُ صدقٍ في المقال وفعلَه
وحزنٌ وتصبيرٌ ونصحٌ ورأفةٌ تُربّعُ بها السبعاتُ من فيض فضله

أ ـ قلت ـ أي السيوطي ـ : وقد تتبعت فوجدت سبعة ، ثم سبعة ، ثم سبعة ، وقد نظمتها فقلت :

وزدْ مع ضعْفٍ من يَضيفُ وعونهِ لأيتامها ثم القريبُ بوصله
واعلمْ بأنَّ اللّهَ معه وحبه إجلاله والجوع من أهل حبله
وزهدٌ وتفريحٌ وغَضٌ وقوةٌ صلاةٌ على الهادي وإحياء فعله
وتركُ الربا مع رشوةِ الحكم والزنا وطفلٌ وراعي الشمس ذِكْراً وظلّه
وصومٌ وتشييعٌ لَمْيتٍ عبادةٌ فَسبِّعْ بها السبعاتِ يا زينَ أصله

* * *

ب ـ ثم تتبعت فوجدت سبعة ، ثم سبعة ، وقد نظمتها فقلت ـ أي السيوطي ـ :

وزِدْ سبعتين الحبُّ للّه بالغًا وتطهيرُ قلبٍ والغضوبَ لأجله
وحبٌّ عليٍّ ثم ذكرُ إنابة وأمرٌ ونهيٌ والدُّعاءُ لِسُبْله
وكمنْ أوَّلَ الأنعام يقرأ غداتَه ومُستغفرُ الأسحارِ يا طيبَ فعله
وبِرٌّ وتركُ النَّمِ والحَسَدِ الذي يَشينُ الفتى فاشكرْ لجامع شملِه

جـ ـ قال ـ أي السيوطي ـ : ثم تتبعت فوجدت سبعة أخرىٰ تتمة سبعين وقد نظمتها فقلت :

وزِدْ سبعةً قاضي حوائجَ خلقه وعبدٌ تقيٌّ والشهيدُ بقتله
وأمٌّ وتعليمٌ أذانٌ وهجرة فتمَّتْ لها السبعونَ من فيضِ فضلِه

فأبو شامة نظم السبعة التي في الحديث ، وابن حجر أضاف إليها ثلاث سبعات فبلغت أربع سبعات ، والسيوطي أضاف ست سبعات فبلغ الجميع عشر سبعات بسبعين صنفًا .

• قال القسطلاني في « إرشاد الساري » (٣/ ٢٢) :

« عدّها شيخنا الحافظ السخاوي في جزء فبلغت مع هذه السبعة ثنتين وتسعين بتقديم الفوقية ، ثم ذكرها القسطلاني بأسانيدها كلها مبينًا درجة كل حديث فيها ، بينما قال محمد بن عبد الباقي الزرقاني في « شرحه علىٰ الموطأ » : إن السخاوي أوصلها إلىٰ أربعة وتسعين . . . وقال : « وقد كنت لخّصت تأويل السخاوي في وريقات ، ونظمت هذه الخصال تذييلاً علىٰ بيتيْ أبي شامة وأبيات الحافظ فقلت :

نظم الزرقاني :

أتى في الموطأ والصحيحين سبعةٌ يُظلُّهم اللّه الكريمُ بظله
أشار لهم نظمًا إمامُ زمانه أبو شامة إذ قال في بيت وصلِه

محبٌّ عفيفٌ ناشيءٌ متصدِّقٌ وباكٍ مُصلٍ والإمامُ بعدله
وزادَ عليه العسقلانيُّ (١) بعده ثلاثًا من السبعات نظمًا بقوله
وزد سبعةً إظلالُ غازٍ وعونهُ وإنظارُ ذي عُسْرٍ وتخفيفُ حِمْله
وحامي غزاةٍ حين ولّوْا وعونُ ذي غرامةِ حقٍّ مع مُكَاتَبِ أهله
وزدْ مع ضَعْفٍ سبعتين إعانةً لأخرق مع أخذٍ لحقٍ وبذله
وكرهِ وُضوءٍ ثم مشيٍ لمسجدٍ وتحسينِ خُلْقٍ ثم مُطعمِ فضله
وكافلِ ذي يُتمٍ وأرملةٍ وَهَتْ وتاجرِ صدقٍ في المقالِ وفعله
وحزنٍ وتصبيرٍ ونُصْحٍ ورأفةٍ تُربِّعُ بها السبعاتُ من فَيْضِ فضله
وقد زادَها ستًا (٢) بضَعْفٍ ولم تقعْ منظمةً منه فخذْ نظمَ جمله
فحبُّ عليٍّ ثم تركٌ لرشوةٍ زنًا وربًا حكمٌ لغيرٍ كمثله
ومِن أوّلِ الأنعام آيُ ثلاثةٍ عقيبَ صلاةِ الصبحِ غايةَ نفله
وأوصلَها الشيخُ السخْاويُّ أربعًا وتسـ ـعين مع ضَعْفٍ لإسناد جُلِّه
مُراقبُ شمسٍ للمواقيتِ ساكت بحلمٍ وعن علم يقولُ وعقله
ومَنْ حفظَ القرآنَ حالةَ صغرهِ وفي كُبرٍ يتلو وحاملُ كُلِّه
مريضٌ وتشييعٌ لميتٍ عبادةً شهيدٌ ومن في أحُدٍ فازَ بقتله
وعلمٌ بأن اللّهَ معه وتاجرٌ أمينٌ بلا مدحٍ وذمٍ لرحله
ومَنْ لم يمد اليد نحوَ مُحَرَّمٍ عليه ولم ينظرْ إلى غيرِ حلِّه
ومُحسنُ طُعْمٍ للفقيرِ مُصْدِقٌ على معسرٍ تركُ الغريمِ لعُسْره

---

(١) يعني الحافظ ابن حجر العسقلاني .
(٢) يعني العسقلاني زادها ستة أصناف ولم ينظمها مع الأربع سبعات وهي التي جاءت في قوله : فحب عليٍّ . . . إلى قراءة أول الأنعام .

وكافلةٌ أيتامها بعد زوجها ومشبعُ جوعٍ ثم واصلُ أهله
محبٌّ الأناسي للجلال مُؤذِّنٌ ومن لم يخفْ في الله لوماً لعدله
كذا رحمٌ ثم الأمانةُ بعدها خيارُ ذوي التوحيد طيِّبُ فعله
مفرِّجُ كربٍ ثم مُحيي لسنةٍ مُصلٍّ على الهادي كثيراً بأجلِّه
قِرانٌ وهل الجوع خوفاً وصائمٌ ثلاثةَ عشر من رجبٍ حَوْله
من يقرأ الإخلاصَ من بعد مغربٍ ثلاثينَ في ثنتين من بعد نفله
وأطفالُ ذي الأيمان نجُل نبيِّنا وغيرُ حسودٍ لا يَعقُّ لأصله
وطاهرُ قلبٍ ليس يمشي نميمةً بريءٌ ومكْلُوفٌ بحبٍّ لربِّه
منيبٌ ومذكورٌ بذكر إلهه لحرمته غضبانَ داعٍ لسبله
وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ لمنكرٍ وذِكْرٌ بقلبٍ مع لسانٍ لنُبْله
ومستغفرُ الأسحارِ عُمَّارُ مسجدٍ كذلك صوَّامٌ مُعَلِّمُ طفله
ومَنْ يذكرِ الرحمنَ مع ذكرهم له كذا أنبياءُ الله مع أهل صفوه
خليلُ إله العرشِ فاطمةٌ كذا عليٌّ ونجلاهُ وخاتَمُ رُسْله
عليه صلاةٌ مع سلام به نُرى بحرمتهِ يومَ القيامة بظلِّه

ونظم الزرقاني هذا هو آخر جمع لكل ما تقدم ، حيث تضمّن ما جمعه من قبله وبلغت أربعًا وتسعين صنفًا .

بيان لحقيقة تلك الزيادات :

« إن من يقتصر على نظم الزرقاني يجد الآتي :

أ ـ لم يعز للسيوطي شيئًا .

ب ـ عزا لابن حجر ستة أصناف ونظمها هو ، بينما هي مما زاده السيوطي .

جـ ـ ضمن ما عزاه للسخاوي كل ما هو للسيوطي فحصل بذلك تداخل ولبس .

والذي يظهر أن الحقيقة هي :

١ ـ زاد ابن حجر ثلاث سبعات فبلغت ٤ X٧ = ٢٨ .

٢ ـ زاد السيوطي (٦) سبعات فصارت ٦ X ٧ = ٤٢ ، ٢٨ = ٧٠ ، فيكون الباقي وهو حوالي (٢٤) من زيادة السخاوي .

« **تنبيه أول** » :

إن إيصالها إلى هذا العدد المذكور ـ نيف وتسعين ـ إنما هو فضلاً عن ضعف أسانيد الكثير منها ـ فإنه يوجد بعضها متداخلاً مع غيره ، أو مكرراً معه ، والاختلاف مع مكرره في شكلية بسيطة جداً مثل :

إنظار المعسر والتخفيف عنه مع عون ذي غرامة ومكاتب .

ومثل : رجل قلبه معلق بالمساجد مع ، مشي لمسجد ، ومراقب شمس للمواقيت وعمار مسجد ، إلى مثل ذلك .

« **تنبيه ثان** » :

يلاحظ من نظم الزرقاني وكأنه لم يطلع على نظم السيوطي للسبعات التي توصل إليها ونظمها بنفسه حتى أوصل العدد إلى سبعين صنفًا ، كما جاء في تنوير الحوالك له .

لأنه ذكر أولاً السبعة ونظم أبي شامة إياها ، ثم جاء بثلاث سبعات ابن حجر التي نظمها هو ـ أي ابن حجر ـ وذكر ستة أصناف لابن حجر زيادة على الثلاث سبعات ، إلا أن ابن حجر لم ينظمها ، فنظمها الزرقاني تابعة لما زاده ابن حجر .

ثم انتقل من ابن حجر إلى السخاوي ، ولم يذكر نظمًا للسيوطي ، بل

ولا أي ذكر للسيوطي في نظمه هذا .

« **تنبيه ثالث** » :

أ ـ إن الأصناف الستة التي عزاها الزرقاني لابن جحر ونظمها عنه في بيتين كلِّها موجودة ضمن ما زاده السيوطي ونظمه بنفسه .

ب ـ كما أن ما زاده السيوطي ذكره الزرقاني مضافًا للسخاوي .

وعلى كل فإن مجموع ما تحصل من الأصناف ينوف على التسعين ، ولكن مع مراعاة ما نص عليه كل من ابن حجر في السبعة الرابعة له ، وما نص عليه الزرقاني في زيادات السخاوي من ضعف الأسانيد .

أي أن السبعة الأولى متفق عليها كما تقدم ، وثلاث السبعات لابن حجر بأسانيد لا بأس بها في مثل ذلك ، وما بعد هذه السبعات الأربع فضعيفة الأسانيد »[1] .

* * *

أهم الكتب المؤلفة في هذا الباب :

١ ـ جزء للحافظ ابن حجر العسقلاني سمّاه « معرفة الخصال الموصلة إلى الظلال » ذكره في « فتح الباري شرح صحيح البخاري » (٢/ ١٤٤) ، وذكره في « إنباء الغمر » (٣/ ٦٢) في حوادث سنة ٨١٨هـ ، وذكرها في أماليه من أول المجلس التاسع والتسعين ، إلي آخر المجلس الخامس بعد المائة والذي يليه .

٢ ـ جزء للحافظ السخاوي ، سمّاه بـ « الاحتفال بجمع أولي الظلال » ذكره في « الضوء اللامع » (٨/ ١٨) ، وذكره في تخريجه لـ « أحاديث العادلين » .

(١) « في ظلال عرش الرحمن » (ص٣٧ ـ ٣٩) ، وسيأتي تعقيب لي على هذا الكلام في نهاية الكتاب .

٣ - « تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش » للحافظ السيوطي تحقيق أخينا الحبيب مشهور حسن محمود سليمان ، نضّر اللَّه وجهه ، وجعله من الربانيين .

٤ - « بزوغ الهلال في الخصال الموجبه للظلال » للسيوطي وهو مختصر لـ « تمهيد الفرش » .

٥ - تلخيص الزرقاني في « شرحه للموطأ» (٤/ ٣٤٧) لتأليف السخاوي .

٦ - « منيل البش فيمن يظلهم اللَّه بظل العرش » لأبي عبد اللَّه سيدي محمد مصطفى ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل بن قامين الشريف الحسني الإدريسي الشنقيطي جمع ما ساقه القسطلاني في « إرشاد الساري بشرح البخاري » .

٧ - كتاب « في ظلال عرش الرحمن » لفضيلة الشيخ عطية محمد سالم - حفظه اللَّه - .

٨ - « سبعة في ظل عرش الرحمن » لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك - رحمه اللَّه - .

* * *

الأحــاديث الضعيفــة

والموضــوعة

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

(١) عن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول :

« **أظلّ اللّه عبداً في ظله ، يوم لا ظلّ إلا ظله ، أنظر معسراً ، أو ترك لغارم** » .

إسناده ضعيف : أخرجه أحمد في « المسند » (١/ ٧٣) ، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٨٠) وإسناده ضعيف جداً .

فيه العباس بن الفضل الأنصاري .

قال النسائي في « الضعفاء والمتروكين » : متروك الحديث ، وقال ابن معين : « ليس بشيء » .

انظر : « ميزان الاعتدال » (٢/ ٣٨٥) ، وقال البخاري في « التاريخ الكبير » (٧/ ٥) : (منكر الحديث) .

● وفيه أيضًا هشام بن زياد القرشي .

قال فيه البخاري في « التاريخ الكبير » (٨/ ٢٠٠) : (ضعيف عن أبيه وأمه) .

وقال النسائي في « الضعفاء والمتروكين » : متروك الحديث .

وقال ابن حبان : يروي الموضوعات عن الثقات ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٠١٩) و« الضعيفة » رقم (٢٨١٧) .

(٢) عن يعلي بن شدَّاد بن أوس عن أبيه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول :

« **من أنظر معسراً ، أو تصدّق عليه، أظله اللّه في ظله يوم القيامة** » .

إسناده ضعيف : رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » .

فيه يحيى بن سلام الإفريقي : ضعيف ، انظر : ترجمته في « ميزان الاعتدال » (٤/ ٣٨٠ ـ ٣٨١) و«الضعفاء والمتروكين » (٣/ ١٩٦) لابن الجوزي، و« الكامل في الضعفاء » لابن عدي (٧/ ٢٧٠٨) .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ١٣٤) : فيه يحيى بن سلام الإفريقي ، وهو ضعيف وفيه أيوب بن نهيك : ضعّفه أبو حاتم وغيره .

وقال الأزدي : متروك .

(٣) عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال :

« **من أنظر معسراً ، أظله اللَّه في ظله يوم القيامة** » .

إسناده ضعيف : قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ١٣٤) : رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه يحيى بن عبد الملك النوفلي ، وهو ضعيف .

قال أبو حاتم الرازي : منكر الحديث ، لا أدري من هو أو مَن أبوه .

انظر : « الكامل في الضعفاء » ، و« ميزان الاعتدال » (٤/ ٤١٤) .

(٤) عن كعب بن عُجْرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **من أنظر مُعسراً ، أو يسّر عليه ، أظله اللَّه في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله** » .

إسناده ضعيف : أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » و« المعجم الصغير»، و« الأوسط » .

قال الهيثمي : فيه عُبيدة بن مُعتّب وهو متروك .

وقال الطبراني عقبه في « الصغير » : « لا يروىٰ عن كعب إلا بهذا الإسناد، تفرّد به الفضل » .

(٥) عن أبي الدرداء ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال :

« **من أنظر معسراً ، أو وضع عنه ، أظله اللَّه في ظله يوم القيامة** » .

إسناده ضعيف :رواه الطبراني في « الكبير » .

فيه خالد بن عبد الرحمن المخزومي قال عنه الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ١٣٤) : « خالد مجمع على ضعفه » .

(٦) عن أسعد بن زراة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **مَن سرّه أن يظله اللّه يوم لا ظل إلا ظله ، فلْيُيَسِّرْ على مُعسِر ، أو ليضع عنه** » .

إسناده ضعيف : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، وفيه عاصم بن عبيد اللَّه ضعيف ، ولم يدرك أسعد ، كذا قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ١٣٤) .

(٧) عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **ثلاث من كُنّ فيه ، أظله اللّه تحت عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله : الوضوء على المكاره ، والمشي إلى المساجد في الظلم ، واطعام الجائع** » .

(**ضعيف**) : أخرجه أبو الشيخ في « الثواب » والأصبهاني في « الترغيب» وفيه عبد اللَّه بن إبراهيم الغفاري ، قال فيه أبو داود : شيخ منكر الحديث ، وقال الدارقطني : حديثه منكر ، وقال الساجي : منكر الحديث .

وقال الحاكم : روىٰ عن جماعة من الضعفاء أحاديث موضوعة لا يرويها غيره .

والحديث ضعّفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٤٧) .

(٨) عن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا :

« **من أطعم الجائع حتى يشبع ، أظله اللّه تحت ظل عرشه** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الطبراني في « مكارم الأخلاق » بإسناد الحديث

السابق، وعزاه الزرقاني في « شرح الموطأ » (٤/ ٣٤٥) للطبراني وقال : «إشباع الجائع أخصّ من مطلق إطعامه » .

(٩) عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة » .

(**ضعيف**) : أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » ، والأصبهاني في «الترغيب» .

تفرّد به يحيى بن شبيب ، وهو منكر الحديث متهم عند الأئمة .

قال الألباني في « ضعيف الجامع » (٢٥٠١) : موضوع .

(١٠) عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة » .

(**موضوع**) : أخرجه الأصبهاني في « ترغيبه » عن أنس ، وحكم عليه بالوضع الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٠١) .

(١١) **« التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء »** .

(**ضعيف**) : أخرجه الترمذي في « سننه » ، والحاكم ، والدارقطني في «السنن» ، والبغوي في « شرح السنة » والدارمي في « السنن » وقال : لا علم لي به أن الحسن سمع من أبي سعيد .

وقال الحاكم : من مراسيل الحسن .

وضعّفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٠٠) .

(١٢) **« التاجرالأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة »** .

(**ضعيف**) : أخرجه ابن ماجه ، والدارقطني ، والبيهقي في « سننه »

والحاكم في « المستدرك » ، وابن أبي حاتم في « العلل » وقال : « قال أبي : هذا حديث لا أصل له » .

وكلثوم ضعيف الحديث ، قال فيه أبو داود : منكر الحديث .

وقال الذهبي في « المستدرك على المستدرك » (٦/٢) : ضعفه أبو حاتم .

وضعَّف الحديث ابن القطّان ، والألباني في « ضعيف الجامع الصغير» رقم (٢٤٩٨) .

(١٣) عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : أشهد لسمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول :

« **أظله اللّه في ظله يوم القيامة ، من أنظر معسراً ، أو أعان أخْرَق** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الطبراني في « الأوسط » ، وفي « مكار الأخلاق » .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/ ١٣٤) : « فيه عبد اللَّه بن سعيد ابن أبي سعيد المقبري وهو متروك » .

(١٤) عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **من كفل يتيماً أو أرملة أظله اللّه في ظله يوم القيامة** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الطبراني في « مكارم الأخلاق » ، وابن شاهين في «الترغيب» وفيه إسماعيل بن إبراهيم : مجهول ، والخليل بن مرة : قال السيوطي : ضعّفه الأكثر ، وقال البخاري : منكر الحديث ، وضعفه يحيىٰ ابن معين ، وضعفه السيوطي وابن حجر .

(١٥) عن ابن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ : عن النبي ﷺ قال :

« **قال داود عليه السلام : يا رب ، ما جزاء من أعال أرملة أو يتيماً ابتغاء**

مرضاتك ؟ قال : أظله في ظلي ، يوم لا ظـل إلا ظلي » .

(**ضعيف**) : أخرجه الديلمي في « الفردوس بمأثور الخطاب » ، وابن عساكر في « تاريخه » وفيه جسر بن فرقد ، ضعّفه البخاري في « الضعفاء الصغير » وفي « التاريخ الكبير » وضعّفه النسائي في « الضعفاء والمتروكين»، وقال ابن معين : ليس بشيء وفيه جعفر بن جسر قال العقيلي : حدّث بمناكير ، وكذا قال ابن عدي وضعفه أيضًا السيوطي .

وبكر عن ابن مسـعــود منقطـع ، والحديث ضعفـه السـيوطي ، وابن حجر العسقلاني .

(**١٦**) عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **إن اللَّه تعالى ، قال لموسى : إن أحببتَ أن تسكنَ في ظل عرشي ، يوم لا ظل إلا ظلي ، فكن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج العطوف** » .

(**ضعيف**) : أخرجه أبو نعيم في « حلية الأولياء » ، وابن أبي عاصم في «السنة» .

والحديث ضعفه ابن حجر والسيوطي ، وقال الألباني في « تخريج السنة » لابن أبي عاصم (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) : « إسناده ضعيف جدًا ، بل موضوع ، لوائح الوضع عليه ظاهرة ، وآفته أبو أيوب الخبائري » .

(**١٧**) عن علي ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا :

« **إن سيد التجّار من لزم التجارة التي دلّ اللَّه عليها من الإيمان باللَّه ورسوله وجهاد في سبيله ، فمن لزم البيع والشراء فلا يذم إذا اشترى ولا يحمد إذا باع ، وليصدق الحديث ، ويؤد الأمانة ، ولا يتمنى للمؤمنين الغلاء ، فإذا كان كذلك كان أحد السبعة الذين في ظل العرش** » .

(**ضعيف**) : أورده أبو الشيخ في « الثواب » بسند ضعيف كما قاله الزرقاني والسخاوي .

(**١٨**) عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **أوحى اللَّه إلى إبراهيم عليه السلام : يا خليلي ، حسِّنْ خلقك ولوْ مع الكفار ، وتدخل مداخل الأبرار ، وإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ، أن أظله تحت عرشي ، وأسقيه من حظيرة قدسي ، وأدنيه من جواري** » .

(**ضعيف**) : رواه الطبراني في « الأوسط » ، وابن عدي في « الكامل » وزاد السيوطي نسبته إلى الحكيم الترمذي .

قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٨/ ٢٠ ـ ٢١) : « رواه الطبراني في «الأوسط» ، وفيه مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ، وهو ضعيف » ، وضعفه السيوطي ، ومؤمل الثقفي قال فيه أبو حاتم : ضعيف .

وأخرجه الأصبهاني في « الترغيب » من طريق كادح بن رحمة عن أبي أمية ، وكادح واه قال فيه الأزدي وغيره : كذّاب ، وقال ابن حبان : كثير المناكير في روايته ، فاستحق بهذا الترك .

(**١٩**) عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **أتدرون من السابقون إلى ظل اللَّه يوم القيامة** » ؟ قالوا : اللَّه ورسوله أعظم .

قال : « **الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سُئلوه بذلوه ، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم** » .

(**ضعيف**) : أخرجه أحمد في « المسند » و« الزهد» ، وأبو نعيم في «الحلية»، والديلمي في « مسند الفردوس » ، وابن منيع في « مسنده »

والبيهقي في «الشعب» .

قال ابن حجر : ولم أره إلا من حديث ابن لهيعة وحاله معروف .

وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٠١) ،و« تخريج المشكاة» (٣٧١١) .

(٢٠) عن أبي ذر - رضي اللَّه عنه - رفعه : « **إني موصيك بوصية فاحفظها لعلها تنفعك ، زر القبور تذكرك الآخرة . قلت : بالليل ؟ قال : لا ، بالنهار أحياناً ، ولازم غسل الموتى فإن في معاينة جسد خاوٍ موعظة بليغة ، وصلِّ على الجنائز لعل ذلك يحزنك ، فإن الحزين في ظل اللَّه معرض لكل خير ، وجالس المساكين وسلم عليهم ، وكُل مع صاحب البلاء ، إيماناً وتواضعاً، والبس الخشن من الثياب ، وتزيَّن لعبادة ربك أحياناً ولا تعذب شيئاً مما خلق اللَّه بالنار** » .

(**ضعيف**) : رواه الحاكم وابن عساكر وابن شاهين في « الترغيب » ، وابن أبي الدنيا في كتاب « القبور » .

قال الذهبي في « التلخيص » : منكر ، ويحيى لم يدرك أبا مسلم ، أو أن أبا مسلم رواه عن رجل مجهول .

وقال الحافظ ابن حجر : غريب وفيه ضعف ، وخفيت علته على الحاكم فاستدركه .

وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٣١٧٠) .

(٢١) « **طوبى للسابقين إلى ظل اللَّه**» ... « **الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوه بذلوه، والذى يحكمون للناس بحكمهم لأنفسهم** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الحكيم الترمذي عن عائشة ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٣٦٣٥) .

(٢٢) عن أبي بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول :

« الوالي العادل المتواضع ظل اللّه ورمحه في الأوض ، فمن نصحه في نفسه وفي عباد اللّه ، حشره اللّه في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ومن غشه في نفسه وفي عباد اللّه، خذله اللّه يوم القيامة » .

(**ضعيف**) : أخرجه ابن شاهين في « الترغيب » ، والأصبهاني في «الترغيب» ، وأبو النعيم في « فضل العادلين » ، وابن عساكر في أماليه ، والديلمي في « الفردوس » ، والسهمي في « تاريخ جرجان » . ومدار الحديث على سليمان بن رجاء ، وهو مجهول ، فالحديث ضعيف ، وأبو نُصَيْرة مستور .

(**٢٣**) عن أبي بكر وعمران بن حصين قالا : قال رسول اللَّه ﷺ :

« قال موسى لربه : ماجزاء من عزّى الثكلى ؟ قال : « أظله في ظلي ، يوم لا ظلّ إلا ظلي » .

(**ضعيف**) : أخرجه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رواه عنه الديلمي وضعفه السيوطي ، والألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٠٧١) .

(**٢٤**) عن أبي بكر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال النبي ﷺ :

« من سرّه أن يقيه اللّه من فور جهنم يوم القيامة ، ويجعله في ظله ، فلا يكن غليظاً على المؤمنين ، وليكن بهم رحيماً » .

(**ضعيف**) : رواه أبونعيم في « الحلية » ، وأخرجه البيهقي في «الشعب» ، وأبو الشيخ في « الثواب » والحسن بن سفيان ، وأبو بكر بن بلال في «مكارم الأخلاق» ، والطيالسي في « الترغيب » بلفظ .

« من أراد أن يظـله اللّه بظله ، فلا يكن على المؤمنين غليظاً ، وليكن بالمؤمنين رحيماً »

ومهاجر بن غانم المذحجي مجهول ، والحديث ضعفه السيوطي .

(**٢٥**) عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

«**ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله : واصل الرحم ، يزيد اللَّه في رزقه ، ويمدّ في أجله ، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتاماً صغاراً ، فقالت : لا أتزوج ، أقيم على أيتامى ، حتى يموتوا أو يغنيهم اللَّه ، وعبد صنع طعاماً فأضاف ضيفه ، وأحسن نفقته ، فدعا عليه اليتيم والمسكين ، فأطعمهم لوجه اللَّه**».

(**ضعيف**) : أخرجه أبو الشيخ في « الثواب » ، والأصبهاني في «الترغيب» والطبسي في « الترغيب » ، والديلمي في « الفردوس » ، ومداره على يزيد الرقاشي : قال النسائي : متروك ، وقال أحمد : منكرالحديث ، وقال ابن معين : في حديثه ضعف ، وقال الدارقطني : ضعيف .

وفيه الهيثم بن جماز : ضعفه ابن معين ، وترك أحمد والنسائي حديثه .

(**٢٦**) عن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **ثلاثة في ظل اللَّه يوم القيامة ، رجل حيث توجّه ، علم أن اللَّه معه ، ورجل دعته امرأة إلى نفسها ، فتركها من خشية اللَّه ، ورجل يحب الناس لجلال اللَّه** » .

(**ضعيف جداً**) : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، والديلمي في «الفردوس»

وفيه بشر بن نمير ، قال فيه أحمد والبخاري : منكر الحديث .

وقال الدارقطني والهيثمي فيه : متروك .

وقال الألباني : ضعيف جداً ، انظر : « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٨٠) .

(٢٧) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« أهل الجوع في الدنيا ، هم الذين يقبض الله أرواحهم ، وهم الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا ، وإن شهدوا لم يعرفوا ، أخفياء في الدنيا ، معرفون في السماء ، إذا رآهم الجاهل ظنّ بهم سقماً ، وما بهم سقم إلا الخوف من الله ، يستظلون يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله » .

(**ضعيف**) : أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » .

وفي الحديث : إسحاق بن سعيد أبو سلمة الدمشقي : قال أبو حاتم : مجهول ، وقال الدارقطني : منكر الحديث ، وقال الذهبي : ضعّفوه .

ومكحول لم يلق أبا هريرة كما قال ابن أبي حاتم في « المراسيل » (ص١٦٦) .

(**٢٨**) عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ مرفوعًا :

« أقرب الناس إلى الله ، من طال جوعه وعطشه وخوفه ، الأخفياء الأبرياء ، الذين إذا شهدوا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا » .

(**ضعيف**) : أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ، وأخرج الطبراني نحوه في «المعجم الكبير» ، وأخرجه الحاكم في « المستدرك » .

وقال الذهبي : « فيه أبو قحذم ، قال أبو حاتم : لا يكتب حديثه ، وقال النسائي : ليس بثقة » .

وفي الحديث إشارة إلى الإظلال .

(**٢٩**) عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وعلى قراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله » .

(**ضعيف جداً**) : أخرجه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في « فوائده » والديلمي في « مسند الفردوس » ، وابن النجار عن علي .

وفيه : علي بن العباس بن الوليد البجلي المقانعي ، متهم في دينه ، ذكر ابن الأثير في « اللباب » أنه كان يبيع الخمر بالكوفة .

والحديث قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥١) : ضعيف جداً .

(**٣٠**) عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« سبعة يظلهم اللَّه تحت ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله : إمام مقسط ، ورجل لقيته امرأة ذات منصب وجمال ، فعرضت نفسها عليه ، فقال : إني أخاف اللَّه رب العالمين ، ورجل تعلّم القرآن في صغره ، فهو يتلوه في كبره ، ورجل تصدّق بصدقة بيمينه فأخفاها عن شماله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجل لقي رجلاً ، فقال له : إني أحبك في اللَّه ، ورجل ذكر اللَّه بين يديه ، ففاضت عيناه خشية من اللَّه » .

(**ضعيف**) : أخرجه البخاري في « التاريخ الصغير » ، والبيهقي في «شعب الإيمان » ، وأبو نعيم في « فضل العادلين » ، والخطيب في « تاريخ بغداد » .

(**٣١**) عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« ثلاثة يتحدثون في ظل العرش آمنين ، والناس في الحساب : رجل لم تأخذه في اللَّه لومة لائم ، ورجل لم يمدّ يديه إلى ما لا يحلّ له ، ورجل لم ينظر إلى ما حرّم اللَّه عليه » .

(**ضعيف**) : أخرجه الأصبهاني في « ترغيبه » ، وعنبسة بن

عبد الرحمن متروك متهم ، والحديث ضعّفه السيوطي ، والألباني في « ضعيف الجامع الصغير » رقم (٢٦٠٦) .

(**٣٢**) عن سلمان الفارسي - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« **جلساء اللّه غداً أهل الورع والزهد في الدنيا** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الديلمي في « الفردوس » ، وعزاه السيوطي إلى ابن لال .

وضعّف المناوي إسناده ، وفيه إشارة إلى الإظلال .

(**٣٣**) عن أبي الدرداء - رضي اللّه عنه - قال :

« **قال موسى بن عمران عليه السلام : يا رب من يساكنك فى حظيرة القدس ، ومن يستظل بظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ؟ قال : أولئك الذين لا تنظر أعينهم في الزنا ، ولا يبتغون في أموالهم الربا ، ولا يأخذون على أحكامهم الرشا ، أولئك طوبى لهم وحسن مآب**» .

(**غريب**) : أخرجه البيهقي وابن عساكر ، وأخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية» وقال الحافظ ابن حجر : غريب ، وليس في روايته من اتفق على تركه ، وما كان أبو الدرداء يأخذ عن أهل الكتاب ، فالظاهر أن لحديثه حكم الرفع .

(**٣٤**) عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه ﷺ :

« **ثلاثة يظلهم اللّه في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله : التاجر الأمين ، والإمام المقتصد ، وراعي الشمس بالنهار** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » من طريق الحاكم .

قال المناوي : فيه جماعة مجاهيل .

وضعفه السيوطي والمناوي والألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٦١١).

(٣٥) وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **ثلاثة تحت عرش اللَّه يوم لا ظل إلا ظله : من فرّج عن مكروب أمتي ، ومن أحيى سنتي ، ومن أكثر الصلاة عليّ** » .

بلا سند : أخرجه الديلمي في « الفردوس » ، وبيّض له في « مسنده » فلم يذكر له إسنادًا .

(٣٦) عن علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم** » قيل يا رسول اللَّه ، ومَن هم؟ قال : « **هم شيعتك يا عليّ ومحبوك** » .

(**ضعيف جدًا**) : أخرجه أبو سعيد السكري ، فيه سليمان الملطي رماه الدارقطني بالكذب ، وسلم بن ميمون الخوّاص : ضعيف ، قال أبو حاتم : لا يكتب حديثه ، وقال العقيلي : له مناكير لا يتابع عليها .

(٣٧) عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا :

« **إذا خرج المسلم من بيته يعود أخاه المسلم خاض في الرحمة إلى حقويه ، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة ، وكان المريض في ظل عرشه والعائد في ظل عرشه** » .

(**ضعيف**) : رواه أبو يعلى في حديث طويل ، وفيه عبّاد بن كثير ضعيف متروك لغفلته وإن كان صالحًا ، نقله الزرقاني في « شرحه للموطأ » عن السخاوي .

(٣٨) عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« الصائمون يُنفخُ من أفواههم ريح المسك ، ويوضع لهم يوم القيامة مائدة تحت العرش ، فيأكلون منها والناس في شدة » .

(**ضعيف**) : أخرجه ابن أبي الدنيا في « كتاب الجوع » وفيه رجل مبهم ، وأخرجه السهمي في « تاريخ جرجان » (ص٤٧٨) وذكر المبهم ، وسماه ، وهو : يزيد الرقاشي ، وهو ضعيف .

(**٣٩**) عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا :

« يُوضع للصائم تحت العرش مائدة من ذهب مكللة بالدّر والجوهر ، عليها من أنواع أطعمة الجنة وأشربتها وثمارها ، فهم يأكلون ويشربون ويتنعمون ، والناس في شدة الحساب».

(**موضوع**) : أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » ، وأخرج نحوه أبو الشيخ في « الثواب » والديلمي في « الفردوس » من حديث ابن عباس .

وفيه أبو عصمة نوح بن أبي مريم الجامع وهو كذاب وضّاع ، وشهر ابن حوشب : ضعيف .

(**٤٠**) عن سعيد بن المسيب قال : جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال : يا رسول اللَّه أخبرني بجلساء اللَّه ، يوم القيامة ؟

قال : « **هم الخائفون المتواضعون ، الذاكر ، واللَّه كثيراً** » ، قال : يا نبي اللَّه ، أفهُم أول الناس يدخلون الجنة ؟ قال : « لا » ، قال : فمن أول الناس يدخل الجنة؟ قال : « **الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة ، فيخرج إليهم منها ملائكة، فيقولون : ارجعوا إلى الحساب ، فيقولون : على ما نحاسب !! واللَّه ما أفيضت علينا أموال ، نقبض فيها ، ولا نبسط ، وما كنا أمراء ، فنعدل أو نجور ، بل جاءنا أمر اللَّه، فعبدناه ، حتى أتانا اليقين** » .

(**ضعيف**) : أخرجه ابن المبارك في « الزهد» ، وأبو نعيم في « الحلية » .

والحديث مرسل فإن سعيد بن المسيب لم يدرك النبي ﷺ .

(**٤١**) عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - قال :

« من قرأ إذا صلى الغداة ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى ﴿ ويعلم ما تكسبون﴾، نزل إليه أربعون ألف ملك ، تُكتب له مثل أعمالهم ، ونزل إليه ملك من فوق سبع سماوات ، ومعه مرزبّة من حديد ، فإن أوحى الشيطان في قلبه شيئاً من الشر ، ضربه ضربةً ، حتى يكون بينه وبينه سبعون حجاباً ، فإذا كان يوم القيامة ، قال اللَّه تعالى: (أنا ربك ، وأنت عبدي ، امشِ في ظلي ، واشرب من الكوثر ، واغتسل من السلسبيل، وادخل الجنة بغير حساب ولا عذاب) .

(**منكر جداً**) : أخرجه طلحة بن علي بن صقر ، والسلفي : وقال السيوطي في « الدر المنثور » (٣/ ٢٤٥) : سنده واه .

والمتهم به إبراهيم بن إسحاق الصيني ، قال الدارقطني متروك ، وقال الأزدي : زائغ .

وقال ابن حجر في « لسان الميزان » (١/ ٣٠) عن الحديث : منكر جداً .

(**٤٢**) عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« الشهداء ثلاثة : رجل خرج بنفسه وماله ، محتسباً في سبيل اللّه ، لا يريد أن يقاتل ولا يُقتل ، يُكثّر سواد المسلمين ، فإن مات أو قُتل ، غفرت له ذنوبه كلها ، وأجير من عذاب القبر ، ويؤمن من الفزع الأكبر ، ويزوج من الحور العين ، ويوضع على رأسه تاج الوقار والخلد.

والثاني : خرج بنفسه وماله محتسباً ، يريد أن يقتل ولا يُقتل ، فإن مات أو قُتل ، كانت ركبته مع إبراهيم خليل الرحمن بين يدي اللّه تبارك وتعالى ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

والثالث : خرج بنفسه وماله ، محتسباً ، يريد أن يَقتل ويُقتَل ، فإن مات أو

قُتِل ، جاء يوم القيامة ، شاهراً سيفه ، واضعه على عاتقه ، والناس جاثون على الركب ، يقولون: ألا أفسحوا لنا ، حتى يأتوا منابر من نور تحت العرش ، فيجلسون عليها ، ينظرون كيف يُقضى بين الناس » .

(**ضعيف**) : أخرجه البزار ، وابن عساكر في « الأربعون في الحث على الجهاد » ، والبيهقي ، والأصبهاني في « الترغيب » .

وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥/ ٢٩١) : « رواه البزار وضعّفه بشيخه محمد بن معاوية ، فإن كان هو النيسابوري فهو متروك ، وفيه أيضًا : مسلم بن خالد الزنجي وهوضعيف » .

ورواه بأطول منه الحارث وقال عقبه : هذا حديث موضوع .

وقال البوصيري : رواه الحارث بسند ضعيف لضعف يزيد الرقاشي وداود بن المحبّر .

(**٤٣**) عن أبي سعيد ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعًا :

« **من صام في رجب ثلاثة عشر يوماً وضع اللّه له يوم القيامة مائدة في ظل العرش يأكل منها والناس في شدة** » .

(**ضعيف جداً**) : أخرجه ابن ناصر في « أماليه » .

وقال الزرقاني نقلاً عن السخاوي : هو شديد الوهْي .

(**٤٤**) عن أنس ـ رضي اللّه عنه ـ مرفوعًا :

« **يُؤتى يوم القيامة بالمتقاعسين والمبتذلين** » قالوا : يا رسول اللّه ، ومَنْ هم؟ قال : « **أما المبتذلون : فهم الذين تركوا مهج دمائهم للّه فهراقوها شاهري سيوفهم، يتمنون على اللّه عز وجل يوم القيامة لا يردّ لهم حاجة، وأما المتقاعسون: فهم أطفـــال المؤمنين اشتد عليهم الموقف، فيتصايحون، فيقول اللّه : يا جبريل**

ما هذا الصوت؟ وهو أعلم بذلك ، فيقول جبريل : رب أطفال المؤمنين اشتد عليهم الموقف .

قال فيقول : أظلهم تحت ظل عرشي فيظلهم ، ثم يقول : يا جبريل أدخلهم الجنة ، فيرتعون فيها ، فيسوقهم جبريل فيصيحون كما يصيحون الخرفان إذا عزلت أمهاتها ، فيقول : يا جبريل وهو بذلك أعلم ما حالهم ؟

قال : يا رب يريدون الآباء والأمهات ، فيقول الله عز وجل : أدخل الأباء والأمهات مع أطفالهم جنتي ورحمتي » .

(**ضعيف**) : أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » ، وقال الزرقاني نقلاً عن السخاوي : ضعيف ولبعضه شواهد .

(**٤٥**) عن ابن عباس - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا :

« اللّهم اغفر للمعلمين ، وأطل أعمارهم ، وأظلهم تحت ظلك ، فإنهم يعلمون كتابك المنّزل » .

(**ضعيف**) : أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » ، قال الخطيب : أبو الطيب محمد الفَرُّخان : غير ثقة .

قال الزرقاني في « تلخيصه » للسخاوي : قال بعض الحفاظ : هذا موضوع .

(**٤٦**) عن علي - رضي اللَّه عنه - رفعه :

« من صلى ركعتين بعد ركعتي المغرب قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو اللّه أحد خمس عشرة مرة جاء يوم القيامة ؛ فقيل : هذا من الصديقين، فيجوزهم ، فيقال : هذا من الشهداء ، فيجوزهم ، فيقال : هذا من النبيين ، فيجوزهم ، فيقال : هذا من الملائكة ، فيجوزهم ، فلا

يحجب حتى ينتهي إلى العرش ».

(**موضوع**) : أخرجه الحارث بن أبي أسامة ، وقال الزرقاني والسخاوي : منكر .

وقال ابن حجر في « المطالب العالية » (١/ ١٥٢) : هذا حديث موضوع .

قال البوصيري : رواه الحارث عن الحسن بن قتيبة وهو متروك .

(**٤٧**) عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - : أن رسول اللَّه ﷺ قال :

« الشهداء عند اللَّه على منابر من ياقوت ، في ظل عرش اللَّه يوم لا ظل إلا ظله على كثيب من مسك فيقول لهم الرب : ألم أوف لكم وأصدقكم ؟ فيقولون: بلى وربنا » .

(**ضعيف**) : أخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » ، وفيه إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة ، قال الإمام أحمد : لا تحلّ الرواية عنه ، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٣٤٤٦) .

(**٤٨**) عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« خلق اللَّه تعالى الجن ثلاثة : أصناف :

صنف حيات وعقارب وخَشاش الأرض ، وصنف كالريح في الهواء ، وصنف عليهم الحساب والعقاب .

وخلق اللَّه الإنس ثلاثة أصناف :

صنف كالبهائم ، قال اللَّه تعالي : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ ... الآيات.

وصنف أجسادهم أجساد بني آدم ، وأرواحهم أرواح الشياطين .

وصنف فى ظل اللَّه ، يوم لا ظل إلا ظله » .

(**ضعيف**) : أخرجه الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » ، وابن أبي الدنيا في « مكائد الشيطان » وابن مردويه ، وأبو الشيخ في « العظمة » ، وضعّفه السيوطي والسخاوي والزرقاني ، والألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٨٣٨) .

(**٤٩**) عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **إن للَّه عباداً اختصّهم لنفسه ، لقضاء حوائج الناس ، وآلى على نفسه ، أن لا يعذبهم بالنار ، فإذا كان يوم القيامة ، أُجلِسوا على منابر من نور ، يحادثون اللَّه ، والناس في الحساب** » .

(**ضعيف**) : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » .

وفيه : أحمد بن طارق الوابشي قال فيه الهيثمي « مجمع الزوائد » (٨/ ١٩٢) : لم أعرفه ، وعبد اللَّه بن زيد بن أسلم : ضعيف .

وأخرجه القضاعي في « مسند الشهاب » ، وفيه عبد اللَّه بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري : متروك .

(**٥٠**) عن عبد الرحمن بن عوف ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا :

« **ثلاثة تحت ظل العرش يوم القيامة : القرآن يحاج العباد ، والأمانة ، والرحم ينادي : ألا من وصلني وصله اللَّه ، ومن قطعني قطعه اللَّه** » .

(**ضعيف**): أخرجه أبو الشيخ والديلمي ، وقال العقيلي : لا يصح إسناده ، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٧٦)[1] .

---

(١) ولفظه : ثلاثة تحت العرش يوم القيامة : القرآن له ظهر وبطن يحاج العباد ، والرحم تنادي : صل من وصلني واقطع من قطعني ، والأمانة .

(٥١) وفي مناقب علي - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا :

« إنه يسير يوم القيامة بلواء الحمد وهو حامله ، والحسن عن يمينه ، والحسين عن يساره ، حتى يقف بين النبي ﷺ وبين إبراهيم في ظل العرش » .

(**ضعيف**) : أخرجه أحمد وهو ضعيف ، ولوء الحمد بين رسول اللَّه ﷺ .

(٥٢) عن سلمان - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا :

« إذا كان يوم القيامة ضربت لي قبة حمراء عن يمين العرش ، وضُربت لإبراهيم قبة من ياقوتة خضراء عن يسار العرش ، وضربت فيما بيننا لعلي قبة من لؤلؤة بيضاء ، فما ظنك بحبيب بين خليلين !! » .

أخرجه الحاكم .

(٥٣) عن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا :

« أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة في قبة تحت العرش » .

أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » .

(٥٤) عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« سبعة يظلهم اللَّه تحت ظل عرشه ، يوم لا ظل إلا ظله :

رجل قلبه معلق بالمساجد .

ورجل دعته امرأة ذات منصب ، فقال : إني أخاف اللَّه .

ورجل غضّ عينه عن محارم اللَّه .

وعين حرست في سبيل اللَّه ، وعين بكت من خشية اللَّه » .

(**ضعيف**) : أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ، وضعّفه الألباني في

« ضعيف الجامع » رقم (٣٢٣٨) .

(٥٥) عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« **يقول اللَّه عز وجلّ : قرّبوا أهل لا إله إلا اللَّه من ظل عرشي فإني أحبهم**» .

أخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » .

(٥٦) عن أبي سعيد ـ رضي اللَّه عنه ـ مرفوعًا :

« **إذا كان يوم القيامة جئ بكراسي من ذهب مكللة بالدر والياقوت ، مفروشة بالسندس والإستبرق ، ثم يضرب عليها قباب من نور ، ثم ينادي منادٍ أين المؤذنون ؟ فيقومون وهم أطول الناس أعناقًا ، فيقال لهم : اجلسوا على تلك الكراسي تحت تلك القباب ، حتى يفرغ اللَّه من حساب الخلائق ، فإنه لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون** » .

(**ضعيف جدًا**) : أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » وسنده ضعيف جدًا كما قال الزرقاني والسخاوي .

(٥٧) عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ مرفوعًا :

« **إذا كان يوم القيامة ، وُضعت منابر من ذهب ـ ولفظ الدارقطني [من نور] ـ عليها قباب من فضة ، مفضضة بالدر والياقوت والزمرد ، وجلالها السندس والإستبرق ، ثم يجاء بالعلماء ، فيجلسون عليها ، ثم ينادي منادي الرحمن : أين من حمل إلى أمة محمد علمًا ـ يريد به وجه اللَّه ؟ اجلسوا على هذه المنابر ، فلا خوف عليكم حتى تدخلوا الجنة** » .

(**ضعيف**) : أخرجه أبو نعيم في « الحلية » ، والدارقطني في « الأفراد » ، فيه إسماعيل بن يحيى وهو ضعيف ، سيء الحال جدًا .

(٥٨) عن سهل بن حنيف قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« من أعان مجاهداً في سبيل اللّه ، أو غارماً في عسرته ، أو مكاتباً في رقبته، أظله اللّه في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله » .

(**ضعيف**) : أخرجه أحمد في « مسنده » ، والطبراني في «المعجم الكبير» ، والحاكم في « المستدرك » .

قال الهيثمي في « المجمع » (٥/ ٢٨٣) : « عبد اللَّه بن سهل بن حنيف لم أعرفه » ومدار طرق الحديث عليه ، وكذا في « ذيل الكاشف » لأبي زرعة العراقي ، وانظر : « العلل » لابن أبي حاتم (١/ ٣٢٦) ، وضعّفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٤٥٦) ، وصحح الحديث الحافظ ابن حجرالعسقلاني والسيوطي .

(٥٩) عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال : قال رسول اللَّه ﷺ :

« سبعة في ظل العرش ، يو لا ظل إلا ظله :

رجل ذكر اللّه ، ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ومن شدة حبه إياها ، ورجل يحب عبداً لا يحبه إلا للّه ، وإمام مقسط في رعيته ، ورجل يُعطي الصدقة بيمينه، يكاد يخفيها عن شماله ، ورجل عرضت عليه امرأة نفسها ذات منصب وجمال ، فتركها لجلال اللّه ، ورجل كان في سرية مع قوم ، فلقوا العدو ، فانكشفوا ، فحمى آثارهم ، حتى نجوا ، ونجى أو استشهد » .

(**ضعيف ؟؟؟**) : أخرجته أم الفضل بيتبي الهَرْثمية في جزئها .

قال شيخ الإسلام ابن حجر : هذا حديث حسن ، غريب جداً في غالب ألفاظه ، والخصلة السابعة فيه أشد غرابة .

وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٣٢٣٦) .

(٦٠) عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال :

« **ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة ، لا يهولهم الفزع ، ولا يفزعون حين يفزع الناس : رجل تعلمّ القرآن فقام به يطلب وجه اللّه وما عنده ، ورجل نادى في كل يوم وليلة خمس صلوات يطلب وجه اللّه وما عنده ، ومملوك لم يمنعه رق الدنيا من طاعة ربه** » .

(**ضعيف**) : رواه الطبراني في « الكبير » ، وضعفه الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٧٧) .

(٦١) « **ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة ، يغبطهم الأولون والآخرون : عبد أدّى حق اللّه وحق مواليه ، ورجل يؤم قوماً وهم له راضون ، ورجل ينادي بالصلوات الخمس في كل يوم وليلة** » .

(**ضعيف**) : رواه أحمد في « مسنده » والترمذي عن ابن عمر ، وضعفه الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٦٦٦) و« ضعيف الجامع » رقم (٢٥٧٨) ، وضعفه الشيخ شاكر في تحقيقه للمسند .

* * *

خاتمـــــة

يا إخوتـــــــاه !

مَنْ يُسْبَقُ إلى الظل يَضْحَى

خاتمـــــــة

إخوتاه ! آن لنا أن نضع القلم بعد أن طوّفنا بكم فيمن يظلهم اللَّه في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله .

أحدنا يؤثر الظل على هجير الشمس في دار الدنيا فكيف لا نؤثره في الآخرة ؟!

أفلا يستحقّ الأمر سباقًا شديدًا إنه من يُسبَق إلى الظل يضحى . . .

أترضى بأن تبقى المُخلَفَ بعدهم — صريع الأماني والغرامُ ينازعُ
على نفسه فليبكِ من كان باكيًا — أيذهب وقتٌ وهوَ باللهو ضائع

أصناف كريمة لا تقف عند حد السبعة بل تزيد بالأحاديث الحسنة والصحيحة :

١ ـ إمام عادل .

٢ ـ شاب نشأ في عبادة اللَّه عز وجل .

٣ ـ رجل قلبه معلق بالمسجد ، إذا خرج منه ، حتى يعود إليه .

٤ ـ رجلان تحابا في اللَّه ، فاجتمعا على ذلك ، وافترقا عليه .

٥ ـ ورجل ذكر اللَّه خاليًا ، ففاضت عيناه .

٦ ـ ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف اللَّه .

٧ ـ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

٨ ، ٩ ـ من أنظر معسرًا ، أو وضع عنه .

١٠ ، ١١ ، ١٢ ـ من أعان مجاهدًا في سبيل اللَّه ، أو غارمًا في عسرته ، أو مكاتبًا في رقبته ، صححه الحافظ ابن حجر وضعّفه الألباني .

١٣ ـ من أظل رأس غاز .

١٤ - رجل كان في سرية فانكشفوا ، فحمى آثارهم ، حتى نَجُوا ، ونجى ، أو اشتشهد .

١٥ - من أعتق رقبة .

١٦ - التاجر الصدوق .

١٧ - النبيون وهم على رأس من يظلهم اللَّه في ظل عرشه .

١٨ - الصديقون .

١٩ - الشهداء المجاهدون بأموالهم وأنفسهم .

٢٠ - المؤمن المقتول ظلمًا .

٢١ - ذراري المسلمين الذي ماتوا قبل الحُلُم .

٢٢ - المتقون كاملوا الإيمان .

اثنان وعشرون صنفًا يسبقون إلى ظلال العرش فأين أنت منهم . . . هل سمت بك همتك أن تكون واحدًا منهم . . . إن لم تكن أول من يستظل بظل اللَّه ؟ . . مطلب يستحقّ المنافسة ، وأفق يستحقّ السباق ، وغاية تستحقّ الغلاب .

ما في الخيام أخو وجد يُريحك إن بثثته بعض شـأن الحب فاغترب
واسر في غمرات الليل مهتـديًا بنفحة الطيب لا بالعـود والحطب
وعاد كل أخي جبن ومَعجـزة وحارب النفس لا تلقيك في الحرَب
وخذ لنفسك ظلاً تستـظل به يوم اقتسام الورى الظـلال بالرتب

● **أخي :**

يا مختار القدر . . . يا وعاء البدائع . . . يا من غُذّي بلبان البر ، وقُلّب بأيدي الأيادي ، يا زرعًا تهمي عليه سُحب الألطاف .

قد هيّئوك لأمر لـو فطـنت له فأربأ بنفسـك أن تـرعى مع الهمل

يا إخوتاه ... هجير دنيانا الكالحة يأخذ بالقلوب والأنفاس . أما آن لنا أن نسابق إلىٰ الظلال الظليلة . . . واللَّه لو ضاع منا نَفَس واحد في غير هذه الغاية لغبنا وما ربحنا ، فما الفوز إلا أن تستظل بهذا الظل ، أن تكون ممن يضحك اللَّه إليه . . . أن تكون أقرب الناس مكانةً من ربك .

اللَّهم اجعل لنا أوفر نصيب من هذا الظل . . . اللَّهم إنا قد دللنا عبادك وحبّبناهم في هذه المرتبة فلا تحرمنا بلوغها . . . يا مَن لا تضيق عنده المنادح ولا يخيب عليه الراغبون . .

اللَّهم إليك أفضت قلوبنا ، ومُدَّت أعناقنا ، وشخصت أبصارنا لكريم وجزيل كرمك .

إلهي أنت الأبد فلا أمد لك ، وأنت المنتهىٰ فلا محيص عنك ، وأنت الموعد فلا منجىٰ منك إلا إليك . . . ألجأنا إلىٰ كرمك هجير دنيانا فلا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا بأعمالنا ، وانشر علينا ظلك يوم لا ظل إلا ظلك ، وأرنا سحائب رحمتك ، وارونا من حوض رسولك ﷺ ريًا تحيي بها موات قلوبنا ، واجعلنا من أهل الغرف في أعلىٰ عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، اجعلنا ممن تدخلهم ظلاً ظليلاً . . . هبنا ظل شجرة طوبىٰ .

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين .

الفقير إلىٰ رحمة ربه
والمشتاق إلىٰ ظل عرشه
السيد بن حسين العفاني
جمهورية مصر العربية
محافظة بني سويف
مركز بني سويف
قرية بني عفان

عنوان آخر لمن أراد المراسلة أو استدرك أشياءً
جمهورية مصر العربية
محافظة بني سويف
مدينة بني سويف
صندوق بريد ١٢٣
دكتور سيد بن حسين بن عبد اللَّه العفاني

فهرس أطراف الحديث

فهرس أطراف الحديث

الحديث	الصفحة
أحب الناس إلي أنفعهم	٢/ ١٤
أخاف عليكم ستًا إمارة السفهاء وسفك الدماء	١/ ٧٧
أخذ الراية زيد فأصيب	٢/ ٢٣١
أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي	١/ ٤٤١
أدخل اللَّه الجنة رجلاً كان سهلاً مشتريًا	٢/ ١٨٣
إذا أحب أحدكم أخاه في اللَّه	١/ ٣٢٨
إذا أحب أحدكم صاحبه	١/ ٣٢٨
إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله	٢/ ٧٢
إذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة	٢/ ٣١
إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة	٢/ ٢١
إذا توضأ الرجل خرجت خطاياه	٢/ ٣٣٧
إذا سمعت النداء فأجب داعي اللَّه	١/ ٣٠٢
إذا شهر المسلم على أخيه سلاحًا	٢/ ٣١٥
إذا عملت الخطيئة في الأرض	٢/ ٣٧١
إذا قال العبد لا إله إلا اللَّه	٢/ ١١٨
إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد	١/ ١٣
أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش	١/ ٤٩
أربعة يبغضهم اللَّه البياع الحلاف	١/ ٧٧
أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز	٢/ ٢٨
أرحم أمتي أبو بكر وأقرؤهم أُبي	٢/ ١٢١
الأرواح جنود مجندة	١/ ٣٢٥
أرواح الشهداء في صور طير خضر	٢/ ٢٦٨

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك اللَّه الليل مع النهار ؟	٢/ ٧٧
ألا أدلكم على ما يكفر اللَّه به الخطايا ؟	١/ ٣٠٥
ألا أدلكم على ما يمحو اللَّه به الخطايا ؟	١/ ٣٠٥
ألا اشهدوا أن دمها هدر	٢/ ٣٧٣
ألا إنما هي أربع لا تشركوا باللَّه شيئًا	٢/ ٣١٦
ألا رجل يمنح أهل بيت ناقة تغدوا بإناء وتروح بإناء	٢/ ٢٨
ألا يرضيك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟	١/ ٢٤٧
الذي يخنق نفسه يخنقها في النار	٢/ ٣١٤
اللَّهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا	٢/ ٣٠٦
اللَّهم زينا بزينة الإيمان	٢/ ٣٠٦
اللَّهم من ولي من أمتي شيئًا فشق عليها فاشقق عليه	١/ ٧٠
أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم	٢/ ٧٤
أما بعد فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا	١/ ٧٩، ٨٢
أما ترضى أن يكون مع ابني إبراهيم يلاعبه	٢/ ٢٧٧
أمتي يوم القيامة غر من السجود	٢/ ٣٣٨
أمرنا النبي بسبع ونهانا عن سبع	١/ ٣٣
إن أبواب الخير لكثيرة التسبيح والتحميد	٢/ ٢٩
إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون	١/ ٧٧
إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر	٢/ ٢٦٦
إن أرواح الشهداء في طير خضر	٢/ ٢٦٧
إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو	٢/ ٣٥
إن أفضل عباد اللَّه يوم القيامة الحمادون	٢/ ٧٦

الحديث	الصفحة
إن الدين يسر	٢/ ٤٠٠
إن ربك يعجب للشاب لا صبوة له	١/ ٢٤١
إن رجلاً لم يعمل خيراً قط وكان يداين الناس	٢/ ١٨٢
أن رجلاً مات فدخل الجنة فقيل له	٢/ ١٨١
إن السلف يجري مجرىٰ شطر الصدقة	٢/ ١٨٢
إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي ؟	١/ ٧٥
إن شر الرعاء الحطمة	١/ ٧٧
إن الظلم ظلمات يوم القيامة	٢/ ٣١٦
إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين باعًا	١/ ١٤
إن في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها	٢/ ١٦
إن كان رسول اللَّه ليوقظه اللَّه بالليل	٢/ ٤٠٢
إن للَّه آنية من أهل الأرض	٢/ ٢٩٨
إن للَّه أهلين من الناس	٢/ ٩١
إن للَّه ديكًا براثنه في الأرض السفلىٰ	٢/ ٤٠١
إن للَّه مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة	٢/ ٢٧٨
إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم	٢/ ٣٩٥
إن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام	١/ ٥٠
إن المتحابين باللَّه في ظل العرش	١/ ٣٢٧
إن المرأة تقبل في صورة شيطان	١/ ٤٣٦
إن المساجد بيوت المتقين	١/ ٣٠٨
إن معاذ بن جبل أمام العلماء رتوة	١/ ٢٤٧
إن المقتول يجيء يوم القيامة	٢/ ٢٨٧

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
من منح منحة غدت بصدقة وراحت بصدقة	٢/ ٣١
من منح منحة ورق أو منحة لبن	٢/ ٣٠
من منح منحة لبن أو ورق أو هدىٰ	٢/ ٣٠
من نصر أخاه بالغيب	١/ ٣٥٩
من نفس عن غريمه أو محىٰ عنه كان في ظل العرش	٢/ ١٧٦
من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا	٢/ ١٧٥
من ولي من أمر المسلمين شيئًا فاحتجب دون خلتهم	١/ ٧٨
من يتصدق علىٰ هذا فيصلي معه ؟	٢/ ٣٣
من يجهز هؤلاء غفر اللَّه له	٢/ ١٩٠
من يسر علىٰ معسر يسر اللَّه عليه في الدنيا والآخرة	٢/ ١٨٢
من يكفينيهم ؟	٢/ ٧٣
من ينفق نفقة متقبلة	٢/ ١٩٠
المهدي مني أجلىٰ الجبهة أقنىٰ الأنف	١/ ٢٣٥
المهدي من عترتي من ولد فاطمة	١/ ٢٣٥
المؤمن مرآة المؤمن	١/ ٣٦٠
المؤمن من يغار واللَّه أشد غيرًا	٢/ ٣٦٥
الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه	١/ ٣٠٦
﴿ن﴾	
نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة	١/ ٨٩
نعم	٢/ ٢٢
نعم الصدقة	٢/ ٢٨
نعم المنيحة اللقحة الصفي منحة	٢/ ٢٨

الحديث	الصفحة

***

فهرس المراجع

فهرس المراجـــــع

[أ ـ التفسير]

١ ـ « تفسير الطبري » لابن جرير الطبري ـ مطبعة : مصطفى البابي الحلبي .

١ مكرر ـ « تفسير الطبري » لابن جرير ـ طبع دار المعارف ـ تحقيق : محمود شاكر وأحمد شاكر .

٢ ـ « تفسير الطبري » للإمام القرطبي ـ كتاب الشعب .

٣ ـ « تفسير ابن كثير » للحافظ ابن كثير ـ كتاب الشعب .

٤ ـ « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم » للعلاَّمة الألوسي ـ دار الفكر .

٥ ـ « أضواء البيان » للشّنْقيطي ـ مكتبة ابن تيمية .

٦ ـ « في ظلال القرآن » سيد قطب ـ دار الشروق .

٧ ـ « محاسن التأويل » للقاسمي .

٨ ـ « مفاتيح الغيب » للفخر الرازي .

٩ ـ « تفسير المنار » لمحمد رشيد رضا .

[ب ـ السنة وعلومها]

١٠ ـ « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » للحافظ ابن حجر العسْقلاني ـ طبعة السلفية .

١١ ـ « شرح مسلم للنووي » للإمام محيي الدين النووي ـ دار الشعب .

١٢ ـ « تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي » طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

١٣ ـ « صحيح سنن الترمذي » للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٤ ـ « صحيح سنن أبي داود » للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٥ ـ « صحيح سنن النسائي » للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٦ ـ « صحيح سنن ابن ماجه » للألباني ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج .

١٧ ـ « مسند أحمد بن حنبل » تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر ـ طبع دار المعارف .

١٨ ـ « الفتح الرباني بترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني على أبواب البخاري » للشيخ الساعاتي ـ دار إحياء التراث العربي .

١٩ـ « أطراف مسند الإمام أحمد بن حنبل » للإمام ابن حجر العسقلاني ـ تحقيق : د/ زهير الناصر ـ دار ابن كثير .

٢٠ ـ « المنهج الأسعد في ترتيب أحاديث مسند الإمام أحمد » عبد اللَّه ناصر عبد الرشيد ـ دار طيبة .

٢١ ـ « صحيح الأدب المفرد » للألباني .

٢٢ ـ « مشكل الآثار » للطحاوي .

٢٣ ـ « الجامع لشعب الإيمان » للبيهقي ـ الطبعة الهندية .

٢٤ ـ « جامع الأصول » لابن الأثير ـ دار الفكر .

٢٥ ـ « المختارة » للضياء المقدسي .

٢٦ ـ « الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان » علاء الدين بن بلبان ـ تحقيق : شعيب الأرناءوط ـ مؤسسة الرسالة .
٢٧ ـ « مسند أبي يعلىٰ الموصلي » أبو يعلىٰ الموصلي ـ تحقيق : حسين سليم أسد ـ دار المأمون .
٢٨ ـ « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم الرازي ـ طبع الهند .
٢٩ ـ « تذكرة الحفاظ » للذهبي .
٣٠ ـ « المعرفة والتاريخ » للفسوي .
٣١ ـ « النهاية في غريب الحديث والأثر » ابن الأثير .
٣٢ ـ « تهذيب الكمال » للمزِّي ـ مؤسسة الرسالة .
٣٣ ـ « وفيات الأعيان » لابن خلكان .
٣٤ ـ « تهذيب التهذيب » لابن حجر العسقلاني .
٣٥ ـ « لسان الميزان » لابن حجر العسْقلاني .
٣٦ ـ « أخبار أصبهان » لأبي نعيم الأصبهاني .
٣٧ ـ « الأنساب » للسمعاني .
٣٨ ـ « المعجم المفهرس لأطراف الأحاديث التي خرجها الألباني » سليم الهلالي ـ دار ابن الجوزي .
٣٩ ـ « السُّنن » لسعيد بن منصور .
٤٠ ـ « فضائل الصحابة » لأحمد بن حنبل .
٤١ ـ « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » للحافظ المزِّي ـ المكتب الإسلامي .
٤٢ ـ « السُّنَة » لابن أبي عاصم ـ تحقيق : الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٤٣ ـ « كنز العمال » .
٤٤ ـ « المسْتجاد من فعلات الأجواد » الدارقطني ـ تحقيق : محمود حدَّاد .

٤٥ ـ « الموطَّأ » لمالك بن أنس ـ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٦ ـ « ضعيف الجامع الصغير » للألباني ـ المكتب الإسلامي .
٤٧ ـ « صحيح ابن خزيمة » تحقيق د / مصطفى الأعظمي والألباني ـ المكتب الإسلامي .
٤٨ ـ « مجمع الزوائد » للهيثمي ـ مكتبة القدسي .
٤٩ ـ « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » لابن حجر العسقلاني ـ المكتب الإسلامي .
٥٠ ـ « صحيح الترغيب والترهيب » للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٥١ ـ « صحيح الجامع الصغير » للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٥٢ ـ « فيض القدير » للمناوي .
٥٣ ـ « مشكاة المصابيح » للتبريزي ـ تحقيق : الشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٥٤ ـ « السلسلة الصحيحة » للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٥٥ ـ « إرواء الغليل » للشيخ الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٥٦ ـ « شرح السنة » للإمام البغوي ـ تحقيق : شعيب الأرناءوط وزهير الشاويش ـ المكتب الإسلامي .
٥٧ ـ « المستدرك » للحاكم .
٥٨ ـ « المُصَنَّف » لعبد الرزَّاق الصَّنعاني .
٥٩ ـ « المُصَنَّف » لابن أبي شيبة ـ طبع الهند .
٦٠ ـ « السنن الكبرىٰ » للبيهقي .
٦١ ـ « المعْجم الكبير » للطبراني ـ تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ـ وزارة الأوقاف العراقية .

٦٢ ـ « المعْجم الأوسط » للطبراني ـ طبع دار الحرمين .
٦٣ ـ « مختصر العلو » للذهبي ، الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٦٤ ـ « صحيح الوابل الصيب » لابن القيم ـ سليم الهلالي ـ دار ابن الجوزي .
٦٥ ـ « التمهيد » لابن عبد البر .
٦٦ ـ « رياض الصالحين » للنووي تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي .
٦٧ ـ « تهذيب الأسماء واللغات » للنووي .
٦٨ ـ « إرشاد الساري » للقسطلاني .

[جـ ـ عقيدة]

٦٩ ـ « شرح أصول الاعتقاد » اللالكائي ـ دار طيبة .
٧٠ ـ « الرد الوافر » لابن ناصر الدين الدمشقي ـ المكتب الإسلامي .
٧١ ـ « النونية » لابن القيم ـ مكتبة ابن تيمية .
٧٢ ـ « كتاب العظمة » لأبي الشيخ ـ دار العاصمة .
٧٣ ـ « مجموع فتاوىٰ ابن تيمية » مكتبة ابن تيمية .
٧٤ ـ « الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة » لابن قيم الجوزية ـ تحقيق : د/ علي الدخيل اللَّه ـ دار العاصمة .

[د ـ تاريخ وسير وتراجم]

٧٥ ـ « تاريخ بغداد » الخطيب البغدادي .
٧٦ ـ « تاريخ دمشق » ابن عساكر .
٧٧ ـ « البداية والنهاية » ابن كثير ـ دار الريان للتراث .
٧٨ ـ « سير أعلام النبلاء » الذهبي ـ مؤسسة الرسالة .
٧٩ ـ « حلية الأولياء » أبو نعيم الأصبهاني .

٨٠ ـ « صفة الصفوة » ابن الجوزي .
٨١ ـ « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ابن السبكي ـ تحقيق : د/ عبد الفتاح الحلو .
٨٢ ـ « تاريخ الإسلام » للذهبي .
٨٣ ـ « الطبقات الكبرىٰ » لابن سعد .
٨٤ ـ « معرفة القرّاء الكبار » الذهبي ـ تحقيق : شعيب الأرناءوط ـ مؤسسة الرسالة .
٨٥ ـ « مناقب الإمام أحمد » لابن الجوزي .
٨٦ ـ « توالي التأسيس في مناقب ابن إدريس » ابن حجر العسقلاني .
٨٧ ـ « مناقب الشافعي » للبيهقي ـ تحقيق : السيد أحمد صقر ـ دار التراث .
٨٨ ـ « طبقات الحنابلة » لأبي يعلىٰ الحنبلي .
٨٩ ـ « ذيل طبقات الحنابلة » ابن رجب الحنبلي .
٩٠ ـ « عيون الروضتين في أخبار الدولتين » لأبي شامة ـ مؤسسة الرسالة .
٩١ ـ « سلسلة معارك الإسلام الفاصلة » لبشاميل ـ دار الفكر .
٩٢ ـ « الإصابة » لابن حجر العسقلاني ـ دار الكتاب العربي .
٩٣ ـ « عبد الرحمن الناصر لبسام العسيلي ـ دار النفائس .
٩٤ ـ « رجال من التاريخ » لعلي الطنطاوي .
٩٥ ـ « البدر الطالع » للشوكاني .
٩٦ ـ « الطريق إلىٰ دمشق » لأحمد عادل كمال .
٩٧ ـ « صور من حياة التابعين » ـ عبد الرحمن الباشا .
٩٨ ـ « ولاة مصر وقضاتها » للكندي ـ مؤسسة الكتب الثقافية .

٩٩ ـ « العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية » للحافظ ابن عبد الهادي ـ دار الكتب العلمية .
١٠٠ ـ « خلفاء الرسول » لخالد محمد خالد ـ دار الجيل .
١٠١ ـ « رجال حول الرسول » خالد محمد خالد ـ دار الريان للتراث .
١٠٢ ـ « مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » لابن الجوزي ـ تحقيق : د/ زينب القاروط ـ دار الكتب العلمية .
١٠٣ ـ « تاريخ الخلفاء » للسيوطي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مطبعة السعادة .
١٠٤ ـ « نفح الطيب » المقري .
١٠٥ ـ « الأرك » لشوقي عماد خليل ـ دار الفكر .
١٠٦ ـ « مناقب عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي . تحقيق : نعيم زرزور ـ دار الكتب العلمية .
١٠٧ ـ « تبصرة الحكام » لابن فرحون .
١٠٨ ـ « فتوح البلدان » للبلاذري .
١٠٩ ـ « مناقب الشافعي » للرازي .
١١٠ ـ « نزهة الفضلاء في تهذيب سير أعلام النبلاء » ـ لمحمد حسن عقيل ـ دار الأندلس ـ جدة .
١١١ ـ « سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز » لابن رجب ـ دار ابن حزم .
١١٢ ـ « الدرر الكامنة » لابن حجر .
١١٣ ـ « الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة » لنجم الدين الغزي .
١١٤ ـ « المختار المصون من أعلام القرون » لمحمد حسن عقيل ـ دار الأندلس .

١١٥ ـ « تاريخ المدينة » لابن شبة .
١١٦ ـ « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » لفضل اللّٰه المحبي .
١١٧ ـ « استجابات إسلامية لصرخات أندلسية » لمحمد حسن عقيل ـ دار الأندلس .
١١٨ ـ « خير الدين بربروس » لبسام العسلي ـ دار النفائس .
١١٩ ـ « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » لعبد الحي الندوي .

[هـ ـ الرّقائق]

١٢٠ ـ « الفوائد » لابن القيم . مكتبة الجامعة .
١٢١ ـ « مفتاح دار السعادة » ابن القيم ـ دار الكتب العلمية .
١٢٢ ـ « مدارج السالكين » ابن القيم ـ تحقيق : محمد حامد الفقي ـ طبعة أنصار السنة .
١٢٣ ـ « إغاثة اللهفان » لابن القيم ـ تحقيق : محمد حامد الفقي ـ دار العدل بالإسكندرية .
١٢٤ ـ « الوابل الصيِّب » لابن قيم الجوزية ـ طبع السلفية .
١٢٥ ـ « طريق الهجرتين » ابن القيم ـ طبع السلفية .
١٢٦ ـ « حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح » ابن القيم ـ مطبعة المدني .
١٢٧ ـ « اللطف في الوعظ » لابن الجوزي .
١٢٨ ـ « المدهش » لابن الجوزي .
١٢٩ ـ « لطائف المعارف » ابن رجب الحنبلي ـ طبع مؤسسة الريان ، ودار ابن حزم ، ودار الفتح .
١٣٠ ـ « الزهد والرقائق » لابن المبارك .
١٣١ ـ « الزهد » لابن حنبل .

١٣٢ ـ « الزّهْد » لهنَّاد بن السَّري ـ تحقيق : عبد الرحمن الفريوائي ـ دار الخلفاء للكتاب الإسلامي .
١٣٣ ـ « التبصرة » لابن الجوزي .
١٣٤ ـ « مختصر قيام الليل » للمقريزي .
١٣٥ ـ « التخويف من النار » ابن رجب الحنبلي ـ مكتبة الإيمان .
١٣٦ ـ « كتمان الحق بين تفريط العلماء ومسئولية الأمراء » لمحمد فهمي عبد اللطيف ـ دار الاعتصام .
١٣٧ ـ « لباب الآداب » لأسامة بن منقذ ـ مكتبة السنة .
١٣٨ ـ « الإخوان » لابن أبي الدنيا ـ دار الاعتصام .
١٣٩ ـ « النصيحة في الأذكار والأدعية الصحيحة » لمحمد إسماعيل المقدم ـ مكتبة الإيمان .
١٤٠ ـ « تحفة الذاكرين » للسيوطي .
١٤١ ـ « الرقة والبكاء » لابن أبي الدنيا .
١٤٢ ـ « صلاح الأمة في علو الهمة » للمؤلف .
١٤٣ ـ « رهبان الليل » د/ حسين العفاني ـ مكتبة العلم بجدة ، مكتبة ابن تيمية (المؤلف) .
١٤٤ ـ « موارد الظمآن في محبة الرحمن » د/ سيد العفاني ـ مكتبة الصحابة بجدة (المؤلف) .
١٤٥ ـ « الجزاء من جنس العمل » د/ سيد حسين العفاني ـ مكتبة ابن تيمية (المؤلف) .
١٤٦ ـ « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ابن قيم الجوزية ـ دار الكتاب العربي .
١٤٧ ـ « ذم الهوىٰ » ابن الجوزي ـ تحقيق : مصطفى عبد الواحد ـ دار

الكتب الإسلامية .
١٤٨ ـ « الصوفية في إلهامهم » لحسن كامل الملطاوي ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
١٤٩ ـ « استنشاق نسيم الأنس » لابن رجب ـ المكتب الإسلامي .
١٥٠ ـ « الحكمة الخالدة » لابن مسكويه .
١٥١ ـ « له الأسماء الحسنى » للدكتور أحمد الشرباصي ـ دار الجيل .
١٥٢ ـ « الطريق إلى اللَّه » [الصدق] لأبي سعيد الخرّاز ـ دار الإنسان .
١٥٣ ـ « روضة الزاهدين » لعبد الملك الكليب .
١٥٤ ـ « الشفاء من مواعظ الملوك والخلفاء » لابن الجوزي ـ مؤسسة شباب الجامعة .
١٥٥ ـ « تلبيس إبليس » لابن الجوزي .
١٥٦ ـ « المواعظ والمجالس » لابن الجوزي .
١٥٧ ـ « من قصص الماضين في حديث سيد المرسلين » لمشهور حسن سليمان ـ دار الهجرة .
١٥٨ ـ « إتحاف السادة المتقين » للزبيدي .
١٥٩ ـ « الجواب الكافي » لابن القيم .
١٦٠ ـ « الحب في اللَّه » لأحمد فريد .
١٦١ ـ « تمهيد الفرش في الخصال الموجبة لظل العرش » للسيوطي .
١٦٢ ـ « في ظلال عرش الرحمن » للشيخ عطية محمد سالم .
١٦٣ ـ « سبعة في ظل عرش الرحمن » للشيخ عبد الحميد كشك .

[و ـ اللغة والشعر]

١٦٤ ـ « لسان العرب » لابن منظور .
١٦٥ ـ « السحاب الأحمر » لمصطفى صادق الرافعي .

١٦٦ ـ « التيار الإسلامي في الشعر العباسي » .
١٦٧ ـ ديوان « الحق المبين » لخير الدين وانلي .
١٦٨ ـ ديوان « نداء الحق » لأحمد الصديق ـ دار الضياء .
١٦٩ ـ « وحي القلم » لمصطفى صادق الرافعي .
١٧٠ ـ « بيت المقدس في شعر الحروب الصليبية » لعبد الجليل حسن ـ دار البشير .

* * *

فهرس الموضوعــــــات

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
	٨٧

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله - ج

الموضوع	الصفحة

الموضــــوع **الصفحة**

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــوع **الصفحة**

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع **الصفحة**

* * *